صَخَبُ الخَسِيف

مجموعة قصصية

أسامة المسلم

لِمَ تقرؤني في هذا الوقت؟

اقرأني لاحقاً ..

ووحدك..

تكذيب الحقيقة لن يغيرها ورؤيتها من عدمه ليست العامل الحاسم في تصديقها.. نحن اليوم نعيش في عالمٍ يعتمد على الحقائق الملموسة فقط لذا ركن الكثير قلوبهم وأحاسيسهم على قارعة التجاهل وركبوا فلك العقلانية المطلقة وأبحروا في بحر الماديات الثابتة ظنّاً منهم أنها ستصل بهم لساحل الحقيقة..

أسامة المسلم

العقل المريض معد..

استشاري مشهور في الأمراض العصبية ومتخصص في الاضطرابات النفسية والسلوكية يقوم بزيارة لأحد المصحات العقلية الحكومية كجزء من جولته الأسبوعية الروتينية لتفقد بعض الحالات المستعصية والتي تُعرض عليه قبل الانتقال لوسائل علاجية أخرى مثل الجراحة أو الجلسات الكهربائية.

(الاستشاري) يُقلب صفحات ملفٍّ بين يديه وهو يسير في أحد ممرات المستشفى ويرافقه بعض الأطباء: كم حالة لدينا اليوم؟

(الطبيب١): بعض الحالات التي عرضناها عليك الشهر الفائت تحسنت عن السابق لكن..

(الاستشاري) وهو يفتح ملفاً كان بحوزته ويلقي نظرة بداخله: لكن ماذا؟

(الطبيب ٢): بعض الحالات لم تشهد أي تغيير أو تحسن مثل الحالة التي وجهتنا بعدم الحديث معها خلال العلاج

(الاستشاري): تقصد الحالة ٢٤٣ ؟

(الطبيب١): نعم هي بعينها وما زلنا أنا وبقية زملائي نتساءل عن سبب منعك لنا من الحديث مع المريض ومحاولة علاجه وتشخيص حالته

وقف الاستشاري في الممر ووجه نظره للأطباء فوقفوا أمامه ينظرون إليه بتوتر وبعد ثوانٍ من الصمت والتحديق بهم بنظرة غريبة قال:

الحالة تشكو من انفصال تام عن الواقع وخيالات المريض وهلوساته تسيطر على كامل تصرفاته. اقتناعه الشديد بما يراه معدٍ لمن هم حوله وقد يتأثر به من يتعامل معه من طاقم المستشفى، هل نسيتم ما حدث مع زميلكم السابق؟.. وسيلة علاجه الوحيدة هي بإخراجه من متاهة عقله بالحوار لكن لم يستطع أحد حتى الآن التعمق في أغوار عقله لأن المسألة ليست بالسهولة التي تظنون. ستكون اليوم جلسته الأخيرة قبل الانتقال للعلاج الجراحي. سيتم تدوين وتسجيل الحوار بالكامل لأغراض الدراسة والتوثيق.

استأنف الاستشاري بعدها السير في الممر ومن خلفه بقية الأطباء وهو يقول: هل أعطيتم الحالة الدواء الذي وصفته بالجرعات نفسها؟

(الطبيب٣): نعم وأنا كنت المشرف على ذلك؟

(الاستشاري) وهو يفتح الملف مرة أخرى ويقرأ بعض صفحاته: وهل رفض تناوله أو تعرض لأي أعراض جانبية؟

(الطبيب٣): لا أبداً أخذ الجرعات ولم يتأثر مزاجه وكأنه لم يتناول شيئاً

(الاستشاري) وهو يقف عند غرفة كتب على بابها «غرفة - ٣٣٣»: هل لا تزال هذه غرفته؟

(الطبيب١): نعم

(الاستشاري) يُطل من النافذة الزجاجية الصغيرة المقلمة على الباب: هل هو تحت تأثير أي أدوية الآن؟

(الطبيب٣): لا.. آخر جرعة أخذها كانت بالأمس عند منتصف الليل

(الاستشاري) يرفع ساعده الأيسر وينظر لساعته لثوانٍ ثم

يقول: جيد

(الطبيب): هل تريد منا مرافقتك في هذه الجلسة؟

(الاستشاري): لا.. لكن أخبرني.. هل هو مقيد؟

(الطبيب٣): نعم فلم نحل وثاقه منذ الأمس لكننا لم نقيد

أرجله.. هل ترغب منا أن نقيده بالكامل

(الاستشاري) وهو يدير المقبض ويهم بدخول الغرفة: لا

دخل الاستشاري على المريض وهو مقيد ويجلس على طاولة

توسطت غرفته وجلس أمامه وأخرج مدونة وقلم رصاص

وبدأ ينظر للمريض مبتسماً وبعد دقائق من الصمت والتحديق

بعضهما ببعض بدأ الحوار بينهما:

- كيف حالك اليوم؟

- بخير.. وأنت؟

- لا تبدو بخير

- وكيف يبدو الشخص الطبيعي؟

- أنا لم أقل بأنك لست طبيعياً.. قلت بأنك لا تبدو بخير

صمت الاثنان لفترة قصيرة ثم استأنفا بعدها الحوار:

- منذ متى وأنت تشكو من حالتك؟

- أنا؟.. أنا لا أشكو من شيء

- ادعاؤك العقل لا يجعل منك عاقلاً..

- وكيف تعرف بأني مجنون؟

- أنا لم أقل بأنك مجنون

- أليس مدعي العقل مجنوناً؟

- الحمقى يدعون العقل كل يوم وهم ليسوا بمجانين

- وهل ترى نفسك عاقلاً أم مجنوناً أم أحمقَ؟

- لا يهم المهم أن أكون راضياً عن نفسي

- وهل أنت راضٍ عن نفسك؟

- أكثر مما تتصور

- إذاً لا فائدة من الجلوس هنا

- ماذا تقصد؟

- أنا لن أتغير وأنت لن تتغير فلمَ نضيع الوقت؟

- أنا مجبر على الجلوس معك

- وأنا كذلك

- لا لا، أتراجع عما قلت.. أنا لست مجبراً بل أنت فقط مجبرٌ على ذلك

- جسديّاً ربما..

- ربما.. ماذا فعلت اليوم؟

- ماذا تعني؟

- ماذا فعلت؟.. ما الذي قمت به منذ استيقاظك من النوم؟

- لا تحاول الدخول إلى عقلي فأنا لست هشّاً كالآخرين

- كان مجرد سؤالٍ اعتياديٍّ لمَ الغضب؟

- أنا لم أغضب.. هل تريد مني أن أغضب؟

- هل ترى تلك الذبابة؟

- أي ذبابة؟

- تلك التي تحلق أمام وجهك؟

- آه نعم.. ما بها؟

- هل ترغب في قتلها؟

- هل ترغب أنت؟

- لا تجب على سؤالي بسؤال

- أستطيع قتلها لو رغبت

- هذه لم تكن إجابة على سؤالي

- هل سأضطر للبقاء هنا طويلاً؟

- الأمر منوط بك وليس بي

- هل تشعر بالحزن لأي سبب؟

- كل إنسان يشعر بالحزن

- وما الذي يحزنك؟

- الآن؟

- دعني أعذ صياغة السؤال.. متى شعرت بالحزن آخر مرة؟

- للتو قبل قليل..

- لماذا؟

- حالك محزن ويرثى له

- لا أظنك تهتم لهذه الدرجة لحالي أياً كان

- بالفعل معك حق

- لمَ نحن هنا إذاً؟

- كي تتماثل للشفاء

- وهل أنت من سيقوم بعلاجي؟

- أعطني الفرصة وسأحاول

- وما الذي تريده مني كي تساعدني على التماثل للشفاء؟

- أن تعترف بأنك مريض وتحتاج للعلاج هذه أول خطوة

- حسناً أنا مريض وأحتاج للعلاج.. ماذا الآن؟

- جيد.. الآن حل وثاقي

- أنت مقيد لأنك لا تتحكم بأعصابك

صرخ المريض بقوة في وجه الاستشاري واندفع نحوه وأطاحه أرضاً بنطحة قوية لصدره وبدأ يحاول نهش رقبته بأسنانه لكنه أمسك به وقاومه حتى دخل الأطباء الذين كانوا ينتظرون بالخارج وقام أحدهم بحقن المريض بحقنة مخدرة قوية أفقدته الوعي مباشرة.

(الاستشاري) وهو ينهض ويصلح هندامه ويراقب الأطباء وهم يحملون المريض لسريره: سوف ننتقل للعلاج الجراحي فلا فائدة من محاولة الحوار معه.. أدرجوا اسمه ضمن جدول العمليات للشهر القادم.

(الطبيب٢): حاضر

(الاستشاري): هل هناك حالات أخرى تريدون مني الاطلاع عليها؟

(الطبيب٣): هناك الحالة ١٥٣

(الاستشاري): الطفلة؟

(الطبيب٣): نعم.. والدتها تسأل عنها دوماً وتريد إخراجها بأسرع وقت من المستشفى

(الاستشاري): لا يمكننا إخراجها وأنا لم أكتب تقريري بعد وغالباً لن تخرج إلا إلى سجن الأحداث لكن على أي حال سأعرج عليها الآن قبل كتابة تقريري النهائي

سار الاستشاري ومن خلفه الأطباء الثلاثة حتى وصل للغرفة «٢٠٧» ودخل بعد ما فتح أحد الأطباء المرافقين له القفل. رأى الاستشاري بعد ما أخذ خطواتٍ بسيطة في غرفة شبه مظلمة طفلة في العاشرة من عمرها تجلس على الأرض تحتضن دمية صغيرة وتحدق سارحة بالأرض. جلس الاستشاري أمامها وقال مبتسماً: كيف حالك اليوم؟

(الطفلة) وعيناها تحدقان بالأرض: أريد الخروج من هنا..

(الاستشاري): هل تعرفين لمَ أنتِ هنا من الأساس؟

(الطفلة) وهي تحتضن الدمية ونظرها لا يزال سارحاً للأرض أمامها: لأني كنت شقية..

(الاستشاري): هل أنتِ نادمة على ما فعلتِه؟

(الطفلة) تشد عناق الدمية وتقول: نعم

(الاستشاري): لمَ فعلتِ ما فعلتِه؟

(الطفلة) تصمت ولا تجيب..

(الاستشاري): هل كنتِ تكرهين أخاك الصغير؟

(الطفلة) وتحديقها بالأرض لم ينقطع: لا..

(الاستشاري): لمَ رميتِه من النافذة إذاً؟

(الطفلة) ترفع نظرها وتنظر للاستشاري بوجه متبلد: لأنه سرق حضن أمي مني

(الاستشاري): أخوك نجا بأعجوبة.. هل أنتِ سعيدة لذلك؟

(الطفلة) تحتضن دميتها بصمت وعيناها تحدقان بأعين الاستشاري بحدة..

(الاستشاري): لمَ تريدين الخروج من هنا؟.. أخبريني بالحقيقة وسوف تخرجين

(الطفلة) وجسدها بدأ يهتز للأمام والخلف خلال احتضانها لدميتها: أريد الاعتذار من أخي..

(الاستشاري) مبتسماً: جميل.. كيف ستعتذرين منه؟

(الطفلة) وهي تفرك أذنها: بأن أتثبت من موته بسرعة هذه المرة..

زالت الابتسامة من على محيا الطبيب ونهض من أمامها وخرج من الغرفة وقال للأطباء الذين كانوا يقفون بانتظاره: هل هناك حالات أخرى؟

(الطبيب١): نعم لكن يمكننا التعامل معها دون أن نشغلك بها

(الاستشاري): أي حالة؟

(الطبيب١): الحالة «١٦٢»

(الاستشاري) باستغراب: ألم ننتهِ من كتابة تقريرها في زيارتي الأخيرة؟

(الطبيب٢): بلى لكن التقرير أعيد إلينا من المحكمة لأنه لم يكن شاملاً

(الاستشاري) بتجهم: من منكم كتب التقرير؟!

(الطبيب٣) بتوتر: أنا

(الاستشاري) بغضب: أريد نسخة من تقريرك هذا!.. كان خطأً مني أن أعتمد عليك!.. أنا من سيكتب التقرير!

(الطبيب٣) مطأطئاً رأسه: حاضر

(الاستشاري) يزفر بحسرة: معنى هذا أني يجب أن أزورها اليوم لكتابة التقرير مرة أخرى

(الطبيب١): لا داعي لذلك يا سيدي فالحالة واضحة وأنت ملم بها

(الاستشاري): هذا هو الفرق بيني وبينكم.. أنتم تنجزون الأعمال فقط وأنا أحرص على إتقانها.. ماذا لو تغيرت حالتها وكتبنا تقريراً بُني على استشارة قديمة من سيتحمل المسؤولية؟

صمت جميع الأطباء ولم يجادلوا رئيسهم..

(الاستشاري): أين هي الآن؟

(الطبيب٣): الغرفة «٣٣٣» في قسم الأعصاب

(الاستشاري): اسبقني وافتح الغرفة.. هيا

(الطبيب٣) يسير على عجالة متجاوزاً الاستشاري: أمرك

دخل الاستشاري الغرفة «٣٣٣» وسحب كرسياً وجلس أمام سيدة بوجهٍ شاحب تجلس على طرف سرير أبيض..

(الاستشاري) وهو يخرج كراسة وقلماً: كيف حالك اليوم؟

(السيدة) بصوتٍ خالٍ من الحياة: بخير..

(الاستشاري): سوف أسألك بعض الأسئلة قد سألتها لكِ سابقاً

(السيدة): لمَ تسألها مرة أخرى إذاً؟

(الاستشاري) يبتسم ويوجه نظره لكراسته: روتين مزعج لا تنشغلي به

(السيدة): الروتين قاتل وليس مزعجاً..

(الاستشاري) ضاغطاً رأس القلم على إحدى صفحات الكراسة البيضاء وعيناه على أول السطر: لمَ قتلتِ زوجك..؟

(السيدة) بتبلد وبرود: لأني أحبه..

(الاستشاري): حدثيني عن مفهومك للحب والذي دفعك لشق صدره بسكين المطبخ ودفنه في باحة منزلكما بعد انتزاع قلبه

(السيدة): الحب هو أن تجرب جميع المشاعر مع من تحب.. العشق.. الكره.. الشوق.. الغيرة.. كلها.. كلها بلا استثناء

(الاستشاري): وما الشعور الذي حققتِه بقتله؟

(السيدة): الفقد.. قتلته كي أجرب شعور الحزن عليه و لوعة الشوق لأحضانه.... كنت أحبه جدّاً وأردت أن يكتمل حبي له بفقدانه..

(الاستشاري) وهو يدون على كراسته: ماذا عن أطفالك؟.. لمَ قتلتِهم؟.. لمَ أكلتِهم بعد ذبحهم كالخراف؟

(السيدة) ببرود: كانوا بداخلي وأعدتهم..

وضع الاستشاري القلم على سطح كراسته ورفع نظره للسيدة وحدق بها قائلاً: هل كانت تجربة الغيرة على زوجك من أطفالك؟

(السيدة) تصرخ في وجهه: لا أريد الحديث أكثر!

(الاستشاري) وهو يغلق الكراسة ويضع القلم في جيبه الأمامي
ويهم بالنهوض: حسناً..

(السيدة) ترفع كفها في وجه الطبيب بوجه حزين وأعين بدأت
تغرق بالدموع وبصوتٍ مختنق ألماً: كنت أحبه.. أقسم بأني كنت
أحبه..

(الاستشاري): لا شك عندي في ذلك يا سيدتي لكن العقل
يغيب أحياناً في حضرة القلب..

(السيدة): نحن لسنا مجانين.. هل تفهم؟.. نحن لسنا مجانين..

(الاستشاري): أنتم؟.. أنتم من؟

(السيدة): جميعنا..

(الاستشاري) وهو يهم بالرحيل: بل كلنا مجانين لكن بدرجات
متفاوتة..

خرج الاستشاري من الغرفة وأشار لأحد الأطباء في الخارج
بإقفالها خلفه وبعد ما انتهى قال: هل انتهينا اليوم؟
(الطبيب٢): بقي حالة واحدة

(الاستشاري): أي حالة؟

(الطبيب٢): الحالة التي تزورها بانتظام.. الرجل الذي يسمي نفسه بـ «المُخلص»

(الاستشاري): آه نعم.. السفاح المصاب بجنون العظمة

(الطبيب٢): نعم هو بعينه لكن هل لي بسؤال إذا تكرمت؟

(الاسشاري): ماذا تريد؟

(الطبيب): هذه الحالة حالة سيكوباثية عادية جدّاً ولا تستلزم اهتماماً كثيراً لكن جدول زياراتك في الأشهر الماضية كان معظمه لهذه الحالة.. لماذا؟

(الاستشاري): أفكاره مثيرة غالباً بالرغم من جنونه.. في الواقع حديثي معه آخر مرة كان مثيراً للاهتمام

(الطبيب٢): كيف؟

(الاستشاري): قال لي خلال حوارنا عبارة التصقت بعقلي ولم أستطع نسيانها.. قال « من يموت بأعين مفتوحة لم يشبع من الحياة..».. قالها عندما كان يُصنف أنواع القتلى من ضحاياه بعد

ما يطعنهم بسكينه ويراقبهم وهم يغادرون الدنيا على حد قول

(الطبيب١): ستقابله اليوم إذاً؟

(الاستشاري): نعم.. هل ما زال في غرفته السابقة؟

(الطبيب١): لا.. قمنا بنقله للغرفة «٩»

(الاستشاري بوجهٍ متسائل: الغرفة ذات الجدران المبطنة؟..

لماذا؟.. هل حاول إيذاء نفسه؟

(الطبيب٣): أصيب بنوبة هلع قبل أيام وأخذ ينطح الجدار حتى

شُج رأسه لذا نقلناه للغرفة المبطنة حتى يتجاوز تلك المرحلة

(الاستشاري) بتجهم: ألا تظن يا حضرة الطبيب أن هذا تطور

يستحق أن تخبرني به؟!

(الطبيب٣): نوبات الهلع أمر طبيعي لمريضٍ في حالته

(الاستشاري) بنبرة غاضبة وصارمة: أنا من يحدد ذلك وليس

أنت!.. مفهوم؟!

(الطبيب٣) بوجهٍ نادم: أمرك

سار الاستشاري نحو الغرفة «٩» بعد ما أخذ مفتاحها من

أحد الأطباء المرافقين له وقبل أن يفترق عنهم أمرهم بانتظاره في مكتبه حتى ينتهي من هذه الحالة. دخل الاستشاري الغرفة وشاهد المريض مستلقياً على شقه الأيسر وظهره مدار للباب فدخل وأغلق الباب خلفه وما أن سمع المريض صوت القفل وهو يُدار حتى قال: أهلاً يا دكتور.. أفتقدك..

(الاستشاري) وهو يجثو عند المريض ويحرر قيوده ويحل وثاق السترة المقيدة له: كيف وجدت الغرفة الجديدة؟

جلس المريض وأسند ظهره للجدار المبطن بالإسفنج السميك وقال مبتسماً: طلابك يتأثرون بسرعة من مجرد رؤية بعض قطرات من الدماء

(الاستشاري) يتقرفص أمام المريض ويتفحص الجرح شبه الملتئم على جبينه: الشج في رأسك ليس بذلك السوء

(المريض) وهو يحدق بالاستشاري مبتسماً خلال تفحصه لجبينه بإبهامه: أخبر بذلك طلابك المتحمسين..

(الاستشاري) يجلس أمام المريض ويخرج علبة سجائر من جيبه ويمدها له: لا تلمهم فما قمت به أمر مربك لأي طبيب مبتدئ

(المريض) يسحب سيجارة من العلبة ويضعها بين شفتيه المتشققتين ويقول: هل أتيت لسماع المزيد من القصص؟

(الاستشاري) وهو يخرج ولاعة من الجيب نفسه ويشعلها ويقرب شعلتها من وجه المريض ونظره منصب على طرف السيجارة: إذا لم يكن لديك مانع..

(المريض) يسحب نفساً عميقاً من السيجارة بأعين مغمضة ويخرج دخانها من أنفه بانتشاء شديد: بالرغم من أننا ندوس السجائر كل يوم بأقدامنا إلا أنها هي من ينتصر في النهاية ويقتلنا..

(الاستشاري): لقد أضيف لملف قضيتك جرائم جديدة وأنت قابع هنا..

(المريض) وهو يطرق رأس السيجارة وعيناه المحمرتان على الاستشاري: لم يكونوا سيجدونهم لو لا أني أخبرت ذلك المحقق الأحمق الذي يزورني من وقت لآخر بمكان جثثهم

(الاستشاري): لمَ لا تخبرني بمجموع أعداد من قتلتهم؟

(المريض) يأخذ نفساً آخر من سيجارته وهو سارح في سقف الغرفة المبطنة: صدقني لا أتذكر..

(الاستشاري): أخبرني إذاً.. لمَ قتلتهم؟

(المريض) وهو لا يزال سارحاً في السقف ومعصم يده الحاملة للسيجارة متكئ على ركبته: لأني ببساطة أستطيع ذلك..

(الاستشاري) يشعل سيجارة ويأخذ منها نفساً ويقول: هل يمكن لكل هذا الشر أن يجتمع في إنسان واحد؟

(المريض): هل تؤمن حقاً بالخير والشر؟.. الأبيض والأسود؟.. الحق والباطل؟

(الاستشاري): نعم بلا شك..

(المريض): ألا يوجد شيء في المنتصف؟

(الاستشاري): لا أومن بذلك فنحن إما أخيار أو أشرار وتلك المنطقة الرمادية مجرد تبرير أحمق

(المريض) وهو يأخذ نفساً من سيجارته: كلام سطحي لم أتوقعه منك.. ماذا تصنف نفسك إذاً؟.. من الأخيار أم من الأشرار؟

(الاستشاري): أنا أساعد الناس ولا ألحق الضرر بهم

(المريض) وهو يطرق رأس سيجارته مبتسماً: هذه لم تكن إجابة..

(الاستشاري): لا تحاول أن تقنعني بأن الخير والشر يمكن أن يجتمعا بانسجام وتناغم في قلب إنسان.. مجرد التفكير في هذا الشيء يثير غثياني

(المريض): معنى ذلك أن العالم مجرد ضحايا ومجرمين؟

(الاستشاري): لا لم أقصد..

(المريض): ماذا قصدت إذاً؟

(الاستشاري): لا أعرف لكن يجب أن يكون هناك فرق بين الخير والشر وأن لا يجتمعا أبداً..

(المريض) وهو يطفئ سيجارته بلسانه ويمدها للاستشاري: إذا كان الأمر كذلك فأفضل أن أكون مجرماً على أن أكون ضحية..

(الاستشاري) وهو يأخذ عقب السيجارة المطفأة ويضعه في جيبه: ألا تؤمن بالعاقبة؟

(المريض) ضاحكاً: صدقني لا تريد أن تناقشني بهذا الموضوع..

أعطني سيجارة أخرى..

(الاستشاري) وهو يرمي العلبة والولاعة إلى المريض: كيف الطعام هنا..؟

(المريض) بعد ما أشعل سيجارة أخرى وأخذ ينفث بعض دخانها للأعلى: أنت تعجبني.. أسئلتك عميقة.. لذا أحب الحديث معك

(الاستشاري): لم أسألك سوى عن طعامك هنا إذا كان يعجبك أم لا

(المريض): يمكن أن يكون أفضل..

(الاستشاري): ألهذا ضربت الممرضة بصينية الطعام وكسرت أنفها قبل أسبوعين؟

(المريض) وهو يطفئ سيجارته قبل إكمالها في قاع قدمه الحافية: لا..

(الاستشاري): لمَ ضربتها إذاً؟

(المريض): لأنها ساقطة وتستحق ذلك..

(الاستشاري): هل لديك مشكلة مع النساء؟

(المريض): لدي مشكلة مع الحمقى ولسوء حظي معظم الحمقى الذين أقابلهم منهم..

(الاستشاري): ألهذا كل ضحاياك نساء؟

(المريض): من قال ذلك؟

(الاستشاري): سجلك الإجرامي..

(المريض) مبتسماً: نعم.. لنعتمد عيه كمرجع في الوقت الحالي..

(الاستشاري): المحكمة تريد تقريراً مني عن حالتك النفسية كي تحدد إما أن تحاكمك كعاقل أو كمجنون

(المريض): هل ترى أني مجنون.. ؟

(الاستشاري): لا.. أنت أسوأ..

(المريض) مبتسماً: ربما أكون في تلك المنطقة الرمادية التي تُنكرها.. مثلك تماماً..

(الاستشاري): حاول أن تقنع نفسك بذلك لكن هذا لا يعني أنها الحقيقة

(المريض) بابتسامة خبيثة: لا أحتاج أن أقنع أحداً فالأمر جليٌّ لمن يستطيع أن يقرأ بين السطور.. كم ضحية صعدت للسماء بسببك؟

(الاستشاري) بتجهم: هل تظن أن الجميع مثلك؟!.. أنت لست سوى سرطان يجب استئصاله من المجتمع!

(المريض): ماذا تنتظر إذاً؟.. اكتب تقريرك وتخلص مني..

صمت الاستشاري وبقي يحدق في أعين المريض لثوانٍ ثم نهض ووقف أمامه وقال: هل تريد شيئاً قبل رحيلي؟

(المريض) يمد علبة السجائر والولاعة للطبيب قائلاً: لا، شكراً

(الاستشاري): يمكنك الاحتفاظ بهما..

(المريض) ويده لا تزال ممدودة: احتفظ بها أنت وأتطلع لتدخينها في لقائنا القادم

(الاستشاري) وهو يأخذ العلبة والولاعة: لن يكون هناك لقاء قادم إذا أوصيت بأن تحاكم كعاقل

(المريض) وهو يستلقي على الأرض الإسفنجية ويغمض عينيه:
أعرف لذلك أقول لك إلى اللقاء في الزيارة القادمة..

خرج الاستشاري من الغرفة المبطنة وأغلقها خلفه وقبل رحيله أطل من نافذتها الزجاجية وقال محدثاً نفسه «لن تخرج من هنا قبل أن أعرف ما تعرفه عني..»

كل مجرمٍ سيكون ضحية

عاجلاً أم آجلاً . .

في ستة أيام

اليوم السادس

يترجل شخص من سيارته ويتقدم نحو باب أحد المنازل..

يطرق الباب بهدوء.. تفتح له سيدة بشعرٍ أحمر معقودٍ برباطٍ أبيض..

(السيدة) بارتياب وهي تشاهد رجلاً رث الهيئة يتنفس بعمق ويحدق بها: نعم؟.. بمَ يمكنني أن أساعدك؟

(الرجل) موجهاً نظره لقمة رأسها: الشريطة البيضاء التي تربطين بها شعرك جميلة..

(السيدة) وهي تلمس الشريطة وتقول بتوتر: شكراً..

يُخرج الرجل من جيب صدره سكيناً وينهال عليها بالطعنات حتى فارقت الحياة.. تسقط السيدة على الأرض جثة هامدة.. ينزل الرجل على ركبتيه ويبدأ باقتلاع عينيها بالسكين التي

استخدمها لقتلها ويضعها في جيبه.. يمسح نصل السكين على كمه.. نهض.. خرج.. عاد لسيارته وأدار المحرك وقادها مبتعداً عن المكان..

اليوم الخامس

رجل يدخل منزله ليلاً وعليه بوادر التعب والإرهاق الشديد.. ثيابه متسخة والرمال تملأ جيوبه وشفتاه جافتان ومتشققتان وجسده مُحمر.. تستقبله زوجته وتسنده وتقول بقلق شديد: ما بك؟!.. أين كنت الأيام الماضية لقد قلقت عليك كثيراً!

(الرجل) وهو يجلس: أريد ماء.. ماء..

هرعت الزوجة للمطبخ وأحضرت كأساً من الماء وناولته لزوجها فأخذه وبدأ يشرب بسرعة..

(الزوجة) وهي تراقب زوجها أثناء شربه للماء بنهم: ما الذي حدث؟ أين كنت؟

(الرجل) وهو يرمي الكأس جانباً: أعدي لي بعض الملابس الجديدة ريثما أستحم

(الزوجة): ألن تخبرني بما حدث؟

(الرجل) بعصبية: لا وقت لذلك الآن يجب أن ألحق بها قبل أن ترحل!

(الزوجة) باستغراب: عن من تتحدث؟

(الزوج) في حالة هستيرية: لقد أخبرني بأنها ستسافر ويجب أن ألحق بها قبل أن تهرب!

وقفت الزوجة بارتباك وهي تراقب زوجها وهو في تلك الحالة ولم تتحرك..

نهض الزوج من مكانه غاضباً ودفع زوجته جانباً وتوجه للمطبخ وبدأ يفتح الأدراج بعنف وأخرج سكيناً ثم عاد لغرفة المعيشة وهو ممسك بالسكين في يده وعندما رأته الزوجة في تلك الحالة قالت وهي مرعوبة: ماذا تنوي أن تفعل؟

تجاهل الرجل زوجته وخرج من المنزل على عجالة..

رجل يستيقظ في الصحراء ظهراً داخل سيارة.. المذياع يعمل لكن المحرك غير مدار والمفاتيح تتدلى من فتحة التشغيل.. ينهض الرجل وجسده يتصبب عرقاً ويحاول إدارة المحرك لكن السيارة لا تعمل.. يفتح الباب ويخرج ويستنشق بعض الهواء لإحساسه بالاختناق من الحر. رفع الرجل كفه عند جبينه ونظر للأفق ثم بدأ بالسير على الأقدام في العراء. بعد مسيرة ساعتين وصل لقرية صغيرة بمنازل معدودة وتوجه لأحدها وطرق الباب. ففُتح الباب وخرج منه رجل شاحب ونظر للرجل الآخر بصمت.

(الرجل) وهو يبلع ريقه: هل أجد عندك شربة ماء؟

(الرجل الشاحب) يشير لبئرٍ يبعد مسافة يسيرة من منزله

سار الرجل نحو البئر وعندما وصل إليه سحب الحبل وأخرج الدلو المملوء وبدأ يشرب وبعد ما ارتوى عاد أدراجه للمنزل نفسه وطرق الباب مرة أخرى ففتح الرجل الشاحب الباب وحدق به بصمت.

(الرجل) وقد استعاد بعض عافيته: أنا أبحث عن المعالج الشعبي في هذه القرية أين هو؟

(الرجل الشاحب): لا يوجد سوى سبعة منازل في هذه القرية.. ستجده بنفسك

أغلق الرجل الشاحب الباب..

(الرجل) وهو ينظر للبيوت الطينية الصغيرة الأخرى: سأجده دون مساعدتك..

سار الرجل بضنع خطواتٍ بين تلك المنازل حتى سمع صراخاً آتياً من أحدها فهرع نحوه واختلس النظر من إحدى نوافذه المكشوفة ليرى رجلاً ممسكاً بطرف سيخٍ حديدي طرفه الآخر مغروسٌ في ظهر رجل مُستلقٍ على الأرض وبعد ثوانٍ نهض الرجل الذي تعرض للكي برأس السيخ وشكر الرجل الآخر وتوجه للباب. فُتح الباب ليدخل الرجل الذي كان يختلس النظر بعد خروج من تعرض للكي ووقف أمام الشخص الممسك بالسيخ وقال: هل أنت المعالج هنا؟

نظر المعالج للرجل بارتياب وقال: نعم ماذا تريد؟

(الرجل): كنت أبحث عنك طويلاً..

(المعالج): أنت لست من أهالي القرية ولا يبدو أنك من المنطقة أيضاً

(الرجل): لا لكن علاجي عندك..

(المعالج): مِمَّ تشكو؟

(الرجل) وهو يخطف السيخ من يد المعالج ويغرسه في بطنه: من ألمٍ لن تعرف معناه أبداً!

(المعالج) وهو يمسك بالسيخ المغروس في بطنه ويصرخ متوجعاً: ماذا تفعل؟!

(الرجل) وهو في حالة من الهيجان: لقد كان عندك مساعدة في المدينة!.. امرأة!.. أين أجدها؟!

(المعالج) وهو يتألم وينزف من بطنه: عن ماذا تتحدث أيها المجنون؟!

(الرجل) وهو يحرك السيخ بشكل دائري في بطن الرجل: تحدث!!

(المعالج) وصراخه يرتفع من الألم: (أمينة)! اسمها (أمينة)!

(الرجل) وهو يغرس السيخ أعمق في بطن الرجل: وأين أجد هذه الـ(أمينة)؟!

قبل أن يقع المعالج على الأرض ميتاً أخبر الرجل عن مكان مساعدته وأخبره أيضاً أنها تخطط للسفر بعيداً..

(الرجل) وهو يقف فوق جثة المعالج: لن تلحق أن تسافر وتهرب قبل أن أجدها..

اليوم الثالث

رجل يسير في حي قديم.. يطرق بعض الأبواب ويسأل عن شخص ما.. يبحث عن طبيبٍ يعالج بالطب الشعبي.. جميع من سألهم أخبروه بأنه لم يعد للحي منذ أيام.. يستمر الرجل بالسؤال حتى يجد إجابة مختلفة.. طرق أحد الأبواب في الحي القديم.. تفتح له الباب امرأة عجوز تلف رأسها بوشاحٍ أسود وعلى جبينها نقش غريب من الحناء وعلى ذقنها وشمت بعض النقاط.

(الرجل): أنا أبحث عن المعالج الشعبي الذي كان يسكن هذا الحي

(العجوز): منزله في آخر الحي

(الرجل): أعرف لكنه غير موجود ولم يعد منذ أيام..

(العجوز) وهي تهم بإغلاق الباب: أنا أيضاً لا أعرف عنه أي شيء

وضع الرجل قدمه عند طرف الباب ومنع المرأة من إغلاقه ثم أخرج رزمة من الأموال ورفعها أمام ناظريها وهو يقول: أنا أحتاجه لعلاج شخصٍ عزيز علي ومستعد لأن أدفع أي مبلغ في المقابل

(العجوز) وهي تنظر للأموال: هذا المبلغ سيرشدك إلى عنوانه الجديد فقط

(الرجل) وهو يمد النقود للعجوز: لا أريد منكِ شيئاً غير ذلك

أخذت العجوز المبلغ وقالت: انتظر هنا وسوف أعود لك

أغلقت الباب وبقي الرجل في انتظارها لعدة دقائق أشعل

خلالها سيجارة وحدق ببعض الصبية الصغار وهم يلعبون الكرة تحت قيظ الشمس. انقطع تحديقه بهم عندما فُتح باب العجوز ولم يخرج منه سوى ذراعها الممدودة وبين أنامل يدها المنقوشة بالحناء ورقة صغيرة. التقط الرجل الورقة لتسحب العجوز ذراعها وتغلق الباب مرة أخرى. فتح الرجل الورقة وألقى نظرة على محتواها فوجد أنه عنوان يقع خارج المدينة فركب سيارته وأدار المحرك متوجهاً للمكان.

مع تقدم الرجل واقترابه من العنوان الذي أخذه من العجوز وجد نفسه في منطقة نائية وشبه خالية من العمران. كانت المناطق التي يراها حوله ويتجاوزها أشبه بالقرى الصغيرة وكانت البهائم في تلك المناطق أكثر من البشر. نزل قرص الشمس وحل الليل قبل أن يصل الرجل لوجهته ولم يكن هناك مكان كي يبيت فيه سوى سيارته وبما أن الطريق لم يكن مُعبّداً في تلك المنطقة قرر التوقف وأخْذ قسطٍ من الراحة واستكمال بحثه في الصباح. أطفأ محرك سيارته وأغلق الأبواب والنوافذ وأمال كرسيه للوراء واستلقى على ظهره وأغمض عينيه. كان

الهدوء في تلك المنطقة شبه الصحراوية مخيفاً وكانت الأصوات البسيطة للحشرات والحيوانات الصغيرة نشطة لذا تعكر صفو منامه وقرر تشغيل المذياع كي يحس ببعض الطمأنينة.

(المذيع): لنأخذ اتصالاً آخر.. تفضل عرّف بنفسك وأخبرنا عن قصتك

(المتصل): أنا (هادي) ولدي قصة غريبة

(المذيع): مرحباً بك يا (هادي) تفضل

(هادي): أعاني من صداعٍ مزمن منذ زمن طويل.. منذ ولادتي ربما.. لا أعرف

(المذيع): هل جربت أخذ المسكنات؟

(هادي): جربت كل شيء ولم أستفد، وجميع الفحوصات تشير إلى أني لا أعاني من شيء عضوي والأطباء يقولون بأني أتوهم لكن الألم حقيقي ويعكر حياتي

(المذيع): قصة غريبة بالفعل

(هادي): هذا ليس الأمر الغريب في قصتي

(المذيع): ماذا إذاً؟

(هادي): أعتقد أني اكتشفت طريقة غير تقليدية للعلاج لكنها طريقة غريبة ولا أرتاح لممارستها وأحس بتأنيب الضمير بعدها

(المذيع) ممازحاً المتصل: هل تتحدث عن الطب الشعبي؟.. الكثير من الناس يلجؤون له وبعضهم استفاد منه

(هادي): لا لا، طريقة أخرى

(المذيع): طريقة أخرى؟.. ما هي لعلك تفيد غيرك ممن يعانون من المشكلة نفسها

(هادي): بالقتل..

(المذيع) بتعجب: القتل؟.. هل قتلت أحداً يا (هادي)؟.. تذكر أننا كجهة مسؤولة مضطرون للإبلاغ عنك

(هادي) بتوتر: لا لا أنا لم أقتل أحداً

(المذيع): لكنك قلت للتو..

(هادي) مقاطعاً المذيع: دعني أكمل وستفهم ما أعني

(المذيع) بتوجس: حسناً أكمل

(هادي): في إحدى المرات عندما كنت أعاني من نوبة من نوبات الصداع الشديدة ربطت رأسي بعصابة من الماء الساخن لكن وكالعادة لم أستفد شيئاً وكنت في حالة نفسية سيئة جداً ولم أكن أريد رؤية أحد أو الحديث مع أحد وخلال معاناتي مرت أمامي ذبابة وحطت على أنفي

(المذيع): ذبابة؟

(هادي): نعم ذبابة.. وفي لحظة غضب وتوتر صفعتها بيدي وقتلتها

(المذيع): قتلت ذبابة؟

(هادي): نعم

(المذيع) بتهكم: لا تقلق يا (هادي) لا أظن أن هناك قانوناً يجرم قتل الذباب

(هادي): ماذا عن الكلاب؟

(المذيع): الكلاب؟

(هادي): نعم فبعد قتلي لتلك الذبابة الصغيرة خف ألم الصداع

بشكل بسيط ولم ألحظ ذلك في بادئ الأمر لكن وعندما عادت نوبة الألم مرة أخرى وكانت أشد من سابقتها نهضت من مكاني من شدة الألم وخرجت وقدت سيارتي نحو أقرب مستشفى بحثاً عن أي مخدر أو مسكن وخلال قيادتي للسيارة بدون تركيز من شدة الألم دعست كلباً كان قد عبر الطريق أمامي فنزلت من السيارة ورأسي ينبض من الألم وبقيت أراقب ذلك الكلب على الأرض وهو يتقلب مكانه في بركة من الدم حتى فارق الحياة

(المذيع): قصتك يا (هادي) حتى الآن ليست سوى عن قتل كائنات مستضعفة

(هادي): لكن مع موت الكلب اختفى الصداع تماماً

(المذيع): ماذا تقصد؟

(هادي): أقصد أني اكتشفت بعد تلك الحادثة أني كلما قتلت كائناً حياً زال صداعي وحجم الكائن مرتبط بالمدة التي أشعر فيها بالارتياح

(المذيع): هل هذا هو العلاج الذي كنت تتحدث عنه؟

(هادي): نعم ومنذ ذلك الوقت أعالج نوبات الصداع بهذه الطريقة

(المذيع): وهل استمررت في قتل الكلاب؟

صمت (هادي) ولم يرد..

(المذيع): هل ما زلت على الخط؟

(هادي): نعم نعم ما زلت معك

(المذيع): لم تجب على سؤالي

(هادي): لا.. توقفت عن قتل الكلاب وانتقلت لقتل كائنات أخرى.. كائنات أكبر

(المذيع) بقلق: كائنات من أي نوع؟

في هذه اللحظة غفت عين الرجل وغط في نومٍ عميق..

اليوم الثاني

هاتف يرن.. ورجلٌ مرهق لم ينم طيلة الليل يرفع السماعة..

(الرجل): مرحباً..

(رجل آخر): لقد وجدنا السيارة

(الرجل) بخليط من الفرح والقلق: هل هي بخير؟!

(الرجل الآخر): هل يمكنك الحضور لقسم الشرطة للتعرف على الجثة؟

(الرجل) بصدمة وهدوء: حسناً أنا قادم..

أغلق الرجل السماعة وبدأ بتبديل ملابسه بهدوءٍ غريب عكس الحالة التي كان بها في اليوم الذي سبق ليخرج بعدها ويركب سيارته متوجهاً لقسم الشرطة. عند وصوله استقبله المحقق ووضع يده على كتف الرجل المصدوم وقال: نحن لا نعرف حتى الآن ما إذا كانت هي أم لا لكننا نريد أن تلقي نظرة على الجثة كي نتحقق

(الرجل) بوجه بارد ومتبلد: أين هي؟

(المحقق) وهو يقوده للخارج: في المشرحة.. سوف أذهب معك لأن الجثة غير مسموح تسليمها لك في الوقت الحالي حتى ينتهي الطبيب الشرعي من تقريره

ركب الاثنان السيارة وتوجها للمشرحة وبعد دخولهما توجه المحقق لغرفة التشريح حيث كان الطبيب المسؤول موجوداً ويمجرد دخولهما عليه أشار المحقق بنظره له بأن يعرض الجثة عليهما فتوجهوا نحو طاولة مغطاة بقماشٍ أبيض رفعه ليكشف نصف الجثة العلوي وما أن كُشف الغطاء حتى وضع الرجل يده على فمه وبدأ يبكي.

(المحقق): هل تعرفت عليها؟

هز الرجل رأسه وهو يبكي بحرقة..

(الطبيب): بالرغم من اقتلاع العينين وبتر الأنف إلا أن ذلك لم يكن سبب الوفاة فالضحية تعرضت لتعذيبٍ كبير تركز في نصفها السفلي.. هل ترغبان بالمشاهدة

لم يحتمل الرجل كلام الطبيب وخرج من المكان بسرعة وهو يبكي بصوت مرتفع..

(المحقق) بنظرة غضب لـ(الطبيب): هل أنت أحمق؟!.. كيف تقول مثل هذا الكلام أمامه؟!

(الطبيب) بتعجب: ألستم هنا للتحقيق في القضية؟.. أي نوعٍ من الشرطة أنتم؟

أشار المحقق للطبيب بيده بإشارة بذيئة ثم خرج وراء الرجل الذي وجده راكعاً على الأرض في حالة انهيار تام.

(المحقق) وهو يقترب من الرجل بحزن ويضع يده على كتفه: لا تقلق سنجد الفاعل.. أعدك بذلك

(الرجل) وهو يقف ويستجمع قواه ويمسح دموعه: هل عثرتم على صاحب السيارة

(المحقق): اترك موضوع التحقيق لنا

(الرجل) وهو يصرخ في المحقق: لا تحاول أن تطلب مني الجلوس والانتظار حتى تمسكوا بالفاعل!

(المحقق) بهدوء: ملكية السيارة تعود لشخصٍ يمتهن الطب الشعبي ويعالج الناس في منزله

(الرجل) بغضب: ماذا تنتظرون إذاً؟!.. اقبضوا عليه!

(المحقق): لقد أرسلنا دوريتين لمكان إقامته لكننا لم نجد أحدًا

وأهل الحي يقولون بأنه لم يعد لمنزله منذ أيام

(الرجل) بصوت مرتفع: ابحثوا عنه في كل مكان!

(المحقق) بهدوء: أنا متفهم لحزنك وللحالة التي تعاني منها الآن لكن أرجو أن لا تتجاوز حدودك وتحاول التدخل في عملنا!

(الرجل) وهو يخرج من المشرحة غاضباً: تبّاً لك ولعملك!

اليوم الأول

عائلة صغيرة مكونة من رجل وزوجته وابنتهما الصغيرة. يتسوقون في مجمع تجاري كبير مكتظ بالناس فوق العادة بسبب التخفيضات التي أُعلن عنها مؤخراً. الفتاة الصغيرة والتي لم تتجاوز الخامسة من العمر تحاول مراراً التفلت من يد أمها للذهاب لقسم الألعاب لكن الأم تشد من قبضتها على ساعد ابنتها وهي تقول: سوف نذهب حالما ينتهي أبوك من اختيار نوع الشاي الذي يريد.

(الأب) وهو يتفحص بعض علب الشاي بكلتا يديه: أنا في

حيرة من أمري بين نوعية الشاي الذي اعتدت على شرائه وهذا النوع الآخر

(الأم): ولِمَ الحيرة؟.. ما الذي شدك لهذا النوع الجديد؟

(الأب) وهو يمد علبة الشاي الجديد لزوجته: مكتوب عليه «شاي أبيض».. هل يوجد شيء اسمه شاي أبيض؟

(الأم) تبتسم وتمسك بالعلبة: لِمَ لا تأخذ العلبتين؟

(الأب) وهو يأخذ علبة الشاي الأبيض ويعيدها للرف: لا لا لن أخاطر

(الأم): جرب فقد يعجبك

(الأب) وهو يضع علبة الشاي الأخرى في عربة التسوق: لن أُعَرِّض مزاجي للتعكر خصوصاً اليوم

(الأم) بقلق: لماذا؟.. ما بك اليوم؟

(الفتاة) وهي تحاول التفلت من قبضة أمها: أريد الذهاب لقسم الألعاب!

(الأم) وهي تنهرها: أخبرتك بأن تنتظري!

(الأب) وهو يتكئ على عربة التسوق ويقول بحزن: لقد اتصل بي الطبيب قبل أن نأتي إلى هنا ليخبرني بنتيجة التحاليل..

(الأم) وذهنها مشتت: وبماذا أخبرك؟

تمكنت الفتاة الصغيرة من التفلت من قبضة أمها في لحظة سرحانها وانشغالها بكلام الأب عن حالته الصحية وجرت بسرعة تجاه قسم الألعاب..

(الأب) منتبهاً لابنته الفارة: الحقي بها قبل أن تلحق الأذى بنفسها!

(الأم) تلتفت نحو نهاية الممر حيث خرجت ابنتها: عودي يا فتاة!

جرت الأم بخطواتٍ متسارعة خلف ابنتها والأب خلفها وهو يدفع عربة التسوق ويقول: لا تقلقي فقسم الألعاب قريب من هنا ولا بد أنها متوجهة لهناك

خرج الاثنان من الممر والتفتا يميناً وشمالاً ولم يَلمَحا ابنتهما فأكملا الطريق نحو قسم الألعاب لكنهما لم يجداها هناك أيضاً

وهنا توترت الأم وبدأت تبكي والأب يطمئنها ويقول لا تقلقي فنحن في مبنى مغلق ولن يسمحوا لفتاة صغيرة بالخروج وحدها.

(الأم) وهي لا تزال تبكي بحرقة: وما العمل الآن؟

(الأب) يشير لمكتب على بعد يسير منهما كُتب عليه «الأمن»: نحرر بلاغاً هناك وهم سوف يجدونها

أبلغ والدا الفتاة مكتب الأمن بالمجمع بما حدث فطمأنهما المسؤول بأنه سوف يقوم بالتعميم على كل رجاله الواقفين عند المداخل والمخارج عن مواصفات الفتاة كي يجدوها ولن تستطيع الخروج دون أن يروها، لكنه يحتاج قبلها وصفاً دقيقاً لها قدر الإمكان.

(الأب) على عجالة وتوتر: في الخامسة من العمر حنطية البشرة وسوداء الشعر تلبس فستاناً أزرقَ مزخرفاً ببعض النقوش الصفراء

(مسؤول الأمن) وهو يرفع جهاز اللاسلكي ويقربه من فمه: هل من شيء آخر تريد إضافته؟

(الأم) وهي تقطع نوبة بكائها: نعم نعم.. شعرها مربوط بشريطة بيضاء

عمّم مسؤول الأمن المعلومات لكل الحراس في المجمع ونبههم بأن لا تخرج أي فتاة بتلك المواصفات حتى وإن كانت برفقة أحد.

بقى والدا الطفلة في مكتب الأمن في انتظار أي خبر عن طفلتهما لكن الوقت قد مضى وشارف المجمع على الإغلاق وخلا من الناس ولم يقم أحد من الحراس بالابلاغ عن رؤيته للطفلة.

(الأم) بحزن وقلق: أين هي ابنتي؟!

(رجل الأمن): بعد إغلاق المجمع سوف نقوم بتمشيط المكان والبحث في جميع أركانه علها آذت نفسها ووقعت

(الأب) بتوتر: هل يمكنني المساعدة بشيء؟

(رجل الأمن): يمكنك البحث معنا والمناداة عليها بصوتك فقد تكون مختبئة وصوتك أو صوت أمها سيطمئنها ويدفعها للخروج

بعد البحث لساعات في المجمع دون نتيجة تذكر قرر ضابط الأمن إبلاغ الشرطة التي حضرت في الحال بقيادة محقق في أواخر الخمسين من عمره يرافقه مجموعة من الرجال:

(المحقق) بعد ما أخذ التفاصيل من رجل الأمن بالمجمع: بالطبع لديكم كاميرات للمراقبة؟

(رجل الأمن): نعم بالطبع

(المحقق): أريد محتوى التسجيلات لجميع الكاميرات خلال الأربع والعشرين ساعة الماضية

سلم رجل الأمن التسجيلات للمحقق والذي طلب من الأب إيصال زوجته للمنزل واللحاق به في القسم لأنها في ذلك الوقت كانت قد انهارت من البكاء وبدأت تهذي. بعد ساعة تقريباً وصل الأب لمركز الشرطة وجلس مع المحقق في غرفة التحقيق ومعهما جهاز تشغيل لاستعراض المواد المرئية المسجلة على كاميرات المراقبة في المجمع التجاري.

(المحقق) وهو يشغل الشريط الأول: سوف نستعرض محتوى الأشرطة في الفترة التي اختفت فيها ابنتك ونحتاج وجودك معنا

(الأب): لأي غرض؟

(المحقق): لا أحد منا يعرف شكل ابنتك وأنت أفضل شخص يمكنه مراجعة تلك الأشرطة معنا إذا أردنا أن نجدها بسرعة

(الأب) بتوتر وعينه تدمع: بالطبع أرغب أن أجدها بأسرع وقت!

(المحقق) وهو يشير للشاشة: ابدأ بمتابعة محتوى الشريط إذاً

وجه الأب نظره بعينٍ دامعة نحو الشاشة التي كان يعرض فيها مادة مرئية مُسرعة وصامتة لأفواج من الناس وهم يتجولون ويتسوقون في المجمع الكبير.

(الأب) بعد دقائق من المراقبة بصمت: لقد رأيتها!

المحقق باهتمام: أين؟

(الأب) وهو يشير للشاشة: انظر.. هنا!

ظهر على الشاشة تصوير للباب الخارجي لدورة المياه الخاصة بالنساء وكان الممر أمامها فارغاً

(المحقق) وعينه على الشاشة: أين؟ لا أرى شيئاً

(الأب) بتوتر وتركيز: انتظر قليلاً..

ظهرت على الشاشة سيدة تسير بسرعة وهي ممسكة بابنة الرجل ودخلت معها دورة المياه..

(الأب) بتوتر شديد ونبرة حادة: هل رأيت؟!.. هذه كانت ابنتي!

(المحقق) وهو لا يزال يراقب الشاشة: ومن تلك التي كانت معها؟.. هل تعرفت عليها؟

(الأب) وهو يلتفت على المحقق: كيف أتعرف عليها؟! ألا ترى أنها تلبس عباءة سوداء ووجهها مغطى بالكامل؟!

بعد ثوانٍ من العرض المُسرع خرجت السيدة ومعها ابنة الرجل لكن هيئة الفتاة كانت متغيرة فرباط شعرها قد حل وفستانها غُير وربط على رأسها وشاح صغير وسارت الاثنتان خارج نطاق التصوير.

(المحقق) وهو ينظر للتوقيت الزمني في ركن الشاشة: سنستعرض الشريط الخاص بتصوير المخرج الرئيس

(الأب): لماذا؟

(المحقق): نحن الآن نعرف وقت وقوع الجريمة وقد نحصل على صورة أوضح للمجرمة من زاوية أخرى

شغل المحقق الأشرطة كلها وراجعها في الفترة الزمنية نفسها التي ظهرت فيها الفتاة مع السيدة عند دورة المياه وتمكن من رؤيتهما تخرجان من المجمع دون أن يعترضهما أحد وتركبان سيارة مظللة بلوحات مغطاة.

(المحقق) وهو يطفئ جهاز التشغيل: لقد وجدنا أول خيط سيقودنا للخاطفين

(الأب) بتوتر: الحمد لله.. هل يمكنك إيجاد تلك السيارة بسهولة؟

(المحقق) وهو يشعل سيجارة: تغطيتهم للوحات قد يؤخرنا لكنه لن يمنعنا من إيجادهم.. سوف نتواصل مع المرور كي يساعدونا في هذا الشأن وكذلك إدارة المباحث الجنائية لتزويدنا ببعض المعلومات

(الأب) بقلق: وكم سيستغرق ذلك؟

(المحقق): لا تقلق سوف نبذل كل ما في وسعنا لإيجادها في أسرع وقت.. عد لمنزلك وانتظر منا اتصالاً

الاستسلام للواقع هو قاتل الأحلام . .

المصبوغ

هل من الغريب أن أكره شيئاً من المفترض أنه يجلب للناس البهجة والسعادة؟

مصدر لضحكاتهم وقهقهاتهم..

هذا الشيء يرعبني.. يرعبني جداً..

وجهه الملطخ بالألوان.. ابتسامته الكئيبة والحزينة..

ملابسه المزعجة بألوانها المشعة..

أستطيع رؤية ضيقه وحنقه وهو يتصنع الفرح..

اختلاطه بالأطفال أمرٌ مقزز.. عيناه المكتحلتان..

بياضهما محمر وغارقتان في الدموع..

أتذكر بوضوح أول مرة لمس فيها كتفي وهو يقول «تعال لنلعب».. مقزز.. مقزز بكل ما تعنيه الكلمة ولا تعنيه..

مسخ ملون تفوح منه رائحة التبغ والبعد عن الماء لأيام..

من خدعه وخدعنا وقال بأنه جميل ومحبوب..؟

أي عالمٍ مريض نعيش فيه ليُعتبر هذا المشوه رمزاً للمتعة؟

كبرت وما زلت أتقزز من ذلك المصبوغ النتن..

أمنع أطفالي من الاحتكاك به وبأمثاله..

زوجتي تحبه.. وتحب ملاعبته وممازحته لها..

كيف لا وهي مصبوغة مثله..؟

من يسأل سؤالاً خاطئاً فلا ينتظر

إجابة صحيحة . .

صخب الخسيف

فتاة في العشرين من العمر تلبس عباءتها وتخرج من منزلها عصراً وتركب سيارة سوداء ركنت للتو عند الباب. تجلس في المقعد الأمامي وتغلق الباب خلفها بقوة وتقول بعصبية: لِمَ تأخرت؟!

يرد عليها شاب في السابعة عشرة من عمره بلا اكتراث: لا تكثري الكلام وإلا فلن آخذك حيث تريدين الذهاب

(الفتاة) بتجهم: ركوبي معك هو لحاجة أقحمت علي فلو سُمح لي بالقيادة لما احتجت لك أو لغيرك!

(الشاب) بسخرية: حتى لو سمح لكِ بالقيادة فستحتاجين شخصاً لتعليمك إياها ولا يوجد أحدٌ غيري في حياتك يمكنه تعليمك

(الفتاة) بتذمر: أي نوعٍ من الإخوة أنت؟!

(الشاب) وهو يمد يده ويبسط كفه أمام أخته: النوع الذي يتقاضى ثمن مشاويره مقدماً

(الفتاة) تفتح حقيبتها وتخرج مبلغاً من المال وترميه في حجر أخيها وتقول بعصبية: هيا تحرك قبل أن أتأخر!

التقط الشاب الأموال التي تناثرت في حجره وتحت أقدامه وهو يضحك ويقول: إلى أين سنذهب اليوم يا ملكتي؟

(الفتاة) تُخرج مرآة من حقيبتها وتمعن النظر في شكلها: أخبرتك بأني معزومة على حفل تخرج صديقتي

(الشاب): وأين هذا الحفل؟

(الفتاة) تعيد المرآة لحقيبتها وتقول: في إحدى المزارع خارج المدينة.. على الخط الزراعي الشمالي على ما أظن

(الشاب): على ما تظنين؟!.. أنا لا أملك وقوداً كافياً كي أتجول بكِ في الطريق الزراعي للبحث عن مزرعة لا نعرف اسمها!

(الفتاة) وهي تشير بيدها لأخيها بالتحرك: لا تقلق فقد وصفت لي الطريق جيداً

(الشاب) يمسك بالمقود ويبدأ بالتحرك بسيارته وهو يقول: سوف أتقاضى منكِ مبلغاً إضافياً لو استغرق الأمر أكثر من ساعة

(الفتاة): حسناً حسناً تحرك ولا تكثر الكلام

بعد تجاوز عمران المدينة وسلوكهما الطريق الزراعي بدأت المزارع الخاصة والمعدة للإيجار اليومي تظهر على جانبي الطريق فقال الشاب لأخته وهو يجوب بنظره يميناً وشمالاً: ماذا الآن؟.. أين مزرعة صديقتك؟

(الفتاة) وهي تمعن النظر في أسوار المزارع التي تخطف أمامها بسرعة بوجه حائر: أبطئ من سرعتك قليلاً كي أستطيع الرؤية بشكلٍ أوضح

(الشاب) مخففاً سرعة السيارة وبنبرة متذمرة: أنتِ لا تعرفين الطريق أليس كذلك؟

(الفتاة) تنزل زجاج النافذة وتنظر للخارج: بلى بلى.. أمهلني دقيقة فقط..

بعد أقل من دقيقتين صرخت الفتاة مبتهجة عندما رأت لوحة إرشادية كُتب عليها «الخسيف» وأسفل منها سهمٌ باللون الأحمر يشير يميناً لطريق ترابي متفرع من الشارع الرئيس المعبد وقالت: هذه هي!

(الشاب) وهو يقف بسيارته بجانب اللوحة ويمعن النظر إليها: هل أنتِ متيقنة؟

(الفتاة) بحماس: نعم!.. نعم!.. هيا لقد تأخرت عليهم!

أدار الشاب المقود ودخل في الطريق الترابي وبدأ يسير ببطء متفحصاً مع أخته النخيل الطويلة التي أحاطت بهما بحثاً عن مدخل المزرعة. لم يكن في ذلك الزمن أي هواتف نقالة لذا وعندما وصل الاثنان للبوابة الرئيسة والتي كتب عليها «الخسيف» بلونٍ أحمرَ كذلك طلبت الفتاة من أخيها الانتظار حتى تتحقق من أنها في المكان الصحيح كي تسمح له بالرحيل والعودة لأخذها لاحقاً في موعدٍ محدد.

(الشاب) بعصبية: ولمَ أنتظر؟!.. ألم تقولي بأنكِ متيقنة من أنها مزرعة صاحبتك؟!

(الفتاة) وهي تحدق ببوابة المزرعة شبه المفتوحة بتوجس وريبة:

نعم لكن..

(الشاب): لكن ماذا؟؟!

(الفتاة) وهي تصرخ في أخيها الذي زاد من توترها: ما بك؟!..

لمَ تتصرف بحماقة دائماً؟!

(الشاب) وهو يزفر: حسناً!.. سأنتظر.. هيا اذهبي وعودي

بسرعة

(الفتاة) بعصبية: لقد وترتني وأخشى الدخول وحدي الآن!

(الشاب) بغضب: يا إلهي!.. تريدين العودة الآن أليس

كذلك؟!.. لقد اتفقت مع أصحابي أن أذهب معهم للعب

الكرة ولو عدت للمنزل الآن فسوف أستغرق وقتاً طويلاً ولن

يسعفني الوقت للحاق بهم!

(الفتاة) بهدوء وعينها على بوابة المزرعة: لا.. لا أريدك أن تعود

(الشاب) بتعجب: ماذا تريدين إذاً؟

(الفتاة) بابتسامة زائفة: انزل معي يا أخي الحبيب.. فقط حتى

أتثبت وأرى صديقاتي

(الشاب) بعصبية: ستقتلينني بطلباتك السخيفة!

(الفتاة) وهي تتصنع التودد: أرجوك!.. أرجوك!

(الشاب) وهو يفتح الباب بعبوس: هيا!.. لننتهِ من هذا اليوم!

نزل الاثنان من السيارة وسارا نحو بوابة المزرعة والفتاة خلف أخيها ممسكة بساعده في حالة توتر حقيقية. دفع الشاب البوابة التي أصدرت صريراً لم يتوقف حتى اصطدمت درفتها بنخلة ميتة كانت تقف خلفها. دخلا بخطوات حذرة وبطيئة ولم يسمعا أي صوت يدل على أن هناك مظاهر للاحتفال أو أي أحد من الأساس.

(الشاب) بصوت خفيض: هل أنتِ متيقنة من أننا في المكان الصحيح؟

(الفتاة) وتوترها يتحول لخوف: لا أعرف..

صرخ الشاب بقوة قائلاً: هل يوجد أحد هنا؟!

شدت الفتاة ذراع أخيها بقوة وهي تقول بحنق: ماذا تفعل؟!

(الشاب): ماذا تظنين أني فاعل؟.. إذا كان هناك أحدٌ هنا فسوف

يجيب علينا وإلا أعدتك للمنزل!

(الفتاة) وعيناها تجولان المكان بتوتر: هذا المكان مريب ولا أظنه المكان الصحيح

(الشاب): وما المريب فيه؟.. كل المزارع تبدو هكذا

(الفتاة) تشير للأرض: انظر..

(الشاب) يوجه نظره حيث كانت تشير أخته: ماذا؟.. لا أرى شيئاً

(الفتاة): انظر لذلك العصفور الميت على الأرض

(الشاب) منتبهاً لعصفورٍ صغير مقلوبٍ على ظهره يحيط به مجوعة من الذباب: نعم ما به؟.. عصفور ميت.. ما المشكلة؟

(الفتاة) تشير لمكان آخر على الأرض: انظر هناك

(الشاب): عصفور آخر ميت..

استمرت الفتاة تشير لعدة أماكن ملقى بها عصافير ميتة حتى بدأت الريبة والشك يتسللان لصدر أخيها مع ازدياد عدد العصافير النافقة وقال: حسناً الامر بدأ يصبح غير طبيعي.. ربما

صاحب المزرعة لديه هواية مريضة في قتل العصافير

(الفتاة): لا يهم ما السبب المهم أن نرحل من هنا فوراً..

في تلك اللحظة سمع الاثنان نداءً يأتي من داخل المزرعة لصوتٍ أنثوي. كان الصوت يستنجد ويقول: ساعدوني أرجوكم!

(الشاب): هل هذا صوت صديقتك؟!

(الفتاة) وهي مرعوبة: هيا لنخرج من هنا!

(الشاب): كيف نخرج وهناك من يستنجد بنا؟!

(الفتاة) بعصبية: لنخرج ونطلب لها الشرطة!

(الشاب) يتملص من قبضة أخته ويجري مسرعاً نحو مصدر الصوت: قد تكون مصابة ولا تملك وقتاً كافياً حتى تأتي الشرطة!

اختفى الشاب بين أشجار النخيل الميتة والتي امتلأت المزرعة بها وبقيت أخته متسمرة مكانها ترتجف من الخوف. بعد أقل من دقيقة سُمع نداء استغاثة آخر يأتي من الجهة نفسها لكنه هذه المرة كان صوت الشاب وهو يقول: النجدة!.. أين أنتِ؟!

(الفتاة) وهي تصرخ باسم أخيها: ما بك؟!.. هل وقع لك مكروه؟!

لم يرد الشاب على أخته مما دفعها للهرولة نحو الجهة التي أتى منها صوت استغاثته..

بعد جري قصير بين النخيل الميتة رأت الفتاة أخاها مستلقياً على الأرض بجانب بئرٍ كان فيما يبدو يُستخدم لسقي تلك المزرعة في السابق. جرت نحوه وبعد وصولها إليه جثت عند رأسه وهي تصرخ وتحاول إيقاظه لكن دون جدوى. بدأت تحاول حمله على كتفها لكنه كان ثقيلاً عليها ولم يتجاوب معها بسبب إغمائه فأمسكت بأقدامه وهمت بسحبه نحو بوابة المزرعة وقبل أن تتحرك سمعت صوتاً يُحدثها قائلاً: «هل تريدين الترياق؟»

رمت الفتاة أقدام أخيها مفزوعة وصرخت بصوتٍ مرتفع: مَن هناك؟!.. من هناك؟!

(صوت قادم من البئر): لا داعي للصراخ فأنا قريب منكِ..

توجهت الفتاة بسرعة ونظرت في فوهة البئر المظلمة وقالت: من أنت ؟!.. هل سقطت في البئر؟!

(الصوت القادم من البئر): أنا هنا منذ سنين..

(الفتاة) بتوتر دون أن تركز في كلام الصوت القادم من البئر: لا تقلق سوف أطلب لك المساعدة حالما أُخرج أخي من هنا!

(الصوت القادم من البئر): أخوك سيموت بعد قليل إذا لم يحصل على الترياق

(الفتاة) بتعجب: ترياق؟.. أي ترياق؟!

(الصوت القادم من البئر): ترياق للسم الذي يجري في عروقه الآن..

(الفتاة) وقلقها وتوترها يزدادان: سم؟!.. كيف تسمم؟!.. هل تعرض للدغة؟!

(الصوت القادم من البئر): الثواني تمضي وأوراق عمره تتساقط..

(الفتاة) وقد بدأت تستعيد تركيزها قليلاً وتقول باستغراب: ما الحكاية؟.. هل هذه مزحة؟.. هل أنت متفق مع أخي كي تخيفاني؟

بدأ أخو الفتاة يسعل بقوة لكنه لم يفق من غيبوبته وبدأت بعض

الدماء تخرج من فمه وأنفه فجثت أخته بجانبه وبدأت تصرخ وتبكي بقلق وهي تقول: ما بك يا أخي؟!.. ما بك؟!

(الصوت القادم من البئر): إذا لم يحصل على الترياق فسوف يموت خلال دقائق..

نهضت الفتاة بأعين دامعة ووجهٍ غاضب وصرخت في فوهة البئر بقوة: كُف عن الألاعيب وأعطني الترياق!!

(الصوت القادم من البئر): لن تحصلي عليه دون مقابل..

(الفتاة) وهي تمسح دموعها بتوتر شديد: مقابل؟.. ماذا تريد؟

(الصوت القادم من البئر): أن تحلي أحجية..

(الفتاة) وقد بدأت تبكي مرة أخرى: أرجوك كف عن التلاعب بي!.. أخي سيموت.. أرجوك!

(الصوت القادم من البئر): حل أحجية واحدة هو ثمن الترياق..

(الفتاة) وهي تبكي بحرقة: حسناً.. حسناً.. ما هي أحجيتك؟!

(الصوت القادم من البئر): ما الذي لا يمكننا مسكه لمدة طويلة مهما فعلنا؟

(الفتاة) وقد بدأت تهدأ قليلاً: ماذا؟

(الصوت القادم من البئر): ما الذي لا يمكننا مسكه لمدة طويلة مهما فعلنا؟

(الفتاة):.. لا أعرف.. ربما الجمرة..

(الصوت القادم من البئر): النفس..

(الفتاة) وهي مشتتة: ماذا؟.. نفس ماذا؟

(الصوت القادم من البئر): هل ترغبين في أحجية أخرى؟

(الفتاة): لقد أجبتك

(الصوت القادم من البئر): يجب أن تكون إجابتك صائبة كي أمنحك الترياق.. هل ترغبين في أحجية أخرى؟

(الفتاة): أرجوك توقف عن ذلك..

(الصوت القادم من البئر): هل ترغبين بأحجية أخرى..؟

(الفتاة) وهي تصرخ في البئر: حسناً بسرعة قبل أن يموت أخي!

(الصوت القادم من البئر): ما الذي لن تستطيعي الحفاظ عليه

حتى تهبيه لغيرك؟

(الفتاة): أمهلني ثواني لأفكر..

(الصوت القادم من البئر):...

(الفتاة):...

(الصوت القادم من البئر): الوعد..

(الفتاة) بحزن شديد: أرجوك أنا لا أجيد حل الأحجيات..

أعطني الترياق!

(الصوت القادم من البئر): هل ترغبين في أحجية أخرى..؟

(الفتاة): لا!

(الصوت القادم من البئر): سيموت أخوك إذاً..

(الفتاة): أنت تجيد قول الأحاجي فقط لكنك لن تجيد حلها لو أُلقيت عليك

(الصوت القادم من البئر): أنا أجيد ما أمارس يا إنسية..

(الفتاة): إنسية؟.. وما تكون أنت؟.. جناً؟

(الصوت القادم من البئر): خلق من خلق الله..

(الفتاة) بتهكم: إذاً اسمع يا ملك الأحاجي.. إذا استطعت حل أحجيتي يمكنك قتلي مع أخي أما إذا فشلت وسوف تفشل فتعطيني الترياق.. ما رأيك؟

صوت زمجرة قادمة من البئر..

(الفتاة): ما قولك؟

(الصوت القادم من البئر): لكِ أحجية واحدة وبعدها تهلكين مع أخيك..

(الفتاة): موافقة.. ولن أمهلك الكثير من الوقت فحاول أن تكون سريع البديهة

صوت زمجرة قادمة من البئر..

(الفتاة): عندما تجهلني يكون لي وجود وعندما تعرفني أنتهي فمن أنا؟

(الصوت القادم من البئر):...

(الفتاة) بسخرية: هيا يا ملك الأحاجي ما هي الإجابة؟

(الصوت القادم من البئر):...

(الفتاة) بتهكم: الإجابة هي «الأحجية» يا أحمق.. كنت أظنك أذكى من ذلك

صوت زمجرة قوية جداً آتية من البئر تساقطت على أثرها بعض أوراق النخيل اليابسة على الأرض..

(الفتاة) وهي تصرخ في البئر: أين الترياق؟!

(الصوت القادم من البئر): ارمي الدلو في البئر واسكبي الماء عليه وسيتعافى

نفذت الفتاة ما قاله صاحب الصوت القادم من البئر فاستفاق أخوها فعانقته وهي سعيدة ومبتهجة: الحمد لله!.. الحمد لله!

بدأت الفتاة بمعاونة أخيها على النهوض كي تهم بالرحيل لكن الصوت القادم من البئر عاود الحديث معها قائلاً: هل ترغبين في أحجية أخرى..؟

(الفتاة) وهي تضع ذراع أخيها على رقبتها وتبدأ بالسير نحو بوابة المزرعة ومبتعدة عن البئر: لم يعد لي حاجة بأحاجيك السخيفة..

سارت الفتاة نحو مخرج المزرعة وقبل أن تبتعد كثيراً عن البئر سمعته يقول: سوف أخبرك عن من وشى بكِ عند خطيبك السابق وجعله يفسخ خطوبته لك..

توقفت (الفتاة) عن السير وارتسمت على وجهها علامات الغضب لتذكرها هذا الموضوع القديم لكنها لم تعد للبئر واستمرت بالسير حتى خرجت من المزرعة ووضعت أخاها في المقعد الخلفي وقالت له: هل يمكنك القيادة؟

(الشاب) وهو في حالة إرهاق وتعب شديد: نعم أظن ذلك لكني أشعر بقليل من الدوار ورؤيتي مشوشة قليلاً

(الفتاة) تمسح بكفها على صدره وتقول: ارتحْ قليلاً حتى تستعيد عافيتك ثم سنرحل من هنا

جلست الفتاة في مقعد السائق تقضم أظافرها وهي سارحة أمامها تفكر في آخر كلام قاله البئر لها واستمرت بتلك الحالة لدقائق قليلة حتى نفد صبرها وفتحت الباب ودخلت المزرعة مرة أخرى وتوجهت للبئر ووقفت عند فوهتها وقالت بعصبية: من؟!.. من وشى بي عند خطيبي السابق؟!

(الصوت القادم من البئر): لا يوجد إجابات دون مقابل..

(الفتاة) بثقة: هات ما عندك من أحاجي

(الصوت القادم من البئر): لا.. أنتِ من سيلقي بالأحاجي وإذا لم أحل واحدة منها أجبتك

(الفتاة): أحجية واحدة فقط تخطئ فيها وستعطيني الإجابة أليس كذلك؟

(الصوت القادم من البئر): بلى.. هاتي ما عندك..

(الفتاة): حسناً.. ما الجريمة التي لا يمكن لأي قانون في الدنيا أن يحاسبك عليها؟

(الصوت القادم من البئر) وبسرعة شديدة: الانتحار.. هاتي ما عندك

(الفتاة) وهي تبتسم: يبدو أنك متحمس.. حسناً.. ليس بيد أو قدم وله إبهام وأربعة..

(الصوت القادم من البئر) مقاطعاً الفتاة بسرعة: القفاز.. هاتي ما عندك

(الفتاة) بتهكم وبانبهار: يبدو أن هزيمتي السابقة لك قد

جرحت كبرياءك..

(الصوت القادم من البئر): هاتي ما عندك..

(الفتاة): يجب أن تكسرني قبل أن..

(الصوت القادم من البئر) مقاطعاً الفتاة بسرعة خاطفة:

البيضة.. هاتي ما عندك

(الفتاة) بتعجب: كيف استطعت..؟.. يبدو أنك غلبتني أيها

البئر..

(الصوت القادم من البئر) بنبرة بها بعض الضيق والحنق: حان

دوري الآن..

(الفتاة) وهي تهم بالرحيل مبتسمة: لا، شكراً لقد غيرت رأيي

ولا أريد معرفة شيء

قبل أن تبتعد الفتاة عن البئر سقطت إحدى أشجار النخيل

عليها وثبتتها بالأرض بعد ما حطمت سيقانها فصرخت بقوة

من شدة الألم وبدأت تستنجد بأخيها.

(الصوت القادم من البئر) بنبرة غاضبة: لن يسمعك أحد ولن تخرجي من هنا إلا إذا قدمتِ لي إجابة صحيحة على أحجية واحدة فقط

(الفتاة) بصوت مرتفع مشبع بالألم: هل أنت معتوه؟!

(الصوت القادم من البئر): سنبدأ عندما توافقين..

(الفتاة) وهي تصرخ: حسناً!.. حسناً!..

(الصوت القادم من البئر): أعيش مع النور وأموت به.. من أنا؟

(الفتاة) وهي تتلوى من الألم: لم أسمع الجزء الأخير..

(الصوت القادم من البئر): الظل..

سقطت نخلة أخرى على النخلة التي كانت الفتاة مثبتة تحتها..

(الفتاة) تصرخ بعصبية بالرغم من ألمها: أنت تتحايل كي تغلبني!

(الصوت القادم من البئر): هل ترغبين في أحجية أخرى؟

بدأت أنفاس الفتاة تضيق وتتنفس بثقل لكنها تمكنت من

فول: نعم

(الصوت القادم من البئر): أرض لا ترضى بالأرض وتُبحر في البحر بلا حرية.. ما هي؟

(الفتاة): السفينة؟

(الصوت القادم من البئر): الجزيرة..

سقطت نخلة ثالثة على الفتاة..

(الفتاة) وهي تصدر صوتاً مكتوماً من الألم المبرح: إجابتي صحيحة!

(الصوت القادم من البئر): هل ترغبين في أحجية أخرى؟

(الفتاة) بصوتٍ خفيض يعج بالألم: نعم!

(الصوت القادم من البئر): نأكل اللحم ونعيش في اللحم ونحن عظام.. ما نحن؟

(الفتاة) وقواها بدأت تخور: لا أعرف..

(الصوت القادم من البئر): الأسنان..

أسندت الفتاة رأسها للأرض وأعينها زائغة في انتظار النخلة الرابعة لتسقط عليها لكن ذلك لم يحدث..

(الصوت القادم من البئر): هل ترغبين بأحجية أخيرة؟

(الفتاة) بلسان خدر: لمَ لا..؟

(الصوت القادم من البئر): لا وجود لي وحاضر للأبد.. لا أرى ولا يراني أحد.. لا حياة بدوني ولا موت.. أولد كل غد وأموت كل يوم..

أغمضت الفتاة عينيها ولم ترد..

(الصوت القادم من البئر):.. المستقبل..

سقطت النخلة الرابعة مباشرة على رأس الفتاة وهشمته بالكامل..

من يراك بعينيه ليس

كمَن يراك بقلبه . .

مليحة

عائلة مكونة من أم وأب وابنتهما الصغيرة يقيمون في مزرعة مسورة معزولة وسط الصحراء. تربت تلك الصغيرة بلا إخوة أو أصدقاء ولم ترَ في حياتها سوى أبويها. كانت حياتها هادئة معظم الوقت. لكن مرة من كل عام يتعكر صفو تلك الحياة بسبب شيء كانت تسميه «المزعجين». هؤلاء «المزعجون» كما أسمتهم الفتاة الصغيرة (مليحة) يظهرون لهم فجأة في المزرعة ويثيرون الرعب في قلوبهم. مما كان يدفع بأبويها إلى هجر المزرعة مؤقتاً والبقاء خارجها لعدة أيام إلى أن يرحل «المزعجون» ورغم ذلك لم يصادف أن رأتهم (مليحة) من قبل لكنها سمعتهم كثيراً. تسمع عبثهم في منزلهم الصغير وسط المزرعة وتقليبهم لمقتنياتهم ومهما سألت أبويها وتساءلت قائلة: «من هؤلاء؟! ولمَ يأتون كل عامٍ للعبث بمنزلنا؟» تأتيها الإجابة نفسها من أمها أو أبيها: «ما زلتِ صغيرة على معرفة هويتهم». ومع تقدّم (مليحة) الصغيرة في العمر كانت تصاب بالرعب الشديد عند زيارة « المزعجين»

لهم ويتحول رعبها مع مرور الأيام وهم خارج أسوار المزرعة للتذمر فهي مع أهلها كانوا يمضون أياماً في العراء بسبب تلك الزيارة السنوية المقلقة.

(مليحة): لِمَ لا نطردهم يا أبي؟! لِمَ نبقى في العراء بينما هم يغزون ويستبيحون منزلنا؟

(الأب): سيرحلون عاجلاً أم آجلاً يا ابنتي.. لا تقلقي

(مليحة): من؟ من سيرحل؟.. أخبرني!.. أريد أن أعرف من هؤلاء المزعجون

(الأم): سنخبرك عندما..

(مليحة) مقاطعة أمها بعصبية: أعرف! أعرف!.. ستخبرانني عندما أكبر!

(الأب) مبتسماً: نعم

(مليحة): هل يمكنكما على الأقل إخباري سر خوفنا منهم؟

صمت الأبوان ولم يجيبا على ابنتهما..

(مليحة) بغضب: لِمَ لا تجيبانني؟!

(الأب): لِمَ لا تذهبين بنفسك وترينهم؟

(مليحة) بتعجب يخالطه بعض التوتر: حقّاً؟.. ألن تمانعا؟

(الأب) ملتفتاً على زوجته: ما رأيك؟

(الأم): أعتقد أنه قد حان الوقت لكي ترى من هم (المزعجون)..

لقد كبرتِ ويمكنك استيعاب الأمر

(مليحة) بقلق: ألن تذهبا معي؟

(الأب): أنتِ من يصر على رؤيتهم لذا سنوصلك فقط إليهم

(مليحة): نعم.. لكن..

(الأم): لستِ مجبرة يا ابنتي على ذلك يمكنك الانتظار سنة أخرى

(مليحة): هل سأتعرض للخطر؟

(الأب): لا ولكن قد تتعرضين للألم

(مليحة): الألم؟.. ماذا تقصد يا أبي؟

(الأب): هيا.. سأرافقكِ إلى السور وعندها يمكنكِ أن تقرري

إن كنتِ تريدين الدخول أم لا

توجه الأب مع ابنته للمزرعة ليلاً مُتحذِّرين من عراء الصحراء ومع اقترابهما من سورها رأيا نوراً آتياً من باحتها.

(مليحة): ما هذا الوميض يا أبي؟

(الأب) وقد بدأت معالم القلق تظهر عليه: نار.. يحبون إشعالها ليلاً..

(مليحة) وهي تبحث بنظرها: لا أرى أيّاً منهم يا أبي

(الأب) ومظاهر الخوف متجلية عليه: لن أتقدم أكثر.. أكملي أنتِ

(مليحة): ما بك يا أبي؟

(الأب) بتوتر: تذكري أن تنظري فقط.. لا تحاولي الحديث معهم.. لا تحاولي التواصل معهم بأي شكل.. هل فهمتِ؟

(مليحة) بقلق: هل هم خطرون إلى هذا الحد يا أبي؟! هل يمكنهم قتلي؟

(الأب) ونظره للنار المتقدة في الأفق: لا، خطورتهم ليست لتلك

الدرجة.. لكن عاجلاً أم آجلاً يجب عليكِ رؤيتهم

(مليحة) بنبرة صارمة وهي تتقدم نحو السور: حسناً!.. سوف أذهب وأراهم إذاً وليحدث ما يحدث

(الأب) مراقباً ابنته وهي تسير عبر السور: لا تقلقي يا ابنتي فهم مجرد «إنس»..

لا أحد يدمرنا دون أن نسمح له . .

الحاسة السابعة

رجل يقترب سيراً على أقدامه من نادٍ صحيٍّ عصر أحد الأيام..

يفتح الباب ويدخل ليستقبله رجلٌ رياضي الجسم بابتسامة قائلاً: «مرحباً بك.. كيف يمكنني خدمتك؟.»

نظر الشاب حوله ثم قال: أريد جلسة مساج

(الرجل): هل هذه أول زيارة لك؟

(الشاب): نعم

(الرجل) وهو يخرج دفتر سجلات كبيراً من الدرج: ومن أخبرك عن المكان؟

(الشاب) بتوتر: هل هذا السؤال ضروري؟

(الرجل) مبتسماً: لا أبداً لكننا نحب معرفة هذه المعلومة لأغراض تسويقية فقط

(الشاب): من صديق.. صديقي أخبرني عن هذا المكان

(الرجل) وهو يهم بالتدوين في السجل: هل يمكنك تزويدي باسمك؟

(الشاب) بتوتر: هل هذا ضروري أيضاً؟

(الرجل) يغلق السجل ويقول: لا.. اتبعني

سار الرجل ومن خلفه الشاب المتوتر ودخلا لممر كان خلف مكتب الاستقبال حتى وصلا لغرفة صغيرة فتحها الرجل وأشار للشاب بالدخول والانتظار بداخلها.

(الشاب) بتوجس: ألن تتقاضى قيمة الجلسة؟

(الرجل) وهو يهم بالرحيل: من سيقوم بالمساج سيتفق معك على الأجرة لأنه من الواضح أنك لم تأتِ للمساج فقط

جلس الشاب على حافة سرير صغير توسط الغرفة وبعد مضي دقائق دخل عليه رجل ممتلئ الجسد أصلع الرأس بلا شارب أو لحية. كان أبيض البشرة ويلبس رداءً قطنياً أخضر اللون وقال مبتسماً: كيف حالك؟

(الشاب) بتوتر: هل أنت (قيس)؟

(قيس) مبتهجاً: نعم كيف عرفت؟!

(الشاب): لقد أتيت خصيصاً لك

(قيس) يمد للشاب سروالاً داخلياً صغيراً ويشير له بتبديل ملابسه في الغرفة الأخرى قائلاً: غير ملابسك الآن وستتحدث لاحقاً

بدل الشاب ملابسه واستلقى بظهره على السرير الصغير وعلامات التوتر والقلق بادية عليه. وقف (قيس) بجانب السرير وبدأ يفرك كفيه ببعض الزيوت قائلاً: انقلب على بطنك

نفذ الشاب ما طُلب منه فبدأ (قيس) بتدليك رقبته وأكتافه والحديث معه..

(قيس): من أرسلك؟

(الشاب) ووجهه للأسفل: ماذا تقصد؟

(قيس) وهو مستمر بالتدليك: من أخبرك عني؟

(الشاب): صديقي.. (أحمد)..

(قيس): أي (أحمد)؟.. الفتى الأسمر أم الشاب الأبيض النحيل؟

(الشاب): نعم نعم.. النحيل

(قيس) مبتسماً وهو يدلك رقبة الشاب: آه ذلك الـ(أحمد).

كيف حاله؟

(الشاب): بخير..

(قيس): لمَ أنت متوتر.. رقبتك متشنجة جدّاً

(الشاب): لا أبداً لكنها أول مرة..

(قيس): أول مرة تقوم بمساج؟

(الشاب): لا.. أقصد أول مرة أقوم بالشيء الآخر

(قيس): هل أخبرك (أحمد) عن القيمة التي أتقاضاها؟

(الشاب): نعم أخبرني

(قيس) وهو يشد في تدليكه: الأمر لا يتعلق بالمال فقط..

(الشاب): يتعلق بماذا إذاً؟

(قيس): استعدادك..

(الشاب) بتوجس: استعدادي لماذا؟

(قيس): لتحمل الألم الذي قد ينجم عن هذه التجربة..

(الشاب): لا أمانع الألم..

(قيس) وهو يربت على كتف الشاب قائلاً: حسناً.. اجلس..

جلس الشاب على طرف السرير فقام (قيس) بسحب كرسي والجلوس أمامه..

(الشاب): هل سنقوم بذلك الآن؟

(قيس): نعم.. حاسبني أولاً..

(الشاب): المال في محفظتي في غرفة التبديل

(قيس) مبتسماً: لا بأس تبدو شخصاً يمكن الوثوق به

(الشاب): ماذا تريد مني أن أفعل الآن؟

(قيس): قبل ذلك.. أريد أن أتحقق من أنك تفهم ما سنقوم به..

(الشاب): نعم أعرف.. سوف تفتح عيني الثالثة

(قيس): من أين أتيت بهذا المصطلح الغريب؟

(الشاب): من الإنترنت

(قيس) وهو يزفر بخيبة: أصبح الجميع يفتي في هذا الأمر..

(الشاب): ماذا تسميها إذاً؟.. تحرير الطاقة؟

(قيس): كل هذه مسميات لأناس لا يفقهون في علمنا شيئاً

(الشاب): علمني إذاً؟

(قيس): هناك مرحلتان لما تريد أن تقوم به.. أو بمعنى أصح ما سأقوم به أنا.. مرحلة مبتدئة وهذا ما سأقدمه لك وهي حالة ستبقى معك لأيام وستزول.. وهذه تعرف بـ «التنشيط»..

(الشاب): وما المرحلة الأخرى؟

(قيس): «التفعيل»..

(الشاب) بحماس: نعم! نعم!.. أريد هذه!

(قيس) مبتسماً: هذه لن تحصل عليها لو دفعت لي أموال الدنيا كلها..

(الشاب) وحماسه يفتر: لماذا؟!

(قيس) بصرامة: لا تجادلني.. هل تريد التنشيط أم لا؟.. وإلا فارحل من هنا فوراً!

(الشاب): حسناً.. حسناً.. ماذا تريد مني الآن؟

(قيس) وهو ينهض ويقف ويضع يديه على رأس الشاب ويبدأ بتفحصه بأنامله بأعين مغمضة: لا شيء سوى تنفيذ ما سأطلبه منك حرفياً

(الشاب): حسناً..

(قيس): أولاً يجب أن تعطل جميع حواسك وأن لا تستخدمها خلال التنشيط..

(الشاب): كيف؟

(قيس): كم حاسة لدى الإنسان؟

(الشاب): خمس..

(قيس): اذكرها

(الشاب): الشم واللمس والنظر و..

(قيس): والتذوق والسمع

(الشاب): نعم

(قيس): لا تبلع ريقك حتى ننتهي وهذا سيعطل حاسة التذوق.. أغمض عينيك كي تعطل النظر..

(الشاب) يضع سبابتيه في أذنيه..

(قيس): ماذا تفعل؟

(الشاب): أعطل حاسة السمع

(قيس) يضحك ويخرج بعض القطن من درج كان بالقرب منه: تعطل السمع باستخدام اللمس؟

(الشاب): أوه نسيت..

(قيس) وهو يلعق بلسانه قطعتي قطن صغيرتين وقبل أن يدفسهما في أذني الشاب وفتحات أنفه: هكذا نعطل السمع والشم معاً.. حاول أن تتنفس من فمك ثم أغمض عينيك مرة أخرى

(الشاب) بصوتٍ مرتفع قليلاً: ماذا عن اللمس؟

(قيس): انزل عن السرير وابقَ واقفاً هذا سيكفي

(الشاب) بصوت مرتفع: لا أسمعك جيداً!

(قيس) يشده من ذراعه ويوقفه ثم يشير له بإغماض عينيه..

أغمض الشاب عينيه وبعد ثوانٍ بدأ يُحس بأنامل (قيس) وهي تحوم حوله وتلمس جلده برفق في عدة أماكن حتى أحس فجأة بألم خلف عنقه هوى على أثره نحو الأرض لكن (قيس) التقطه قبل وقوعه وأخرج القطن من فتحات أنفه وأذنيه وبدأ يصفعه بخفة قائلاً: هيا انهض!

فتح الشاب عينيه ليرى (قيس) ينظر إليه مبتسماً ويقول: كيف تشعر الآن؟. نهض وجلس على الكرسي واضعاً يده على رأسه وهو يقول: ما الذي حدث؟

أجابه (قيس) خلال ترتيب المكان قائلاً: لقد تم تنشيط هالتك وسوف يستمر التنشيط لثلاثة أيام كحدٍّ أقصى.

(الشاب): ما الذي سأشعر به تحديداً؟

(قيس) يخرج هاتفاً نقالاً من جيبه وينظر لشاشته ويقول: أعطني رقماً للتواصل معك

(الشاب): لماذا؟

(قيس): صدقني ستحتاج للتواصل معي عندما تراهم.. لا تقلق هذه استشارة مجانية تأتي مع التنشيط

(الشاب): أرى من؟

(قيس): أنا لا أملك اليوم بطوله.. زودني برقمك فقط

أملى الشاب رقمه لـ(قيس) الذي قاده لباب الخروج وهو يقول له: أهم نصيحة يمكن أن أقدمها لك هي أن لا تجزع مهما رأيت ولا تستغرب إذا لم تستطع النوم اليوم.

- مكالمة اليوم الأول.. بعد ٧ ساعات من التنشيط.. الحادية عشرة ليلاً:

(قيس) يخرج هاتفه من جيبه ويرد: كيف حالك؟

(الشاب) بصوتٍ متوتر: الحمد لله.. أريد أن أسألك بعض الأسئلة إذا سمحت

(قيس): نعم تفضل

(الشاب): بدأت أسمع..

(قيس): تقصد الأصوات التي تظهر عندما تكون وحدك

(الشاب): نعم.. أحس أن هناك مجموعة من الناس يتهامسون حولي وعني

(قيس): لا تخف تجاهلها فقط

(الشاب): لكنها مزعجة ومخيفة أحياناً

(قيس): الأمر طبيعي وسيزول

(الشاب): هناك أمرٌ آخر

(قيس): ما هو؟

(الشاب): بدأت أرى لمعة غريبة في أعين بعض الناس

(قيس): هؤلاء أصحاب هالات قوية

(الشاب): ماذا يعني ذلك؟

(قيس): هل لديك أي أسئلة أخرى؟

(الشاب): لا

أغلق (قيس) الخط...

- مكالمة اليوم الثاني.. بعد ٢٢ ساعة من التنشيط.. الثانية ظهراً:

(قيس) يفتح خط هاتفه: كيف حالك اليوم؟

(الشاب) بصوتٍ أكثر جزعاً وتوتراً من الأمس: بدأت أرى أشياءَ أكثر غرابة اليوم؟

(قيس): هل حاولت النوم بالأمس؟

(الشاب): نعم ولم أستطع أن أغفو للحظة.. الأصوات.. الأصوات والهمسات بدأت تتحدث معي ليلاً.. صوتها بات أكثر وضوحاً من النهار..

(قيس): ماذا عن اليوم؟

(الشاب): بدأت أرى ألواناً..

(قيس): تقصد السحابة التي تحيط بالأشخاص؟

(الشاب): نعم.. نعم.. رأيت سحابة صفراء خفيفة حول أختي تزول بتحركها وسحابة حمراء حول أبي أيضاً.. ما معنى هذا؟

(قيس): أختك تشاجرت مع أحد [illegible]

[illegible]

(الشاب) باستغراب شديد: صحيح.. كيف عرفت؟

(قيس): هذا علم لن ينفعك.. هل لديك أسئلة أخرى؟

(الشاب): نعم.. سحابة أمي كانت سوداء وأكثر كثافة من سحابة أختي وأبي.. ما معنى ذلك؟

(قيس):....

(الشاب): هل ما زلت على الخط؟

(قيس): نعم.. هل لديك سؤال آخر؟

(الشاب): لم تجبني عن سؤالي الأخير.

(قيس): ولن أجيبك.. هل لديك سؤال آخر؟

(الشاب) بقلق: لمَ لا تجيب.. هل أمي في خطر؟

(قيس): الأعمار بيد الله.. حاول أن لا تطيل في المكالمة فلدي مكالمات أُخرى

(الشاب): سؤال أخير إذا سمح وقتك

(قيس): تفضل

(الشاب): كنت أتحدث مع صديق لي بالأمس وخلال حديثنا همس صوت بأذني وقال «إنه يكذب عليك».. هل أنا واهم؟.. وبالمناسبة هذا الصوت يهمس في أذني من وقت لآخر بأشياء لا أفهم معظمها وهمساته تكون غالباً خلال حديثي مع أشخاص آخرين

(قيس): هذا قرينك فقد تنشط بتنشيط هالتك سيتوقف عن الهمس بعد الخمول

(الشاب): خمول ماذا؟

(قيس): خمول التنشيط

(الشاب) بصوتٍ متعب: حسناً

أغلق (قيس) الخط...

- مكالمة اليوم الثالث.. الرابعة والنصف فجراً:

(قيس) يفتح خط هاتفه: كيف حالك اليوم؟

(الشاب) بتوتر شديد: سيد (قيس)!.. هل هذا أنت؟!

(قيس) بهدوء: نعم هدئ من روعك.. ما بك؟

(الشاب) وهو لا يزال مفزوعاً: لقد تمكنت من النوم ليلة البارحة ورأيت كوابيس مفزعة لم أستيقظ منها إلا للتو!

(قيس): حدثني عن فحواها باختصار

(الشاب): لا أذكرها كلها لكني أذكر بوضوح فتاة أتت وقامت بتعذيبي ومجموعة حولها كانوا يضحكون علي.. رأيت نفسي أجري في مكاني وجسدي كان يؤلمني.. أحسست بالاختناق أكثر من مرة وكأني أغرق وعندما استيقظت كان جسدي مليئاً بالرضوض والخدوش وشفتي تنزف.

(قيس): لا بأس.. سينتهي كل شيء اليوم

(الشاب): ما الذي يحدث معي؟

(قيس): ما طلبته تماماً.. رؤية أكثر مما تستطيع

(الشاب): لكني لم أرَ سوى الجحيم

(قيس): تخيل أن تعيش طيلة حياتك هكذا.. هذه ستكون آخر مكالمة بيننا هل لديك سؤال آخر؟

(الشاب): سؤال واحد فقط؟

(قيس): ما هو؟

(الشاب): من هو (جلمود)؟

(قيس) بنبرة قلقة: أين سمعت هذا الاسم؟

(الشاب): الفتاة التي عذبتني في الحلم كانت تصرخ باس

خلال تعذيبي

(قيس): مكالمتنا انتهت ولا تحاول الاتصال بي مرة أخرى أو

زيارتي في الصالون

أغلق (قيس) الخط..

السواد ما هو إلا جمالٌ لا يُرى..

زخات الدبابيس

شمس النهار تختفي خلف غيوم سوداء كثيفة قبل المغرب بقليل..

ماء السماء يبدأ بالهطول بغزارة..

رجل يجري بسرعة للاحتماء من المطر..

يرى في الأفق مظلة بجانب أحد المنازل يقف تحتها رجل آخر..

يزيد الرجل من سرعة هرولته نحو المظلة والسماء ترعد وتبرق بقوة..

دخل الرجل تحت المظلة ورأى الرجل الآخر محتضناً نفسه لابساً معطفاً أسود طويلاً فتبسم له قائلاً: السماء غاضبة اليوم أليس كذلك؟

حدق الرجل ذو المعطف الأسود به دون أن يرد عليه وكانت ملامحه تشير لعدم الارتياح من قدومه..

(الرجل) ممازحاً ذا المعطف الأسود في محاولة لتجاذب أطراف الحديث معه: تبدو مستاءً.. لا ألومك فالأمطار المفاجئة تعطلنا عن القيام بالكثير من الأعمال

بقي ذو المعطف الأسود صامتاً محدقاً بالرجل بارتياب وتوجس ظاهر وكأنه غاضب من دخوله تحت المظلة معه..

(الرجل) يحتضن نفسه ويطل من تحت المظلة للنظر للسماء الملبدة بالغيوم: هل تكره المطر مثلي؟.. أنا أكره المطر كثيراً..

برقت السماء وتبعها صوت رعدٍ قوي..

قفز الرجل للوراء ضاحكاً: ياه!.. السماء ساخطة بحق اليوم!

كان الحديث من طرفٍ واحد فقط فذو المعطف الأسود لم يتفوه بكلمة واحدة ولم يشارك الرجل حديثه المستمر معه واكتفى بالتحديق به دون أن ينقطع تركيزه للحظة. لم يغير

ذلك من حماس الرجل ومحاولاته المستمرة للاستظراف وفتح حوار مع ذي المعطف الأسود الذي بقي صامتاً ولم يتفوه بشيء ونظرات التوتر والقلق ملازمة لملامحه.

بدأ المطر يخف تدريجاً حتى توقف بالكامل..

(الرجل) مبتهجاً: وأخيراً..

(ذو المعطف الأسود):...

(الرجل) يمد يده لمصافحة ذي المعطف الأسود وعلى وجهه ابتسامة عريضة: سعدت بالحديث معك ومشاركتك هذه المظلة..

احتضن ذو المعطف الأسود نفسه وعيناه تحدقان بحدة في الرجل المبتسم بيد ممدودة..

(الرجل) يقبض يده وابتسامته العريضة تذوب لابتسامة أصغر: حسناً.. وداعاً..

رحل الرجل وترك خلفه ذا المعطف الأسود يراقبه حتى اختفى في الأفق..

تنفس ذو المعطف الأسود الصعداء بعد رحيل ذلك الرجل
الغريب الذي كان يتحدث معه ويمازحه بعينين سوداوين
بالكامل خاليتين من البياض، فبعض الكينونات لا تجيد التشكل
تماماً عندما يباغتها المطر الذي تكرهه لأن قطراته تكِز جسدها
كالدبابيس وترغمها على الهروب منها على عجالة.

أشد أنواع الوحدة هي التي

تشعر بها بين الناس . .

ليلة خميس

ثلاث أخوات امتهنّ مهنة ورثنها عن أمهن وهي إحياء الحفلات النسائية في الأعراس بالغناء والعزف. كانت الأخت الكبرى (سارة) مطربة الفرقة و(خديجة) مسؤولة عن تسخين الدفوف والعناية بها وصيانتها وكانت أفضلهن في الضرب عليها. أما (عبير) وهي الأصغر بينهن فتولت مسؤولية الإيقاعات الخارجية باستخدام البيانو الإلكتروني وإعداد الميكروفونات والسماعات إذا لزم الأمر أحياناً وتشارك أختها (خديجة) الغناء في الكورال خلف أختهما الكبرى (سارة). كانت الحفلات التي يحيينها غالباً أعراساً محلية وفي أوقات نادرة يحيين حفلات خارج مدينتهن إذا تحمّل من يستعين بخدماتهن نفقات السفر والسكن. المنسقة لتلك الحفلات هي الأخت الصغرى وهي من كانت تفاصل في الأجرة وتنظم جدول المواعيد لأنها الوحيدة بين أخواتها من أكمل تعليمه الجامعي والبقية توقفتا بعد حصولهما على الشهادة الثانوية للتفرغ لعملهن كمطربات

أعراس محترفات. أمهن لم تكن متعلمة وامتهنت من قبلهن المهنة نفسها كعضوة في فرقة شعبية للغرض نفسه لذا تأثر بناتها بها وبعملها كثيراً وما أن كبرن حتى أقنعنها بالاعتزال والراحة ليتولين هن مسؤولية البيت من بعدها خاصة وأنهن يقمن وحدهن بعد وفاة أبيهن وهن في عمر صغير.

تلقت الفرقة اتصالاً على هاتف منزلهن الثابت وكان الاتصال من رجل يطلب منهن إحياء حفل زفاف سيقام بعد عشرة أيام وبعد مراجعة جدول مواعيدهن اعتذرن منه لأنهن مرتبطات في ذلك اليوم لكنه أصر عليهن بإلغاء الارتباط والتعاقد معه وبالرغم من أن (عبير) حاولت إقناعه بعدم قدرتهن على تنفيذ رغبته لأنهن قد أخذن مبلغاً من المال كمقدم وعربون عن تلك الليلة إلا أنه طلب منهن إرجاع العربون والاعتذار عن الارتباط في مقابل أن يعطيهن عشرة أضعاف المبلغ الذي يتقاضينه في العادة. توترت (عبير) عندما سمعت مقدار العرض المالي الكبير وطلبت من المتصل مهلة للتفكير والنقاش مع أختيها فوافق الرجل وأنهى مكالمته بقول: ستوافقن في كل الأحوال..

أغلقت (عبير) الخط وعلامات الحيرة والتعجب مرتسمة على وجهها فلاحظت أختها (خديجة) ذلك التوتر والقلق عندما دخلت عليها في منتصف المكالمة وجلست بجانبها تنصت للحديث حتى انتهى.

(خديجة) بعد ما أغلقت (عبير) الخط: ما بكِ؟ تبدين قلقة

(عبير) وهي سارحة في جهاز الهاتف على المنضدة: مكالمة غريبة..

(خديجة): فهمت من حديثك معه أنه يريد منا إحياء حفل زفاف.. ما الغريب في الأمر؟

(عبير) وهي تلتفت على أختها: التاريخ الذي يرغب منا إحياء الحفل فيه يتعارض مع موعد آخر قمنا بالتعاقد عليه سابقاً ولا يريد أن يفهم أننا لا نستطيع إلغاء ارتباطنا مع الناس

(خديجة): أبلغيه إذاً بهذا الأمر عندما يتصل مرة أخرى وليبحث عن فرقة غيرنا فنحن لسنا الوحيدات في المدينة ولسنا الأشهر

(عبير): إصراره كان غريباً لدرجة أنه عرض علي عشرة أضعاف المبلغ الذي نتقاضاه كأجر في حفلة كهذه

(خديجة) بانبهار وصوتٍ مرتفع: ماذا؟!.. عشرة أضعاف؟!

دخلت الغرفة (سارة) أختهما الكبرى عندما سمعت صوت (خديجة) المرتفع وهي تقول: ما بكِ يا (خديجة) لمَ تصرخين هكذا؟

شرحت الأختان لأختهما الكبرى ما حدث فقالت: غريب هذا العرض والأغرب إصراره علينا نحن بالذات

(خديجة): ما الغريب في الأمر؟.. فرقتنا بدأت تلقى شهرة واسعة مؤخراً ولعل هذا الزفاف لعائلة غنية وابنتهم اشترطت حضورنا نحن بالذات لإحياء حفل زفافها

(عبير): لكن هذا لا يفسر عرضه عشرة أضعاف المبلغ

(خديجة): الأغنياء لا يكترثون للمال مثلنا وإذا أرادوا شيئاً فسيحصلون عليه بأي ثمن خاصة إذا كان ذلك الثمن في متناول أيديهم ولا يشكل فارقاً لهم

(عبير) لـ(سارة): ما رأيك يا أختي؟

(سارة) وهي تفرك شفتها بسبابتها بحيرة: لا أعرف..

(خديجة): أنا أعرف.. هذه فرصة ذهبية يجب أن لا نفوتها

(سارة) لـ(عبير): اتصلي بالعائلة التي اتفقنا معهم ذلك اليوم وقومي بجس نبضهم وعن ما إذا كان هناك إمكانية لإلغاء الاتفاق المبرم معهم

(خديجة) وهي سعيدة ومبتهجة جدّاً: قرار صائب يا أختي!

(عبير): حتى وإن وافقوا فلن نستطيع إلغاء الاتفاق معهم

(سارة): لمَ لا نستطيع؟

(عبير): هل نسيتِ أننا صرفنا العربون بالكامل ولم يبقَ معنا شيء منه

(خديجة) بخيبة أمل: صحيح..

في تلك اللحظة رن الهاتف ورفعت (عبير) السماعة وقالت: مرحباً..

لم تقل (عبير) شيئاً بعد كلمة «مرحباً» بل بقيت منصتة لما كان يبدو أنه شخص يتحدث معها بلا انقطاع وخلال الحديث أخذت معالم وجهها تتغير وأعينها تتسع وفكها السفلي ينخفض شيئاً فشيئاً.

(سارة) وهي تشاهد أختها الصغرى بتلك الحالة: ما بكِ يا (عبير)؟

أنزلت (عبير) السماعة وأغلقت الخط والدهشة لا تزال مهيمنة على ملامحها..

(خديجة): ما الأمر؟.. من كان المتصل؟

(عبير) تلتفت على أختيها وتقول بصوتٍ متوتر ومرعوب: هناك شيء عند الباب..

(سارة) وهي تنظر خلفها: أي باب؟

(عبير): باب المنزل الرئيس..

نهضت (خديجة) وتوجهت لمدخل المنزل وفتحت الباب لترى خرقة بيضاء ملفوفة وضعت عند عتبته. التقطتها وحملتها معها للداخل. بعد دخولها الغرفة على أختيها وضعتها على الأرض أمامهما وقالت: هل تقصدين هذه؟

(عبير) بريبة وقلق: نعم هذه هي اللفة التي قال عنها

(سارة): ما بها هذه اللفة ومن كان المتصل؟

(خديجة) وهي تفتح اللفة وترى محتواها وتقول باندهاش: ما هذه الأموال؟

(عبير): هذا ربع المبلغ الذي سنتقاضاه مقابل إحياء حفل الزفاف لذلك الرجل

(سارة): هل كان هو من اتصل قبل قليل؟

(عبير) وعيناها على الأموال في اللفة: نعم.. وقال لي يمكنكن تسديد قيمة العربون منها

(خديجة): لمَ تبدين قلقة هكذا يا (عبير)؟

(عبير): لأنه قال لي شيئاً في بداية حديثه أرعبني

(سارة): ماذا قال؟

(عبير) موجهة نظرها لأختها الكبيرة وبوجه شاحب: قال لي إنه سمع حديثنا بالكامل وسوف يساعدنا لتسديد قيمة العربون..

(سارة): ماذا؟!.. سمع حديثنا؟!.. ماذا تقصدين؟

(خديجة) بتوتر: بدأت لا أحب هذا العرض مهما كان مغرياً

(عبير) وهي ترفع السماعة: سوف ألغي الحفل مع العائلة

الأخرى

(سارة): معنى ذلك أنك موافقة على الذهاب للحفل الآخر

(عبير) وهي تدير بسبابتها قرص الأرقام: لم يعد أمامنا خيار الآن

(سارة) وهي تقطع الاتصال بيدها: ما زال أمامنا خيار..

(عبير) تبعد يد أختها وتعاود الاتصال: ليس بعد الذي سمعت منه

(خديجة): ما الذي قال لكِ وجعلك تغيرين رأيك بسرعة هكذا؟

(عبير) واضعة السماعة على أذنها وعيناها على أختيها: قال بأننا لو رفضنا فلن نعمل مرة أخرى وسوف يحرص على ذلك

(خديجة) بتجهم: من يظن نفسه؟!.. لا يمكنه تهديدنا!

(عبير): نقته في الكلام كانت مخيفة.. وأنا واثقة بأنه يستطيع تنفيذ كلامه

(سارة):...

(عبير) ترد على الهاتف: مرحباً.. هل يمكنني الحديث مع (أم صالح)؟

بعد مضي خمسة أيام على إلغاء الفرقة اتفاقها وإعادة العربون للعائلة التي تعاقدن معها ليلة الخميس من ذلك الشهر تلقين اتصالاً آخر من الرجل وكان من رد عليه هذه المرة هي الأخت الكبرى.

(سارة): متى تريد منا الحضور لقاعة الأفراح؟

(الرجل): الزفاف لن يكون بقاعة أفراح.. سيكون بمنزل العروس

(سارة): لا يوجد مشكلة.. أخبرنا بالعنوان كي نوجد قبلها لتسخين الدفوف وتجهيز الميكروفونات

(الرجل): لا.. أنا من سيأتي لأقلكن للمكان وبالنسبة للمكروفونات فلا نريدكن أن تستخدمنها

(سارة) باستغراب: لماذا؟

(الرجل): هذا شرط العائلة.. فقط دفوف وطبول بدون أي

آلات أخرى

(سارة): حسناً كما يشاؤون

(الرجل): هناك شيء آخر.. لا نريد أغانيَ حديثة

(سارة): ماذا تقصد؟

(الرجل): أحضري ورقة وقلماً وسوف أزودك بأسماء الأغنيات

التي نريد منكن تأديتها

(سارة): لا يمكننا التدرب على أغانيَ جديدة فالوقت ضيق

(الرجل) بغضب: تصرفن!.. سجلي أسماءها الآن!

(سارة) بتذمر: انتظر حتى أحضر ورقة وقلماً

دونت (سارة) أسماء الأغنيات التي أملاها عليها الرجل ولم تتعرف على أي واحدة منها فقالت له: ما هذه الأغاني لم أسمع بها من قبل؟

(الرجل) قبل أن يُغلق الخط: اسألي والدتك عنها..

نظرت (سارة) لسماعة الهاتف بتعجب ثم أغلقتها وسارت

لغرفة أمها حيث كان بقية أخواتها جالسات وأخبرتهن بما حدث فقالت الأم: اقرئي علي أسماء تلك الأغنيات..

قرأت (سارة) محتوى الورقة التي حوت تسع أغانيَّ فقالت (خديجة) ضاحكة: ما هذه الأسماء الغريبة؟

(عبير): كيف سنؤديها ونحن لا نعرفها ولم نسمع بها من قبل ولا نعرف حتى ألحانها

(الأم): هذا سامري قديم..

(سارة): هل تعرفين هذه الأغنيات يا أمي؟

(الأم): نعم كانت فرقتي القديمة تعزفها على الدوام في الأفراح الشعبية

(عبير): هل يمكننا تعلمها قبل موعد الحفل يا أمي؟

(الأم): نعم فألحانها وكلماتها بسيطة وليست معقدة

(سارة): حسناً إذاً.. أمامنا سبعة أيام حتى ليلة الخميس

أمضت الفتيات السبعة الأيام في التدرب على الأغنيات التي طلبها الرجل مع أمهن وكنّ سعيدات لأنهن لم يرين أمهن منذ

زمن طويل تغني وتضرب الدف بهذا الحماس وتلك السعادة

وخلال أيام قليلة أجدن الألحان وحفظن الكلمات وقبل ليلة

الخميس بيوم تلقين اتصالاً من الرجل الذي أخبرهن أن كامل

المبلغ سيصلهن ذلك اليوم وبالفعل وجدن كيساً قماشياً كبيراً

عند عتبة بابهن لكنهن لم يرين من وضعه لأنه طرق الباب

ورحل.

(خديجة) وهي تسحب الكيس القماشي الممتلئ بالعملات

الورقية: هذه العائلة غريبة!

(سارة) وهي جالسة وتحتسي بعض القهوة العربية: لماذا؟

(خديجة وهي تُفرغ محتوى الكيس أمام أختيها وأمهن: لقد

دفعوا لنا المبلغ بعملات من فئة الخمسة.. ألا يعرف هؤلاء

القوم فئة المئات

(الأم) مبتسمة: كنا نتقاضى في السابق ورقة واحدة بقيمة خمسة

فقط واليوم تتلقين كل هذا للعمل نفسه..

(عبير): الزمن يتغير يا أمي

(الأم): الزمن لا يتغير بل نحن من نتغير وقيمتنا تنخفض..

(خديجة): كيف تنخفض وقد تلقينا أضعاف ما تلقيتِه يا أمي؟

(الأم): كنت أقصد قيمة البشر كلهم.. الإنسان اليوم يكاد يكون بلا قيمة..

(خديجة) وهي ترفع مجموعة من العملات الورقية وتنثرها فوق أختيها وأمها بسعادة: المهم أن لا نفقد نحن قيمتنا وتزداد شهرتنا!

مغرب ليلة الخميس استعدت الفتيات الثلاث وأعددن العدة وخلال استعدادهن دخلت عليهن الأم وبدأت ترش فوق رؤوسهن عطراً برائحة غريبة وهي تكبر وتهلل بصوتٍ خفيض فتذمرت (خديجة) وقالت: ما هذا يا أمي؟!.. هذا العطر رائحته كريهة!

(الأم) تمسح على وجه (خديجة) مبتسمة: أمتكن من لا يخذل عبده..

(سارة): هذه أول مرة تودعيننا بهذا الشكل يا أمي..

(الأم): انتبهي لأختيك يا (سارة)

(عبير) بقلق: ما الأمر يا أمي لقد بدأتِ تخيفينني

(الأم) تسير عائدة لغرفتها دون أن ترد..

طُرق باب المنزل بعد دخول الأم مباشرة فجرت (خديجة) وفتحته وأطلت برأسها لترى سيارة نقل صغيرة فقالت لأختيها الواقفتين خلفها: هذه هي السيارة التي قال الرجل إنه سيقلنا بها

(سارة): هيا لنحمل الدفوف والطبول في قمرتها إذاً

نفذت الفتاتان ما أمرتهما به أختهما الكبرى التي خرجت واقتربت من السائق والذي كان رجلاً في الأربعين من عمره بشاربٍ كثيف يلبس شماغاً برتقالي اللون واضعاً إحدى يديه على المقود وينظر أمامه بصمت. دنت (سارة) من نافذته وهي منقبة وقالت: هل أنت من سيعيدنا بعد انتهاء الحفل؟

(الرجل) دون أن يلتفت عليها: نعم..

ركب الأخوات الثلاث في المقعد الخلفي وتحركت السيارة مبتعدة عن المنزل. بعد مسيرة دامت أكثر من ساعة لم يتحدث

خلالها أحد قالت (سارة) للسائق: أين هذا العرس؟

(الرجل) ونظره للأمام: لقد اقتربنا..

خرج الرجل عن الشارع المعبد ودخل في طريقٍ ترابي يقود لصحراء مفتوحة. بالرغم من التوتر الذي أصاب الفتيات لخروج السائق عن خط سيره إلا أنهن بقين صامتات ولم يتفوهن بشيء. كان الطريق مظلماً ومليئاً بالمطبات الرملية التي شعر بها الركاب بقوة لأن السائق لم يخفف سرعة قيادته بعد ما استقل الطريق الرملي. ظهر في الأفق بعد نصف ساعة تقريباً من السير في الصحراء المفتوحة منزل كبير واستطاع الأخوات رؤيته لأن أكواماً من النيران اشتعلت حوله. توقف السائق أمام ذلك المنزل الكبير الذي لم يكن له بوابة وكان مبنياً من الطين وباحته منارة أيضاً بأهرامٍ مشتعلة من الحطب.

(سارة) وهي تنظر لذلك المنزل الغريب بتوتر: هل وصلنا؟

(الرجل) دون أن يلتفت عليها: نعم.. سوف أكون هنا ولن أتحرك حتى تنتهين لأعيدكن

(خديجة) بقلق شديد: أين الناس؟.. لا أرى أحداً

(الرجل): كلهم بالداخل..

(عبير): أين سنسخن الدفوف؟

(الرجل): من سيستقبلكن سوف يخبركن بذلك..

كانت ردود الرجل باردة جدّاً وخالية من أي تفاعل إنساني مما زاد توتر وقلق الأخوات لكنهن في نهاية الأمر ترجلن من السيارة وبدأن بحمل الدفوف والطبول لداخل المنزل الطيني الكبير. كانت باحة المنزل غريبة جدّاً فلم يكن بها شيء سوى الرمال وعدد من النيران الكبيرة المشتعلة فبقي الثلاث يراقبن تلك النيران دون أن يتقدمن أكثر حتى سمعن صوتاً بنبرة مرحبة آتية من خلفهن تقول: مرحباً!.. مرحباً!..

التفت الثلاث في الوقت نفسه نحو مصدر الصوت ليرين امرأة جميلة بفستان أزرق فاتح طويل غطى أقدامها بالكامل وشعرٍ أسود طويل جدّاً كادت أطرافه تلامس الأرض. كانت تلك المرأة طويلة القامة، أطول منهن بكثير مع أن الفتيات لم يكن قصيرات لكن طول تلك المرأة جعلهن يبدون أمامها كالأطفال. بالرغم من غرابة المنظر وشكل تلك المرأة إلا أن

ترحيبها الحار بهن خفف من توترهن ودعوتها لهن الى استخدام النيران المشتعلة لتسخين الدفوف والدخول وقتما يشأن للبدء بالغناء جعلاهن أكثر ارتياحاً. دخلت المرأة من أحد الأبواب وتركت الفتيات يسخنّ الدفوف ويتحدثن فيما بينهن.

(خديجة) لـ(سارة): هل رأيتِ ما رأيته؟

(عبير) وهي تُقلب دفاً جلدياً فوق النار: كلنا رأينا ما رأيتِه

(خديجة): لمَ هي ضخمة هكذا؟

(سارة) وهي تضرب دفاً بكفها لتجربه: لا علاقة لنا بهذه الأمور نحن هنا للغناء والعزف فقط

(خديجة) تلتقط دفاً وتقلبه على ألسنة اللهب: أعجبني فستانها..

(عبير): الرجل الذي أوصلنا أخبرني بالأمس أننا يجب أن نغني الأغاني تباعاً وأن لا نتوقف كثيراً بين الأغاني

(سارة): لم يخبرني بهذا الأمر

(عبير): لقد اتصل وانتِ بالخارج ونسيت أن أخبرك

(خديجة) بتذمر: سوف نرهق بهذه الطريقة!

(سارة): لا وقت للتراجع الآن.. وعلى أي حال هذا أفضل كي ننتهي ونرحل بسرعة

سارت الفتيات نحو الباب الذي دخلت منه المرأة ذات الفستان الأزرق وفتحنه ودخلن لمكان واسع انتشرت فيه سحب البخور وامتلأ بالنساء من مختلف الأعمار والأحجام وكان المكان هادئاً جداً وجميع من كنّ في المكان التفتن نحوهن صامتات يحدقن بهن بأعين متسعة. دب الرعب في الفتيات من هول ذلك المنظر المخيف لكن المرأة التي استقبلتهن سابقاً خرجت من بين جموع النساء الصامتات والمحدقات بهن وهي تبتسم وتقول: هيا نحن بانتظاركن

جلس الثلاث في إحدى زوايا المكان وقلوبهن تضرب بقوة وقبل أن يبدأن قالت السيدة ذات اللباس الأزرق الفاتح: لا تتوقفن عن الغناء والعزف حتى تتممن جميع الأغاني

(خديجة) بتوتر وتردد: لكن الدفوف ستبرد وسنحتاج لتسخينها مرة أخرى

(المرأة ذات اللباس الأزرق): دفوفكن لن تبرد.. ابدأن..

استفتحت (سارة) الأغنية الأولى بموال طويل وعينها منصبة على الحضور اللاتي بدأن يهززن رؤوسهن بخفة وكأنهن أفاعٍ ترقص على أنغام مزمار وما أن استهلت أختاها بالضرب على الدفوف حتى دخل الحضور في حالة من الرقص والسمر. خلال أداء الأغنية الأولى لم يكن الأخوات يتواصلن سوى بالأعين ومع انتهاء الأغنية الأولى حدث أمر غريب. بدأ بعض الحاضرات بالبكاء والمرأة ذات الفستان الأزرق تشير بيدها لهن بوجه عابس بالاستمرار بالغناء وعدم التوقف فقامت (سارة) بسرعة بالبدء بالأغنية الثانية وتبعتها أختاها بضرب الدفوف بلحن تلك الأغنية فتوقف من كنّ يبكين عن البكاء ودخلن مرة أخرى مع البقية في حالة من الرقص تخللها هذه المرة ضحكات وغناء لأبيات الأغنية وكأنهن حافظات لها عن ظهر قلب. كانت الأخوات يعزفن ويغنين بتوتر ودون ارتياح لأن ما كان يحدث أمامهن أمرٌ غريب ولم يألفنه أو يرين مثله من قبل. الأغرب كان رائحة المكان وأحجام الحاضرات التي كانت إما طويلة جداً أو قصيرة جداً فبعض من ظننّ أنهن طفلات في بادئ الأمر لم يكنّ سوى قزمات. دخلت (سارة) بعد بلع ريقها

على عجالة في الأغنية الثالثة واستمر الرقص والسمر في القاعة الواسعة لكن خلال تلك الأغنية قامت (خديجة) بوكز (عبير) وهما تغنيان الكورال وعندما التفتت عليها أشارت لها بحاجبيها لإحدى النساء والتي كانت ترقص بحماس شديد وتقفز مكانها بجنون. عندما رأت (عبير) ما كانت تشير له (خديجة) شرقت في الغناء وتعثرت قليلاً في الكلمات لكنها استعادت توازنها بسرعة وأكملت. لم تعرف (سارة) سبب تعثر (عبير) في الغناء لأنها كانت متربعة أمام أختيها ولا تراهما وهما تشيران لبعضهما بعضاً. بدأت الأغنية الرابعة وتبعتها الخامسة والسادسة وكانت الدفوف تزداد سخونة بين أيديهن بدل أن تبرد وكذلك حماس الرقص كان يزداد جنوناً وصخباً صاحبه ارتفاع في حرارة المكان وبدأ العرق يتصبب من الفتيات بغزارة وجفت حلوقهن عطشاً. ختمت (سارة) الأغنية السادسة من التسع الأغاني المطلوبة منهن وقالت للسيدة ذات اللباس الأزرق بصوت متعب: نحتاج بعض الماء..

في تلك اللحظة حدث شيء لم يكن بالحسبان فقد نهرت

السيدة (سارة) بصوتٍ مخيف كالوحش المخيف وقالت لها: لا توقفي!

انتفض الأخوات خوفاً ورعباً من صوت المرأة وبدأن فوراً بالأغنية السابعة..

الأغنية السابعة كان بها بيت غريب ومميز يتكرر بشكل مستمر وأمهن عندما كانت تدربهن عليها أخبرتهن أن يوقفن ضرب الدفوف في كلمة محددة في ذلك البيت وتقوم المغنية برفع صوتها أكثر عند تلك الكلمة تحديداً وأول ما قامت (سارة) بذلك جثا جميع الحضور بحركة واحدة وكأنهن يسجدن محدثات هزة قوية في المكان وفي لحظة ارتفعن وأكملن الرقص مرة أخرى. كان المنظر مهيباً ومخيفاً للأخوات لكنهن لم يتوقفن واستمررن بالغناء وضرب الدفوف وعندما مرت تلك الكلمة مرة أخرى تكرر الأمر نفسه وخر الجميع ساجدات بحركة واحدة متزامنة نهضن بعدها بسرعة عجيبة مكملات الرقص بحماس وجنون. الذي زاد من رعب الفتيات خلال تلك السجدة الجماعية هو أن الساجدات كنّ يصرخن خلال ضربهن الأرض بقوة وبعضهن

تُبع صراخها ببكاء ونحيب. انتهت تلك الأغنية المرهقة وبدات (سارة) في الأغنية الثامنة وأختاها قد بدأتا بالانهيار من التعب وقد بدا ذلك واضحاً من خلال أصواتهن المرهقة.

الأغنية الثامنة كانت قصيرة وكان معظمها موالاً طويلاً لا يصاحبه أي ضرب للدفوف فاستغلت (عبير) و(خديجة) تلك الفسحة وذلك الوقت في التقاط أنفاسهما قليلاً. الأخت الكبيرة كانت مندمجة في الموال وتغني بأعين مغمضة والحضور يتلون أمامها كالأفاعي وأذرعهن وأيديهن مرفوعة فوق رؤوسهن وأصابعهن تتحرك بحركاتٍ غريبة وأختاها تراقبانهن برعب شديد لكن الرعب بلغ ذروته عندما وصلت (سارة) لآخر شطرٍ من القصيدة المغناة ففي تلك اللحظة رفعت النساء الحاضرات أطراف ألبستهن كاشفات عن أقدامهن التي كانت كحوافر البهائم. هنا صرخت (عبير) نصف صرخة قبل أن تكتم (خديجة) صرختها بيدها. لم تنتبه (سارة) لما حدث لأنها كانت مندمجة في الغناء بأعين مغمضة ولم ترَ حوافر النساء المكشوفة أمامها.

الأغنية التاسعة كانت الأكثر حماساً بين جميع الأغنيات

وكانت تتطلب ضرباً متصلاً وقوياً على الدفوف وغناء حماسياً بصوتٍ عالٍ استنفد كل ما تبقى من قوة الفتيات. خلال تلك الأغنية زاد دخان البخور في المكان وأحاط بالحضور خلال رقصهن الحماسي حتى انتهت الأغنية. بدأ الدخان ينقشع عندما ختمت (سارة) الأغنية الأخيرة ولم يرَ الفتيات أحداً أمامهن بعد زواله. بعد سرحان قصير قالت (عبير) بصوتٍ مرعوب: هيا لنرحل من هنا!

خرجت الفتيات على عجالة من المكان وحملن دفوفهن وطبولهن في قمرة السيارة التي كانت لا تزال بانتظارهن وركبن بسرعة وما أن أغلقت (خديجة) الباب حتى صرخت (عبير) في السائق قائلة: تحرك بسرعة!!

قاد الرجل سيارته بصمت وانفجرت (عبير) بالبكاء فقالت (سارة) بتعجب: ما بكِ يا (عبير)؟

(خديجة): وهل هذا سؤال تسألينه؟!

(سارة): أعرف.. العرس كان غريباً

(خديجة) تدير نظرها للسائق بوجهٍ غاضب وتصرخ فيه: ما هذا

المكان الذي أحضرتنا إليه؟!.. ومن هؤلاء الناس؟!

تجاهل الرجل انفجار (خديجة) فيه وأكمل القيادة بهدوء..

عند وصولهن للمنزل نزلت الأخوات وقد هدأن قليلاً ولم يتحدثن خلال الطريق بشيء يخص الحفل الذي أحيينه للتو وخلال إنزالهن للدفوف ترجل الرجل من سيارته وبدأ يراقبهن بصمت.

(خديجة) بوجه متجهم وهي تحمل الدفوف: ماذا تريد؟!.. ألم ننتهِ؟!

(الرجل): الحفل القادم سيكون ليلة الخميس بعد القادمة..

عندما سمعت (عبير) هذا الكلام انفجرت بالبكاء ودخلت المنزل..

(سارة): لا أعتقد أننا نستطيع فقد كدنا نموت من الإرهاق الليلة

(الرجل): ألم يكن الأجر كافياً؟

(سارة): لا علاقة للأجر برفضنا

(الرجل) يركب سيارته وهو يقول: سوف أتواصل معكن لاحقاً

(خديجة) تقترب من نافذته وتصرخ فيه: لن نحيي لك حفلاً آخر!

(الرجل) ونظره للأمام: لقد تعاقدتن معنا لإحياء خمسة أعراس ولا يمكنكن التراجع الآن

(سارة) باستغراب شديد: خمسة؟..الاتفاق كان على حفلٍ واحدٍ فقط

(الرجل) ملتفتاً عليها: أمكن هي من اتفقت معنا على الحفلات الجديدة.. منذ أن اعتزلت الغناء وأفراحنا ميتة لكن كما يُقال «من ينجب لا يموت»

(سارة) بتعجب: أمي؟!

(خديجة) باستنكار: ومن أنتم؟!

(الرجل) متجاهلاً سؤال (خديجة): سوف تتقاضين المبلغ نفسه عن كل عرس تحيينه وبعدها لا نريد منكن شيئاً

(خديجة): لا تتهرب من سؤالي وأجبني.. من أنتم؟!

(الرجل) قبل أن يتحرك بسيارته مبتعداً عن المنزل: لا تسألي لأن الإجابة لن تعجبك..

الهاجس صَنم والإيمان به يحوله لوثن . .

غول البلل

ها أنا أدخل مرة أخرى..

أدير الصنبور..

تُمطر قطرات الماء على رأسي..

عيناي تحترقان لأني لا أقوى على إغلاقهما خشية المجهول..

إغلاقهما سيدخلني في الظلام ويفقدني الأمان..

أعرف بأنه ينتظرني حتى أتخلى عن درع أماني الوحيد.. بصري..

لينقض علي.. لينهشني.. كيف لا؟.. وأنا أقف أمامه عارية..

فريسة سهلة لذلك الغول.. غول البلل..

أفرك رأسي بأناملي على عجالة بأعين مفتوحة..

أريد الخروج بسرعة قبل أن يلحظ وجودي..

عيناي تزدادان احمراراً..

لسعات الماء لقاني لا ترحم..

لن أغمض عينيّ مهما حدث.. حتى لو أصبت بالعمى.. لن أغمضهما

أغلق الصنبور.. نقطة ماء أخيرة تُقبل رأسي لتودعني..

أتناول المنشفة لتجفيف جسدي وشعري.. لا أجفف وجهي كي لا أغفل لحظة..

لن تنال مني.. لن تنال مني..

الأمل بالله وليس بالإنسانية . .

صليب النمور

أم تفتح باب غرفة ابنها الوحيد صباح أول يوم له في المدرسة..

تقترب من سريره وتمسح على خده المكتنز مبتسمة..

يفتح الطفل عينيه ويبادلها الابتسام..

(الطفل) بسعادة: يومي الأول في المدرسة!

(الأم) بابتسامة رضا وأعين حانية: نعم يا حبيبي.. أين ملابس المدرسة الجديدة؟

(الطفل) وهو يرفع الغطاء كاشفاً عن زيه المدرسي: لقد نمت بها!

(الأم) تضحك وتقول: هيا تعال معي كي تتناول إفطارك مع أبيك فهو متحمسٌ مثلك لإيصالك للمدرسة

قفز الطفل الصغير من فراشه بحماس وحمل حقيبته الفارغة

معه ونزل عبر السلالم مسرعاً نحو مائدة الإفطار وأمه خلفه تضحك قائلة: على هونك كي لا تقع!

جلس الطفل مع والديه على المائدة ويدأ بتناول طعامه وأبوه يراقبه ويحتسي قهوته قائلاً: لم أكن بمثل حماسك في أول يومٍ لي هكذا

(الطفل) وفي فمه بعض البيض المسلوق: أريد أن أصاحب الكثير من الأصدقاء!

(الأم) بنظرة حزن: كونك الابن الوحيد لنا فقد تربيت وحدك لكن حانت الآن فرصتك كي تعوض تلك الوحدة

(الطفل) بفم مملوء بالطعام وبحماس: هل يمكن أن أحضر أصدقائي للمنزل كي يلعبوا معي اليوم؟!

(الأم) تقرص خد ابنها المكتنز وتهز وجهه مبتسمة: لا تتحدث وفمك مملوء بالطعام.. ونعم يمكنك دعوة من تشاء

(الأب) يهم بالنهوض وهو ينظر لساعته: هيا لقد تأخرنا يا (ربيع) لا نريد أن تفوت الطابور الصباحي في أول يوم لك في المدرسة

قفز (ربيع) من مقعده وشد شنطته الفارغة من مقبضها وقبل أن يجري خلف أبيه أمسكته أمه وعانقته ثم طبعت على جبينه قبلة طويلة ودست مبلغاً من المال في جيبه وهي تقول: انتبه لنفسك يا حبيبي..

أوقف الأب سيارته أمام المدرسة الابتدائية في حيهم وبالرغم من أن المسافة كانت قصيرة إلا أنه قال لـ(ربيع) قبل أن ينزل من السيارة: بعد انتهاء اليوم الدراسي سوف آتي لأخذك.. لا تخرج أبداً من المدرسة سوف أدخل وآخذك بنفسي

(ربيع) وهو يغلق الباب خلفه بعد نزوله ملوحاً بيده مودعاً أباه بابتسامة عريضة وسعادة غامرة: حسناً.. وداعاً يا أبي!

(الأب) مراقباً ابنه الصغير وهو يجري نحو بوابة المدرسة مع بقية الأطفال ومحدثاً نفسه مبتسماً: أتركك في حفظ الله..

دخل (ربيع) المدرسة المكتظة بعد ما تجاوز بوابتها وأصيب بقليل من الرهبة في بادئ الأمر لأنه لم يعتد على الوجود في مكان مزدحم هكذا لكن توتره خف عندما استقبله أحد الأساتذة مبتسماً وهو يقول: هل أنت طالب جديد؟

(ربيع) يهز رأسه بالموافقة: نعم!

أشار المدرس لمجموعة من الطلاب المجتمعين في آخر الساحة وقال: اذهب إلى هناك والتحق بزملائك الجدد في الصف الأول وأخبر الأستاذ الواقف معهم بأني أرسلتك

(ربيع) وهو يجري نحو المجموعة: حاضر!

وقف (ربيع) مع الطلاب المجتمعين والذين كانوا في عمره نفسه وكانت السعادة تتطاير من عينيه وهو يستمع للمدرس الذي كان يحدثهم عن المدرسة ومرافقها وكيف أن يومهم الأول سيكون لتوزيع الكتب والتعرف على مرافقها وأن وجباتهم من مقصف المدرسة ستكون مجانية طيلة الأسبوع. وضع (ربيع) يده على جيبه وقال: يمكنني الاحتفاظ بالمال إذاً!

التفت طفل كان بجانبه وقال: أنا أمي أعدت لي فطيرة وعلبة من العصير ولم تعطني أي أموال

(ربيع): يمكنني اقتسام المبلغ معك!

(الطفل): صحيح؟!

(ربيع) مبتسماً: نعم!

(الطفل) مبتهجاً: شكراً.

(ربيع) يمد يده لمصافحة الطفل: أنا (ربيع)!

(الطفل) مصافحاً (ربيع): أنا (طه)!

(ربيع): هل تريد أن تكون صديقي؟

(طه): بالطبع!

رن الجرس وبدأ الطابور الصباحي وكان (ربيع) مع زملائه يقفون مع الأستاذ المسؤول عنهم وهو يشرح لهم برنامج الطابور الصباحي ابتداءً من التمارين الرياضية مروراً بالإذاعة الصباحية انتهاءً بتحية العلم والنشيد الوطني. خلال ذلك كان هناك مجموعة من الصبية في الصفوف العليا يراقبون الأطفال المستجدين بنظراتٍ عدائية وابتسامات خبيثة فلفت الأمر نظر (ربيع) مما دفعه لسؤال صديقه الجديد (طه) وقول: من هؤلاء الصبية؟

(طه): هؤلاء طلاب الصف السادس.. لا تتحدث معهم أو تحاول الاختلاط بهم

(ربيع): لماذا؟

(طه): لا أعرف لكن أبويّ حذراني من ذلك

(ربيع): حسناً

أمضى (ربيع) اليوم مع زملائه وكان يوماً حافلاً بالمسابقات والألعاب وكان سعيداً جدّاً وزادت سعادته بصديقه الجديد (طه) الذي اكتشف أن بينهما قواسم مشتركة كثيرة ويحبان نفس الألعاب والحلويات.

قُرِع جرس الحصة الأخير وبدأت أفواج الطلاب تخرج من البوابة الرئيسة للمدرسة ومن ضمنها كان (طه) فاستوقفه (ربيع) قائلاً: إلى أين أنت ذاهب؟

(طه): للمنزل

(ربيع): ألن تنتظر أباك؟

(طه): أبي لا يمكنه أن يُقلني ثم إن منزلي قريب من هنا

(ربيع): ابق معي وسف أقلك أنا مع أبي

(طه): لا أستطيع فأمي ستقلق لو تأخرت

(ربيع): لن تتأخر.. أبي بلا شك بالخارج وسيدخل في أي لحظة

بقي الاثنان معاً يراقبان الطلاب وهم يرحلون ولم يدخل أبو

(ربيع) كما قال له.

(طه): أين أبوك؟

(ربيع): لا أعرف لقد أخبرني أنه سيأتي لأخذي حالما ينتهي

اليوم الدراسي

(طه): اسمع.. لمَ لا تأتي معي وسوف أوصلك لمنزلك قبل أن

أذهب للبيت

(ربيع): لا أستطيع فأبي قد نبهني بأن لا أخرج قبل أن يأتي

(طه): سنصل بسرعة ويمكن أن تحدثه بالهاتف وتطمئنه

(ربيع) بتردد: لا أعرف..

(طه) يشد ذراع (ربيع): هيا!.. هيا! المكان قريب

خرج الاثنان من المدرسة متجاوزين بوابتها لكن الحارس

استوقفهما قائلاً: إلى أين؟

(طه): ذاهبان للمنزل

(الحارس): الصفوف الدنيا لا يسمح لهم بالخروج دون أولياء أمورهم

(طه): لا تقلق فنحن نقيم في هذا الحي ومنازلنا قريبة جداً

(الحارس): هل يعرف أهلكما بأنكما ستخرجان سيراً على أقدامكما؟

(طه) وهو يشير لمنزل في الأفق: انظر!.. هذا منزلي ومنزل صديقي مجاورٌ لنا يمكنك مراقبتنا حتى نصل

(الحارس): حسناً.. ارحلا

سار (طه) على عجالة وهو يشد (ربيع) من ذراعه الذي قال: لمَ كذبت عليه؟!

(طه): كان سيبقينا للأبد داخل المدرسة!.. ثم أنا لم أكذب هذا منزلنا بالفعل

(ربيع): لكن منزلي أبعد من منزلك

(طه): لمَ لا تعود معي وتهاتف أهلك من منزلي

(ربيع) بقلق: لا أعرف..

أقنع (طه) صديقه (ربيع) بالذهاب معه للمنزل وخلال سيرهما وعند منتصف الطريق بين المدرسة ومنزل (طه) خرج أربعة صبية كبار واعترضوا طريقهما. كان هؤلاء الصبية من الصفوف العليا من المدرسة نفسها وكانوا يراقبون (ربيع) طيلة اليوم خلسة دون أن ينتبه واستغلوا فرصة خروجه ولحقوا به.

(الصبي١) لـ(ربيع): إلى أين أنت ذاهب أيها السمين؟

(طه) بغضب: تنحَّ عن طريقنا!

صفع الصبي (طه) بقوة أسقطته على الأرض بينما أمسك الصبية الآخرون بـ(ربيع) وبدؤوا يسحبونه بعيداً. بدأ (طه) بالصراخ والنظر لبوابة المدرسة على أمل أن ينتبه حارسها لهم لكنه لم يرَه. رفس الصبي (طه) في بطنه بقوة وهو يقول: أطبق فمك وإلا أخذناك مع صاحبك!

صمت (طه) ونهض بثقل وجرى مسرعاً نحو منزله..

لحق الصبي الرابع بزملائه الذين اقتادوا (ربيع) بعد تكميم صرخاته بأيديهم لمكان منعزل خلف أحد البيوت القديمة وما أن وصلوا حتى بدؤوا ينهالون عليه بالضرب المبرح بأقدامهم

وقبضاتهم أدموا بها أنفه وشجوا رأسه وأسقطوا بعض أسنانه،
سقط (ربيع) على الأرض بين الحياة والموت والصبية يضحكون
عليه ويقذفونه بأبشع الشتائم. عندها أشار أحدهم للوح خشبي
على الأرض به بعض المسامير الصدئة وقال: لنضربه بهذا!!

جرى أحد الصبية ليلتقط اللوح بحماس وما أن قبض على
طرفه ليرفعه حتى رأى قدماً حافية تطأ الطرف الآخر من اللوح
وتمنعه من رفعه. رفع الصبي رأسه ليرى رجلاً بثوبٍ أبيض
ينظر إليه بحدة وبأعين كان السواد فيها أكثر من البياض ويقول
له بتجهم: ماذا تنوي أن تفعل بهذا اللوح؟!

رفع الصبي يده عن طرف اللوح وتراجع للخلف قليلاً
منضماً لأصحابه الذين وقفوا متوترين من الرجل الذي قال: لِمَ
ضربتم ذلك الطفل؟

(أحد الصبية) بشجاعة مصطنعة: وما شأنك أنت؟!

(الرجل) وهو يرفع قدمه الحافية من على اللوح: فعلاً هذا ليس
من شأني.. ومن المفترض أن أبقى صامتاً وأراقبكم حتى تنتهوا
دون أن أتدخل كي لا أعاقب

بني الصبية يستمعون لكلام الرجل الغريب دون أن يقاطعوه..

(الرجل) وهو يركل اللوح الخشبي بقدمه الحافية: لكن وبما أني تدخلت وسوف أعاقب على أي حال لتدخلي وظهوري لكم فلنجعل الأمر يستحق..

هاتف ثابت يرن..

أم (ربيع) ترفع السماعة وهي تبكي بحرقة.. تصرخ بخليط من السعادة والحزن لتلقيها خبر إيجاد ابنها.. تهرع وتلبس عباءتها وتذهب مع زوجها للمستشفى.. تصل للغرفة التي كان بها (ربيع).. تدخل الغرفة وتنهار عندما رأته في حالة مزرية لكنه ما زال يتنفس.. رجل بزي عسكري يقف ويقول: «الحمد لله على سلامة ابنكما..». تتجاهل الأم كلام الرجل وتجري نحو السرير وتجثو عنده وتبكي. وقف أبو (ربيع) عند الباب واضعاً يده على فمه ودموعه تنهمر على ظهر كفه. يتقدم الرجل ذو الزي العسكري نحو أبي (ربيع) ويهمس في أذنه: «هل تسمح لي بالحديث معك قليلاً في الخارج؟» هز أبو (ربيع) رأسه بأعين حمراء وغارقة في الدموع وخرج خلف الرجل.

(المحقق): أعتذر للحديث معك في هذا الوقت الحرج لكن الأمر لا يحتمل التأخير..

(الأب) وهو يتمتم لنفسه خلال بكائه: أنا السبب.. أنا السبب.. لقد تأخرت عليه..

(المحقق): لا تلم نفسك فهذا قضاء الله وقدره والحمد لله على كل حال

(الأب) مستجمعاً نفسه: ونعم بالله

(المحقق): لقد وجدنا ابنك مغمىً عليه بتلك الحالة خلف أحد المنازل المهجورة بالقرب من المدرسة

(الأب): بغضب: من فعل ذلك بابني؟!.. هل قبضتم عليهم؟!

(المحقق): تحقيقنا السريع مع حارس المدرسة كشف لنا أنه خرج مع طالب آخر اسمه (طه) وعند سؤاله أخبرنا بأن مجموعة من طلاب المرحلة السادسة هم من أخذوا ابنك واقتادوه بعيداً

(الأب) بعصبية شديدة: ماذا تنتظرون؟!.. اقبضوا عليهم فوراً!

(المحقق): لقد وجدناهم بجانب ابنك..

(الأب): ماذا تقصد وجدتموهم بجانبه؟.. ألم يهربوا بعد فعلتهم؟

(المحقق): لقد كانوا مصلوبين وهم عراة على أعمدة خشبية بطريقة غريبة

(الأب) وهو مفجوع: ماذا؟ مصلوبين؟

(المحقق): نعم ويبدو أنهم تعرضوا لتعذيب مؤلم قبل موتهم فأجسادهم قد مُثل بها بطريقة بشعة وحُفر على صدورهم عبارة غريبة ما زلنا نبحث عن معناها فقد تدلنا على الفاعل

(الأب) ماسحاً بعض الدموع على وجنته: ماذا كانت العبارة؟

(المحقق):.. «صليب النمور»..

رجيف قلوبنا في الدّجلة لن

تواسيه شمس الصباح..

صباح الخير

(غازي) يفتح باب شقته لصديقه (ريان) ويرحب به ويدعوه للدخول..

يدخل (ريان) وما أن دخل حتى سمع صوتاً يقول: صباح الخير!.. صباح الخير!

(ريان) يجلس مبتسماً على أريكة توسطت غرفة المعيشة ويقول: ألا يعرف طائرك غير تلك الجملة؟

(غازي) يقترب من قفص مفتوح يقف فوقه ببغاء رمادي بذيلٍ أحمر ومنقار أسود ويداعبه قائلاً: (رمادي) طائر ذكي جداً ويمكنه أن يتعلم الكثير..

(ريان) وهو يراقب صاحبه خلال مداعبته للببغاء الرمادي ويتهكم: ذكي؟.. لم أسمعه يقول سوى «صباح الخير» صباحاً ومساءً.. عن أي ذكاء تتحدث؟

(غازي) وهو يقبل منقار (رمادي): أخبرني صاحب المحل

الذي اشتريته منه أنني لو كررت عليه أي عبارة بشكل يومي فسوف يلتقطها ويحفظها ويكررها.

(ريان): ولمَ لم تفعل وتدربه على كلمات جديدة بدل «صباح الخير» هذه؟

(غازي): تعرف بأن ظروف عملي لا تسمح فأنا أخرج أول الصباح وأعود في المساء منهكاً ولا أملك إلا يوم إجازة واحداً في الأسبوع وهو اليوم الذي تأتي فيه أنت لتعكره علي

(ريان) ضاحكاً: أنا مصدر السعادة الوحيد في حياتك فلا تنكر ذلك!

(غازي) مبتسماً ومقبلاً منقار (رمادي) مرة أخرى: (رمادي) هو مصدر سعادتي فقط

(ريان): نعم نعم السيد «صباح الخير»..

(رمادي): صباح الخير!

(ريان) ضاحكاً: نحن في المساء يا أحمق!

(غازي) مبتسماً: هيا لنخرج قبل أن نتأخر على الشباب

نهض (ريان) وتوجه للباب وقبل أن يلحق به (غازي) قال لـ(رمادي): وداعاً!

(رمادي): وداعاً!

(غازي) يضحك مبتهجاً: لقد تعلم كلمة جديدة!

(ريان) بتعجب: بهذه السرعة؟

(غازي): أنت لا تفهم.. منذ أن اشتريته وأنا أقول له «وداعاً» كل يوم قبل رحيلي للعمل ويبدو أنه التقطها أخيراً

(ريان) وهو يفتح باب الخروج: مبارك.. هيا لنخرج..

بعد أسبوع عاد (ريان) وطرق باب صاحبه مساءً كما اعتاد كل جمعة كي يخرجا معاً بصحبة أصدقائهما الآخرين وعندما فتح له (غازي) الباب كان غير مبتهجٍ على عادته فدخل (ريان) وهو يقول: ما بك؟

(غازي) وهو يغلق الباب: (رمادي)..

(ريان) بسخرية: هل مات؟

(غازي) وهو يسير لغرفة المعيشة: لا لا

لحق (ريان) بصاحبه وخلال سيره لمح الببغاء الرمادي فوق قفصه كما اعتاد وقال وهو ينظر إليه: ما الأمر إذاً؟

(غازي) يجلس على الأريكة عاقداً أصابعه ومحدقاً بالقفص: شيء غريب حدث اليوم..

(ريان) وهو يجلس بجانب صاحبه: ماذا حدث؟.. أخبرني

(غازي) وعينه على الطائر: (رمادي) تحدث اليوم بكلمة جديدة..

(ريان): وما المشكلة؟.. ألم تكن تريد منه أن يتعلم كلمات جديدة

(غازي) ملتفتاً على صاحبه: لقد قال كلمة لم أقلها له من قبل!

(ريان) بتعجب: ماذا تقصد؟

(غازي) بتوتر وعصبية: أقصد أنه سمع شيئاً في شقتي وحفظه وأنا لم أستقبل أحداً طيلة الأسبوع!

(ريان): هدئ من روعك.. ماذا قال؟

(غازي) وهو ينهض: لن أكررها أمامه.. تعال للمطبخ

تبع (ريان) صاحبه المتوتر للمطبخ وبعد دخولهما أغلق (غازي)

الباب وقال بتوتر:.. «لقد عاد».. «لقد عاد»..»

(ريان) ضاحكاً: من الذي عاد؟

(غازي) بعصبية: هذا ما قاله (رمادي) يا أحمق!

(ريان): ولمَ يقول ذلك؟

(غازي): لا يهم لمَ قالها ما يهمني هو من قالها بشكل متكرر لدرجة أن (رمادي) حفظها!

(ريان): ربما أنت واهم وقد قال شيئاً آخر التقطه منك أو مني

(غازي) بتوتر شديد: أنا متيقن مما سمعت!

(ريان): وماذا تريد أن تفعل الآن؟

(غازي): لا أعرف لكني مرعوب جدّاً

(ريان) وهو يضع يده على كتف صاحبه: اسمع.. قم ببيعه وتنتهي المشكلة

(غازي): المشكلة ليست بالطائر!.. المصيبة هي في من تحدث خلال غيابي!

(ريان): ماذا تريد أن تقول؟.. أن لصوصاً دخلوا شقتك؟.. هل فقدت شيئاً مؤخراً؟

(غازي): لا.. واللصوص لن يكرروا كلمة كل يوم كي يحفظها

(ريان) يحك لحيته في حيرة: وأنت لا تملك تلفازاً لنقول بأنه سمعها منه

(غازي) بتوتر: ما العمل الآن؟

(ريان): لا أعرف ماذا تريد أن تفعل أنت؟

(غازي) يدعك وجهه بكفيه: أكاد أصاب بالجنون!

(ريان): لنخرج الآن ونكمل الحديث في الموضوع لاحقاً

(غازي): حسناً

في الأسبوع الذي تلا ذلك وصل (ريان) لشقة (غازي) وطرق الباب لكن صاحبه لم يجب عليه فكرر الطرق بقوة أكبر وقرع الجرس عدة مرات دون أن يستجيب له أحد. وقف (ريان) محتاراً أمام باب الشقة مشاوراً نفسه في كسر الباب أو إبلاغ الشرطة وخلال حيرته تلك بدأ يسمع صوتاً كصوت

دبيب شخصٍ يجري ذهاباً وإياباً داخل الشقة فوضع أذنه على الباب كي ينصت بشكل أوضح لكنه لم يسمع شيئاً فركل (ريان) الباب بقدمه وكسر القفل ودخل جرياً ليجد صاحبه مستلقياً وسط غرفة المعيشة بأعين مفتوحة وكان فيما يبدو قد فارق الحياة منذ أيام وما أن رآه (رمادي) حتى لف رأسه نحوه قائلاً: «صباح الخير..!»

لا تظن أن أحداً سيحبك

أو يعشقك كنفسه..

هوايتي الصغيرة

أحب الرسم..

لا أرسم سوى باللون الأحمر.. لا خيار أمامي..

لا أرسم بريشة أو قلم فرؤوسهما ليست حادة بما يكفي لنحت

أحلامي..

لوحتي ليست من ورق أو قماش.. جلد.. جلدي..

لست مبدعة.. رسوماتي مجرد خطوط أرسمها بالعرض..

من اليمين إلى الشمال.. من الشمال إلى اليمين..

أشعر بكل خطٍّ أرسمه.. شعور جميل.. إحساس مختلف

خطوطي الحمراء تتحول للأسود لاحقاً.. تصبح أجمل..

لم يعد هناك مكان أرسم عليه.. رقعة الرسم في تناقص كل يوم..

ارتكبت خطأً قبل قليل وأنا أرسم على معصمي.. رسمت خطاً طولياً..

الألم مختلف هذه المرة.. مزعج..

اللون الأحمر انسكب في كل مكان.. أشعر بالدوخان..

لا بأس.. آخر أعمالي هو قمة إنجازي ونهاية عذابي..

الأساطير تولد من رحم الحقيقة

وتنمو في صدر من يرويها . .

العمكوس

القصة عندما تتكرر وتُذكر على عدة ألسنة في أزمنة متفاوتة تتحول لأسطورة وتكذيبها يصبح أكثر صعوبة مع تواتر تلك القصص خاصة إذا كان من غير المنطقي اتفاق هؤلاء الناس على الكذب لاختلاف بلدانهم وأزمانهم. من تلك الأساطير المتناقلة هي أسطورة «العمكوس» ربما لم تسمع بهذا الاسم من قبل وربما أيضاً لم تسمع بأسطورته ولم تلتقِ بأحدٍ رآه أو احتك به لكن أستطيع أن أوكد لك أن الكثير شاهدوه ورأوه خاصة الذين يعملون في المزارع والمسطحات الخضراء.

تربى (راضي) وعاش معظم شبابه في مزرعة أسرته وكان والده يزرع التمور ويبيعها كمصدر رزقه الأساسي بالإضافة لزراعة وبيع بعض المحاصيل الأخرى. (راضي) كان الابن الوحيد بين خمس بنات لذا لقي اهتماماً خاصّاً من أبيه الذي كان يطمح أن يكمل ولده دراسته ليصبح طبيباً. لم يكن ذلك

الأمر صعباً فـ(راضي) ومنذ نعومة أظفاره كان ذكياً جداً وما

أن التحق بالمدرسة إلى يوم تخرجه من الثانوية لم تنقصه علامة

واحدة وكان متفوقاً على الدوام. قرر (راضي) الالتحاق بكلية

الطب لتحقيق حلمه وحلم عائلته لكن أباه استدعاه لغرفته في

منزلهم المتواضع بالمزرعة وقال له وهو يخرج صندوقاً من تحت

سريره: لن تدرس في أي جامعة..

(راضي) وهو يأخذ الصندوق من يدي أبيه الجافتين والمتشققتين:

ما هذا يا أبي؟

(الأب): لقد جمعت لك هذا المال كي تدرس في أرقى جامعة

خارج البلاد ولا أريدك أن تعود حتى تحصل على أكبر شهادة

في الطب

(راضي) مبتسماً: سوف أدرس البكالوريوس هنا في البلد يا أبي

فجامعاتنا ليست سيئة وهذا المال استخدمه لتزويج أخواتي

(الأب) وهو ينهر ابنه: لا تعارضني وخذ المال وسافر!.. لقد

أفنيت عمري في الفلاحة كي أرى اليوم الذي تصبح فيه طبيباً

يُشار إليه بالبنان!

(راضي) يقبل رأس أبيه مبتسماً: حاضر يا أبي.. لن أخذلك

سافر (راضي).. والتحق بجامعة مرموقة لتدريس الطب البشري وبعد سنوات قليلة حصل على درجة البكالوريوس بامتياز وبمرتبة الشرف في جراحة المخ والأعصاب واتصل بأبيه ليبشره وهو في حفل التخرج وقال له أعدك أني سأعود وأكمل دراسة الماجستير.

(الأب): هل هناك شهادة أعلى من التي حصلت عليها؟

(راضي): نعم الماجستير ومن بعدها الدكتوراه

(الأب): وكم سنة تحتاج للحصول عليها؟

(راضي) ضاحكاً: عندما أعود سوف أشرح لك.. لقد اشتقت لأمي وأخواتي

(الأب): لا تعد قبل أن تحصل على تلك الشهادة العالية

(راضي) باستغراب: لكن يا أبي..

(الأب): هل ينقصك المال؟.. سأبيع المزرعة وأطلب من خالك أن يحول لك ما يكفيك

(راضي): لا لا يا أبي ما معي كافٍ لكني اشتقت لكم

(الأب): نحن لن نذهب لأي مكان.. لا تعد إلا بأكبر شهادة يمكنك الحصول عليها

(راضي) بنبرة حزن: أمرك

لم يكن (راضي) صادقاً مع أبيه فالأموال التي كانت معه نفدت قبل تخرجه بعدة أشهر وكان يصرف على نفسه من خلال عمله في أحد المطاعم ولكنه لم يرد أن يقوم أبوه ببيع المزرعة التي عمل فيها طيلة حياته خاصة وأن عائلته لا تملك سكناً آخر أو مصدر دخل سوى تلك المزرعة. لاحظ أحد الدكاترة خلال حفل التخرج الحزن البادي على وجه (راضي) فسأله عن السبب وعندما أخبره وعده بإلحاق اسمه ضمن قائمة المنح المجانية التي تطرحها الجامعة وكان متيقناً من حصوله عليها لتفوقه لأن ذلك المحاضر معجب جداً بعقل (راضي) واجتهاده. حصل (راضي) على المنحة بكل سهولة وأكمل دراسته للماجستير وألحقها بالدكتوراه بوقتٍ قياسي لرغبته الشديدة بالعودة لوطنه ولأهله وأصدقائه. كان يتواصل بشكل منتظم مع أهله بالاتصال على

بلده (رجب) لأن مزرعتهم لم يكن بها هاتف وكان يطمئن على أبويه وأخواته بانتظام وفي بعض الأحيان يصادف وجودهم عند خاله ويتحدث معهم. في الثلاثة الأشهر الأخيرة انقطع (راضي) عن التواصل معهم كي يُركز على كتابة ومناقشة رسالة الدكتوراه والتي حصل عليها بدرجة امتياز أيضاً وبالرغم من أن الجامعة عرضت عليه الالتحاق بطاقم التدريس فيها إلا أنه اعتذر منهم وحجز أول تذكرة عائداً لبلاده.

ما أن حطت الطائرة على الأرض وتوقفت على مدرج المطار حتى خرج (راضي) من مقعده وتسمر أمام باب الطائرة متحمساً للعودة لأهله. فُتح الباب ونزل من سلمها وجرى وأنهى إجراءاته واستلام أمتعته وركب أول سيارة أجرة أخذته لمدينته التي كانت تبعد ساعتين تقريباً عن المطار. وصل (راضي) عصراً وبعد محاسبة السائق الذي أقله دخل المزرعة وهو يصرخ: «لقد عدت!.. لقد عدت!»

لم يجبه أحد في بادئ الأمر لكن ومع اقترابه من مدخل منزله الصغير شاهد أخته الكبرى (زهرة) تقف مع رجل لم

يرَه من قبل وحولهما طفلان. ما أن رأت (زهرة) أخاها الصغير

وتعرفت عليه خلف تلك البدلة الرسمية حتى جرت نحوه

وعانقته وبدأت بالبكاء.

(راضي) وهو يبادلها العناق: لقد اشتقت لكم كثيراً!

(زهرة) وهي لا تزال تعانق أخاها: غبت طويلاً يا (راضي)!

(راضي) مبتسماً بأعين دامعة: ولقد عدت الآن

بدأ طفل صغير في الخامسة تقريباً يشد بنطال (راضي) ويقول:

اترك أمي.. لا تخنقها

فك (راضي) عناق أخته وحمل الطفل وهو يقول باسماً: لا بد

أنك (كمال)!

تقدم الرجل الذي كان يقف مع أخته ومد يده لمصافحة

(راضي) وهو يقول: حمداً لله على سلامتك!

(راضي) يصافح الرجل ويقول مبتسماً: وأنت (عباس) زوج

أختي (زهرة)

(عباس) ضاحكاً: نعم

(راضي) يلتفت حوله ويقول لأخته: أين أبي وأمي وبقية أخواتي؟

تغيرت ملامح (زهرة) ومدت يديها وأخذت ابنها من (راضي) وهي تقول: جميعهم في المستشفى..

(راضي) بقلق شديد: المستشفى؟!.. لماذا؟!.. ما الذي حدث؟!

(عباس): لا تقلق العم تعرض لوعكة صحية بسيطة وأخذناه للمستشفى

(راضي): أي مستشفى؟!.. خذوني لهناك فوراً!

استقل الجميع سيارة زوج (زهرة) وتوجهوا للمستشفى..

(راضي) من المقعد الأمامي لأخته في المقعد الخلفي: ما الذي حدث بالضبط؟

(زهرة) وهي ممسكة بأحد ابنيها في حجرها: لا نعرف لقد سقط أبي فجأة بالأمس ونقلناه بسيارة الخال (رجب) للمستشفى القريب من هنا وقالوا لنا إنه تعرض لصدمة

(راضي) باستغراب: صدمة؟.. صدمة من ماذا؟

(عباس) وهو ممسك بالمقود وعينه على الطريق: لا نعرف لِمَ
يحدث شيء كي يتعرض لصدمة

(راضي) لأخته: لِمَ كنتِ مع زوجك بالمزرعة؟ لِمَ لم تكونوا
بالمستشفى مع البقية؟

أنزلت (زهرة) رأسها وكأنها لا تريد الإجابة فتدارك زوجها صمتها وتحدث قائلاً: كنا نريد إحضار بعض الحاجيات لأبيك..

(راضي) بوجه غير مقتنع: حاجيات ماذا؟

(عباس) وهو يلف المقود: لقد وصلنا..

أوقف (عباس) السيارة فترجل (راضي) منها جرياً نحو موظفي الاستقبال وسأل عن رقم غرفة أبيه ولم ينتظر أخته وزوجها كي يخبراه بذلك. دخل الغرفة والتي كانت في الطابق الثالث وتحديداً في قسم الباطنية بالرغم من أن علة أبيه كانت عصبية. ما أن دخل (راضي) الغرفة على أمه وأخواته المجتمعات حول أبيه حتى انفجر المكان بخليط من البكاء والفرح لرؤية (راضي) وأخذ الجميع يتناوبن على عناقه وتقبيله لكن عقل (راضي) كان منشغلاً بأبيه المستلقي على الفراش الأبيض بأعين مغمضة.

(راضي) وهو يقبل يد أمه: ما به أبي يا أمي؟!

(الأم) وهي تدمع: لا نعرف يا ولدي فالطبيب لم يخبرنا بالكثير

(راضي) وهو يتحسس رأس أبيه ويرفع جفن عينه: أين الطبيب الذي كشف عليه؟

أجابته إحدى أخواته وقالت: اسمه الدكتور (عدنان)..

خرج (راضي) من المكان وسأل عن الطبيب حتى وجد مكتبه ودخل عليه وبدأ بالنقاش معه عن حالة أبيه.

(د.عدنان): ما شاء الله أنت مُلم بتخصصي أكثر مني.. هل تدرس الطب؟

(راضي): أريد رؤية التحاليل والأشعة التي قمتم بها؟

(د.عدنان): أنا لم أقم بأي تحاليل بعد.. لقد أجرينا فحصاً مبدئياً فقط

(راضي) بغضب: ولماذا هذا التأخير؟!

(د.عدنان): قسم الباطنية لا يملك الأجهزة اللازمة لفحص مريض مصاب بصدمة عصبية

(راضي) بصوتٍ مرتفع: ولمَ لم يُعرض على طبيب أعصاب؟!

(د.عدنان): إذا لم تخفض صوتك فسوف أستدعي الأمن ليخرجوك من هنا بالقوة!

صمت (راضي) وزفر زفرة ساخنة وهو يحدق بوجه الطبيب الذي قال: لقد كشف طبيب الأعصاب بالمستشفى على أبيك وهو من قال إن الفحوصات يمكن أن تنتظر.

(راضي) ينهض من أمام الطبيب: هذه فوضى!

عاد (راضي) لغرفة أبيه وطلب من أهله الخروج فقالت (زهرة) التي صعدت مع زوجها خلف (راضي): نحن كنا سنعود للمزرعة على أي حال فأمي لم تنم منذ الأمس

(راضي): عودوا وسألحق بكم بعد ما أجلس مع أبي قليلاً

همت أم (راضي) بالنهوض بثقل فجرى ابنها إليها وعاونها وعينه تنظر لأخواته بتعجب شديد لأنهن لم يساعدنها فتقدمت إحدى أخواته وأمسكت بأمه وقادتها للخارج و(راضي) يراقبهن بتعجب شديد لبرودهن وقلة اهتمامهن. خرج الجميع

فأغلق (راضي) الباب خلفهم وجلس بالقرب من سرير أبيه ممسكاً بيده يدلكها تارة ويقبلها تارة أخرى. بعد ساعة أنزل (راضي) رأسه على طرف السرير ونام من الإرهاق فهو لم يذق طعم النوم منذ أن ركب الطيارة. أفاق (راضي) على صوت باب الغرفة وهو يُغلق فرفع رأسه ليرى ممرضة تُعد حقنة ما. نهض وأخذ الحقنة من يدها قائلاً: ما هذا المصل؟

(الممرضة): مهدئ

سأل (راضي) عن توفر عقار معين في المستشفى فأجابته الممرضة بالإيجاب فطلب منها إعداد حقنة بجرعة معينة من ذلك المصل لكنها رفضت فأخبرها بأنه طبيب متخصص ويعرف ما يقوم به فقالت له: لا يحق لأحد صرف علاج لهذا المريض سوى الطبيب المشرف عليه

(راضي) بغضب: طبيبكم أحمق وسوف يتسبب بغيبوبة دائمة لأبي!

(الممرضة) وهي تهم بالخروج من الغرفة بعد أن حقنت أبا (راضي) بالمهدئ: أعتذر لا يمكنني مساعدتك..

بعد ما أغلقت الممرضة الباب خلفها سمع (راضي) أباه الذي بدأ يستفيق جزئياً فجرى نحوه وأمسك بيده وراح يقبلها ويبكي قائلاً: حمداً لله على سلامتك!

لم يستطع أبو (راضي) الحديث كثيراً ولم يقل سوى عبارة غير مفهومة قبل أن يغط في غيبوبته مرة أخرى قال: الأمر للمزرعة.. إنه بانتظارك..!

حاول (راضي) إيقاظ أبيه لكنه انزلق في غيبوبته وخلال ذلك دخل الطبيب المسؤول عن أبيه بعد ما أخبرته الممرضة بما حدث وبمجرد دخوله قال لـ(راضي) بتجهم: من أنت؟!

(راضي) وهو ينهض من جانب أبيه ويقول للطبيب بغضب: هل أنت الطبيب المعالج لأبي؟!

(الطبيب) يتعجب: نعم ومن أنت؟!

(راضي): أبي يحتاج جرعة من مصل خاص وليس للمهدئات!

(الطبيب) بتجهم: ومن أنت لتخبرني كيف أمارس عملي؟!

استمر ذلك النقاش المحموم بين (راضي) والطبيب حتى

دخل أمن المستشفى وقادوه للخارج. كان (راضي) يستشيط غضباً لكنه لم يستطع العودة للمستشفى وقرر الذهاب للمزرعة بسيارة أجرة. عندما وصل للمنزل دخل مباشرة ليجد خاله (رجب) مع أمه وأخواته وعلى وجوههم نظرات غريبة فصرخ فيهم وقال: ما الذي يحدث؟!

نهض الجميع بصمت وخرجوا من المكان عدا خاله (رجب) الذي أشار له بالجلوس وهو يقول بهدوء: اجلس يا (راضي)..

(راضي) بعصبية: ما الذي يحدث يا خالي؟!.. لمَ الجميع يتصرفون بغرابة؟!

(رجب): اجلس وسوف أخبرك..

جلس (راضي) وهو يرتجف من التوتر والغضب..

(رجب): اسمعني جيداً وحاول أن تستوعب ما سأقوله لك..

(راضي): ماذا؟!.. ماذا تريد أن تقول لي يا خال؟!

(رجب): عندما أرسلك أبوك للدراسة بالخارج لم تكن الشهادة همه بل كان يريد إبعادك عن المزرعة قدر الإمكان..

(راضي): يبعدني؟.. لماذا؟

(رجب): أبوك ليس الابن الوحيد لجدك.. جدك أنجب ثلاثة صبية غيره

(راضي) باستغراب: لم أكن أعرف بأن لي أَعْمَاماً..

(رجب): هذا لأنهم ماتوا جميعاً قبل ولادة أبيك

(راضي): ماذا؟.. ماتوا؟

(رجب) وهو يزفر: جدك هداه الله قتل إحدى البهائم ليلاً دون أن يسمي ولم يكن يعرف أنها أحد أبناء (العمكوس)

(راضي): ماذا؟.. (عمكوس)؟.. ما هذه الهرطقات؟

(رجب):.. (العمكوس) حقيقة ويسكن مزارعنا منذ سنين ومعظم الفلاحين رأوه والكثير منهم تعرض لأذاه لكن جدك هو الوحيد الذي قتل أحد أبنائه

(راضي) بتعجب وحالة شبه هستيرية: عن ماذا تتحدث؟!.. هل فقدت عقلك يا خالي؟!

(رجب): أبوك كان يظن أن (العمكوس) اكتفى بقتل أَعْمَامك لكنه فيما يبدو قد عاد ليقتص منك أنت وأبيك

(راضي) وهو ينهض ويشير لخاله بالخروج بعصبية: شكراً يا خالي!.. يمكنك الرحيل الآن!

(رجب) واضعاً يده على كتف (راضي): صدقني أنها الحقيقة وأمك وأخواتك يعرفنها الآن.. يجب أن ترحلوا فوراً من المزرعة

(راضي) وهو يصرخ في خاله: المقابلة انتهت يا خال!!

(رجب) بهدوء: سوف آخذ أمك وأخواتك لمزرعتي ومن الأفضل لك أن لا تبيت هنا الليلة والقرار في النهاية يعود لك

(راضي) يجلس بوجهٍ محتقن دون أن يرد على خاله..

خرج (رجب) وأخذ أخته وبناتها معه وبالرغم من محاولات الأم البقاء مع ابنها إلا أن أخاها أجبرها على الرحيل ووعدها بأنه سيعود ليلاً ليحاول إقناع (راضي) بالقدوم معه.

حل الليل وبدأ (راضي) يستعد للنوم ولكن وبعد إسناد

رأسه للمخدة بدأ يسمع نهيقاً آتياً من قلب المزرعة فقال محدثاً نفسه «يبدو أن أبي قد اشترى حماراً..»

حاول (راضي) تجاهل النهيق المزعج لكنه لم يستطع فقرر الخروج والبحث عن ذلك الحمار فلعله جائعٌ أو عطشٌ. توجه للزريبة ولم يرَ فيها سوى بقرة وبعض الدجاج ولم يرَ بينها حماراً. استغرب مما شاهده وخلال تفكيره عاد النهيق من خلفه فالتفت ليرى منظراً أفزعه في بادئ الأمر. رأى على بعد عشرين متراً تقريباً حماراً يحدق به. كان المكان شبه مظلم لكن القمر المكتمل وفر نوراً لمعت معه أعين ذلك الحمار. صرخ (راضي) في الحمار قائلاً: اخرج من هنا واتركني أنمْ!

لم يحسب (راضي) حسبان ما حدث فقد وقف الحمار على أطرافه الخلفية وبدأ يسير نحوه كالإنسان. فزع (راضي) وارتعب من المنظر وجرى بسرعة للمنزل ودخل وأغلق الباب خلفه وهو يتنفس بثقل ويقول: ما هذا؟!.. ما الذي يحدث؟!

بعد دقائق من دخوله للمنزل بدأ الباب يُطرق بقوة يصاحبه نهيق عالٍ. تسمر (راضي) مكانه مرعوباً ولم يستطع التفكير وهو

يسمع تلك الطرقات والنهيق. توقفت الأصوت فجأة وحل مكانها هدوء أكثر رعباً ومع هذا لم يتحرك من مكانه حتى سمع خاله (رجب) ينادي عليه من الخارج قائلاً: اخرج يا (راضي)!.. اين أنت؟!

احس (راضي) بسعادة كبيرة لسماع صوت خاله وهَمَّ مسرعاً ليفتح له الباب لكن وقبل أن يسحب المزلاج الذي أقفل به درفة الباب سمع خاله يحدثه مرة أخرى من خلف الباب مباشرة وبصوت هادئ وغريب: نعم.. افتح الباب..

تردد (راضي) وقال: خالي؟.. هل هذا أنت؟

(رجب) وبصوت مخيف: نعم.. أنا خالك (رجب).. افتح الباب..

(راضي) بتوتر: هل أتيت وحدك أم أتت أختي (فاطمة) معك كما أخبرتني؟

(رجب): لا.. أتيت وحدي.. أختك (فاطمة) نامت ولم أرد إيقاظها..

أحس (راضي) بمغصٍ شديد من الرعب الذي أصابه بعد سماع هذا الكلام لأن لا أحدَ من أخواته اسمها (فاطمة) وبدأ بجر نفسه والسير مبتعداً عن الباب وذلك الشيء لا يزال يحاول إقناعه بفتح الباب قائلاً: افتح.. افتح..

توجه (راضي) للباب الخلفي من المنزل في نية للهروب من فوق سور المزرعة لكن وبمجرد أن فتح الباب رأى ذلك الحمار واقفاً أمامه على أطرافه الخلفية بأعين حمراء لامعة فصرخ صرخة مدوية كسرت هدوء تلك الليلة.

وُجد (راضي) في اليوم التالي وهو فاقد لعقله ويغني بملابس متسخة بالطين في أحد أركان المزرعة وهو يردد خلال غنائه: «العمكوس.. العمكوس..»

قصة لا يمكن تصديقها أليس كذلك؟.. لا أحد سيلومك لو لم تصدقها بل على العكس تماماً قد تلام لو صدقتها وتتهم بالغباء لقبول مثل هذا الكلام الفارغ.. لكن أتعرف ما المشكلة؟.. أن الروايات الخاصة بـ(العمكوس) كثيرة جداً لكن تختلف تسميته من بلد لآخر فالبعض يسميه بـ(حمار الظهيرة)

أو (حمارة القايلة) بالعامية الخليجية وفي الجزائر يسمونه بـ(مُهر القبور) وفي المغرب يسمونه (بغلة القبور) ويقولون بأن لونه أبيض وفي ليبيا يسمونه (حمار الليل) وفي تونس يطلق عليه لقب (حمار الجبانة) وحتى لا يقال إن أسطورة (العمكوس) محصورة في الدول العربية فهو أيضاً مذكور في الأساطير الغربية ويُعرف باسم (Donkey lady) بالرغم من أن الأسطورة الغربية صورته كنصف حمار ونصف إنسان فظروف خروجه متشابهة جدّاً.

في النهاية تواتر الذكر لتلك الأسطورة بهذا الشكل المتكرر في أصقاع كثيرة من العالم ليس دليلاً قاطعاً على وجودها لكن بلا شك ليس دليلاً على عكس ذلك.

ملمس البنان البارد على الجلد

مثير لليقظة ومحفز للموت . .

قشعرة

أعاني من هاجسٍ مؤرق.. يصيبني بقشعرة.. والسبب كائن

صغير

حشرة..

أكره أرجلها وسيقانها المشعرة..

أكره دبيبها الصامت نحوي في الظلام..

منزلي مخزن لكل مبيد وأرض غرفتي تُغطى بالسم كل ليلة..

كلهم يموتون عدا واحداً..

صرصور..

صريره يُصر ليلاً أن يعصر عقلي في معصره..

أطفئ الأنوار لأنام فيصمت ليتحرك نحوي..

يتحرك بسرعة وهدوء وثقة..

أغمض عينيّ..

يتسلق بسيقانه النحيلة رقبتي مروراً بشفتيّ ووجهي

مستقرّاً على جبيني.. مداعباً غرتي..

أضربه وأضرب وجهي كالمجنون..

أشعل الأنوار..

لا أرى سوى قطرات دم أنفي على قميصي..

لا بأس.. سأنال منه غداً.. أو بعد الغد..

المكسور لا يكتمل

إلا بمكسورٍ آخر..

حلوى العيد

فتاة في الحادية عشرة من عمرها أصيبت بمرض السكري عندما كانت في السابعة وبالرغم من تأقلمها مع مرضها إلا أنها تصاب بالحزن والإحباط في وقت العيد حيث لم يكن يُسمح لها بتناول الحلوى كما تشاء مثل بقية أقرانها ولم يكن مسموحاً لها سوى بتناول قطعة واحدة بعد أخذ جرعة الأنسولين وسط قلق وحذر أهلها من أن تصاب بنوبة ارتفاع في سكر الدم. لم تكن تلك القطعة اليتيمة كافية لـ(وفاء) فمشاهدة الأطفال وهم يتناولون ما طاب لهم من الحلوى كان عذاباً حقيقياً لها، لذا ابتكرت لعبة خاصة بها وهي عد وإحصاء قطع الحلوى المعروضة في مجلس استقبال الضيوف وحصرها بشكل يومي حتى تنفد الصينية. كانت تلك اللعبة التي مارستها مع نفسها تخفف عنها قليلاً لسبب مجهول.

صباح أول أيام العيد.. تضع أم (وفاء) صينية كبيرة من

الحلوى أمام الضيوف من أقربائها وأطفالهم ويبدأ الجميع بتناول الحلوى و(وفاء) تراقب باهتمام كي تختار القطعة الوحيدة التي ستحظى بها من تلك الصينية.

(الأم): هل حددتِ أي قطعة تريدين يا (وفاء)؟

(وفاء) ونظرها على الصينية: أريد القطعة البنفسجية يا أمي

(الأم): هل أخذتِ جرعة الأنسولين؟

(وفاء) بتلهف: نعم.. نعم..

مدت (وفاء) يدها لأخذ آخر قطعة من الحلوى ذات الغلاف البنفسجي اللماع لكن أحد أبناء خالاتها خطفها بسرعة من أمامها وفتحها ووضعها في فمه وبدأ يلوكها وهو ينظر لها بابتسامة استفزازية. أصيبت (وفاء) بالإحباط الشديد وعندما رأت أمها حزنها قالت: يمكنك أخذ واحدة أخرى.. ما رأيك بتلك المصاصة الحمراء؟.. ستدوم في فمك مدة أطول

(وفاء) بحزن: كنت أريد البنفسجية..

(الأم): كلها تحمل الطعم نفسه

(وفاء) بعصبية: لا يا أمي ليست كذلك!

(الأم): يجب أن تتناولي الحلوى كي لا تصابي بهبوط بسبب الإبرة

مدت (وفاء) يدها على مضض واختارت قطعة حلوى بغلاف أخضر وتناولتها لكن طعمها لم يكن لذيذاً أو مستساغاً لها ففتحت فمها وبدأت في تحريك لسانها في نية لبصقها لكن أمها نهرتها وقالت: أكمليها..

بلعت (وفاء) قطعة الحلوى ولم تستمتع بها مطلقاً..

في نهاية اليوم الأول من العيد وبعد رحيل جميع الضيوف قامت (وفاء) بعَدّ قطع الحلوى المتبقية كما اعتادت كل عام وقالت محدثة نفسها: بقي ٦٦ قطعة من أصل ٩٤ قطعة..

(الأم) وهي ترتب المكان: ماذا تفعلين؟

(وفاء): أعد قطع الحلوى المتبقية

(الأم): لماذا؟

(وفاء): بلا سبب.. أحب القيام بذلك

(الأم) وهي تحتضن ابنتها: صدقيني يا حبيبتي أن الأمر لو كان بيدي لأحضرت لكِ كل الحلوى التي ترغبين بها لكن صحتك أهم

(وفاء) بحزن: أعرف يا أمي..

(الأم) مبتسمة: هيا لنخلد للنوم فخالاتك سيعدن غداً أيضاً

(وفاء): حاضر

ذهبت الأم مع ابنتها وخلدتا للنوم في الفراش نفسه فأبو (وفاء) كان مسافراً فترة العيد تلك السنة. في صباح اليوم الثاني للعيد استيقظت (وفاء) وأيقظت أمها ثم توجهت لغرفتها وبدأت تستعد وتلبس ملابس ثاني أيام العيد. نزلت مسرعة عبر السلالم وسَبَقت أمها لمجلس استقبال الضيوف. جلست أمام صينية الحلوى المتروكة منذ الأمس على حالها وبقيت تحدق فيها. أخذت الأم تحضر بقية العدة لاستقبال الضيوف من شاي وقهوة وغيرهما من ما يقدم للضيوف يوم العيد و(وفاء) جالسة تحدق بصينية الحلوى.

(الأم) وهي تضع فناجيل القهوة مبتسمة: هل ستحدقين بتلك الصينية طيلة اليوم؟

(وفاء) وعينها على صينية الحلوى: نعم

(الأم): لمَ تعذبين نفسك هكذا يا ابنتي؟

(وفاء) ونظرها منصب على الصينية: أنا مستمتعة بذلك يا أمي..

(الأم) تهم بالرحيل مبتسمة: كما تشائين

قبل أن تصل الأم لباب الخروج من المجلس في طريقها للمطبخ لإحضار المزيد من الحاجيات الخاصة باستقبال الضيوف قالت (وفاء) دون أن ترفع نظرها عن صينية الحلوى:.. الحلوى ناقصة..

(الأم) وهي تتوقف وتلتفت على ابنتها: ماذا؟.. ماذا قلتِ؟

(وفاء) تحيد بنظرها وتوجهه نحو أمها:.. الحلوى ناقصة..

(الأم) وهي تقترب من ابنتها: ماذا تقصدين بناقصة؟

(وفاء) تشير بسبابتها للصينية وتقول: بالأمس بقي ٦٦ قطعة واليوم يوجد ٦٥.. لقد نقصت واحدة..

(الأم): ربما أخطأتِ بالعد

(وفاء) لقد عددتها أكثر من عشرين مرة وأنا متيقنة من أنها

ناقصة

(الأم) وهي تعود لباب الخروج بلا اكتراث: وما المشكلة؟

(وفاء) تنهض من مكانها وتلحق بأمها: ما المشكلة؟!

(الأم) وهي مستمرة بالمسير نحو المطبخ: نعم ما المشكلة؟

(وفاء) بتجهم: المشكلة هي أننا خلدنا للنوم والصينية بها ٦٦

قطعة واستيقظنا وبها ٦٥!

(الأم) وهي تُخرج بعض الكؤوس وتصفها في صينية مذهبة:

هوسك هذا غير صحي يا عزيزتي..

(وفاء) بعصبية: لكن يا أمي..!

انقطع الحوار بصوت جرس الباب وهو يُقرع..

(الأم): اذهبي وافتحي الباب لا بد وأنها إحدى خالاتك مع

أطفالها

(وفاء) تزفر بتذمر: حاضر!

استمر توافد الضيفات مع أطفالهن ذلك اليوم حتى اكتظ المجلس بهم وبقيت (وفاء) كعادتها تراقب كل من يمد يده ويأخذ من صينية الحلوى بالرغم من أنه كان هناك صواني أخرى للمعجنات والمكسرات إلا أن تركيزها كان على صينية الحلوى فقط. انتهى اليوم ورحل الجميع في ساعة متأخرة من الليل وبدأت الأم بترتيب المجلس كعادتها وهي تقول: غداً هو آخر يوم سنستضيف فيه أحداً بمناسبة العيد..

(وفاء): لمَ لا تقوم إحدى خالاتي باستقبالنا في بيتها؟ لمَ أنتِ دائماً من يقوم بذلك؟

(الأم) وهي ترفع صينية من الكؤوس شبه الفارغة: لأن منزلي هو الأكبر ومن بعد وفاة جدك وجدتك أصبحت أنا المسؤولة عن استقبال العائلة كل عيد وهذا يسعدني جدّاً ولا يضايقني

(وفاء): لكن هذا الأمر شاق عليكِ يا أمي

(الأم) تسير تجاه باب الخروج المؤدي للمطبخ مبتسمة: أنا مستمتعة بذلك لا تقلقي..

(وفاء) توجه نظرها لصينية الحلوى وتبدأ بالعد..

انتهت الأم من ترتيب المجلس وقبل رحيلها قالت لابنتها مبتسمة: هل انتهيتِ من العد؟

(وفاء) وهي تنهض من مقعدها: نعم.. بقي ٣٢ قطعة من أصل ٩٤

(الأم) ضاحكة: هيا إذاً لنرتاح من هذا اليوم الشاق

في اليوم الثالث من العيد تكرر نفس روتين اليوم الأول والثاني تقريباً وكالعادة سبقت (وفاء) أمها للطابق السفلي وذهبت للمجلس في انتظار قدوم الضيوف وخلال انتظارها قامت بعد قطع الشوكولاته مرة أخرى وهنا كانت صدمتها فقد كان مجموع القطع ٣١ قطعة. فزعت (وفاء) من نتيجة العد وجرت نحو أمها وهي تنادي عليها بصوتٍ مرتفع: أمي!.. أمي!

(الأم) بارتباك وتوتر من نداء ابنتها: ما بكِ!.. ما الأمر؟!

(وفاء): قطع الحلوى ناقصة اليوم أيضاً!

(الأم) وهي غير مستوعبة: ماذا؟.. ناقصة؟

(وفاء) تشد أمها من ذراعها وتقودها إلى المجلس وتوقفها أمام الصينية وتشير إليها قائلة: انظري.. لقد كان بالصينية ٣٢ قطعة عندما خلدنا للنوم بالأمس وعندما استيقظنا اليوم أصبحت ٣١ قطعة!

(الأم) تتجاهل ملاحظة ابنتها وتعود للمطبخ قائلة: خالاتك على وشك الوصول وليس لدي وقت لهذا

(وفاء) بإحباط: لكن يا أمي..

انتهى اليوم الثالث والأخير من أيام العيد وودعت الأم أخواتها جميعاً ورافقتهم حتى باب الخروج وعند عودتها لترتيب المجلس وجدت ابنتها تحدق بالصينية كعادتها ولم يتبقَّ فيها سوى ٣ قطع من الحلوى.. قطعة من الشوكولاة.. مصاصة حمراء.. وقطعة بسكويت.. نظرت الأم بحزن لحال ابنتها وقالت: تناولي واحدة إذا شئتِ..

(وفاء) ملتفتة على أمها باستغراب: حقاً؟

(الأم) مبتسمة: نعم.. فأنتِ كنتِ تتناولين واحدة كل يوم خلال نومنا واختلقتِ تلك القصة فقط كي تغطي على تسللك ليلاً..

لا أريدك أن تكذبي علي بسببها.. تناولي واحدة.. إنه العيد على أي حال..

(وفاء) بتجهم: غير صحيح يا أمي!.. أنا لم أتناول أياً منها بعد اليوم الأول!

(الأم) تسير خارج المجلس: أنا متعبة اليوم وسوف أخلد للنوم مبكراً

(وفاء): ألن ترتبي المجلس كعادتك؟

(الأم) وهي تخرج: لا.. سوف أقوم بذلك في الصباح فقط أطفئي أنوار المجلس قبل أن تنامي.. تصبحين على خير

بقيت (وفاء) عدة دقائق صامتة أمام صينية الحلوى ثم نهضت وسارت نحو باب الخروج دون أن تأخذ أياً من القطع المتبقية وأغلقت الباب بعد خروجها. صعدت للطابق العلوي ومرت بغرفة أمها لتخبرها بأنها ستنام في غرفتها الخاصة الليلة لكن الأم كانت تشخر من التعب فلم توقظها وأغلقت الباب بهدوء وأكملت المسير نحو غرفتها. عندما وضعت (وفاء) يدها على مقبض باب غرفتها تذكرت أنها لم تطفئ الأنوار كما طلبت

منها أمها فعادت أدراجها للطابق السفلي وتوجهت للمجلس

وفتحت الباب ومدت يدها نحو قابس النور بجانبه.

تسمرت (وفاء) مكانها ويدها على قابس النور..

بقيت تحدق بصينية الحلوى بأعين متسعة ومرعوبة..

كانت ترى شيئاً ظنت أنه خيال لكنه لم يكن كذلك..

كان ظهره مداراً لها..

قامته قصيرة أحدب الظهر.. عارياً بجلدٍ أخضر غامق.. يكز

بمخلب سبابته الثلاث القطع المتبقية من الحلوى بشكل متكرر

وكأنه يعدها..

مع كل وكزة يصدر صوتاً غريباً كنوتة موسيقية مبتورة..

كان محتاراً..

أي واحدة سوف يتناول الليلة..

أمسك بالمصاصة الحمراء.. أزال غطاءها.. وضعها في فمه وبدأ

يمصها بشراهة و(وفاء) تراقبه مرعوبة..

استدار نحوها وهو يقلب المصاصة الحمراء في فمه.. وقعت

عيناه على أعين (وفاء) المتسمرة.. ابتسم بأنفٍ مبتور وأعين خالية من الحياة.. أمسك بعصا المصاصة البيضاء وأخرجها من فمه الملطخ بلعابه اللزج ومدها لها قائلاً: هل تريدينها..؟

عندما تستاء من سعادتي سيصبح

ذلك الاستياء جزءاً منها . .

تمنَّ

في أحد المستشفيات في الخارج نقل طبيب خبراً مؤلماً لامرأة ثرية في منتصف الثلاثينيات من عمرها وأخبرها بأن مرضها مزمن ولا يرجى منه شفاء وأنها لا تملك سوى أيامٍ معدودة قبل أن تفارق الحياة. سألته بالإنجليزية والدموع تجري على وجنتيها عن ما إذا كان لديها وقت للعودة لبلدها كي تموت هناك فقال لها إنه لا يضمن لها ذلك وقد توافيها المنية في أي لحظة. نهضت من أمامه وشكرته وخرجت من عيادته حيث كان زوجها المرافق لها بانتظارها بوجهٍ قلق فلم تقوَ على إخباره بما قاله الطبيب واكتفت بالقول بأنها متعبة وتريد العودة للفندق. لم يصر الزوج على زوجته لتخبره بنتيجة الفحوصات وسار بها لبوابة المستشفى الخارجية وبدأ يشير بيده ليستوقف سيارة أجرة.

قبل أن يتمكن الزوج من استيقاف سيارة أخبرته زوجته بأنها تريد المشي قليلاً فالأجواء في تلك البلد كانت جميلة جداً

وزخات المطر قد بدأت للتو بالهطول. أسندها على كتفه وسار بها على الرصيف لأنها كانت ضعيفة جداً ولا تقوى على المشي وحدها. لم يدم سيرهما طويلاً حتى أقبلا على حديقة عامة توسطتها نافورة رخامية كبيرة. أشارت الزوجة برغبتها في الجلوس على طرف تلك النافورة لإحساسها بالوهن والتعب. أجلسها زوجها برفق عند النافورة وبقي واقفاً أمامها يراقبها وهي تضمحل وتتنفس بصعوبة ولم يتفوه بشيء.

رفعت رأسها بصعوبة ووجهت نظرها لنقشٍ نُقش بخطٍ كبير على النافورة الرخامية. كان النقش مكتوباً بلغة تلك البلدة والتي لم تكن الإنجليزية فلم تستطع قراءته فلاحظ زوجها تمعنها بتلك الحروف وسألها: «ما بكِ؟» أجابته بصوتٍ مشبع بالإرهاق قائلة: «أريد معرفة العبارة المنقوشة على النافورة.» استدار الزوج بنظره ورأى أحد المارة فسار نحوه وتحدث معه قليلاً بالإنجليزية وهو يشير للنافورة وزوجته تراقبه بأعين هجرتها الحياة. عاد الزوج بعد ما ودع الرجل وقال لزوجته: «ذلك الرجل يقول إن العبارة المكتوبة على النافورة تقول «خذ

رشفة وتمنّ»، يبدو أن هذه النافورة تحقق الأمنيات حسب أساطير هذه البلد.

ابتسمت الزوجة وقالت: «من الجميل أن نعلق آمالنا على الأوهام». مد الزوج يده لها وقال مبتسماً بحزن: «هيا لنعود للفندق كي ترتاحي». قبل أن تنهض المرأة غطست كفها في ماء النافورة وارتشفت من مائها وحدثت نفسها ببعض الكلمات غير المسموعة لزوجها. أسندها الزوج على صدره وسار بها للشارع واستوقف سيارة أجرة وعادا لمقر سكنهما.

ما أن وصل الاثنان للغرفة حتى استلقت الزوجة على فراشها وغطت في نومٍ عميق وبقي زوجها يجري اتصالاته لتأكيد حجز العودة لبلادهما بعد ما أخبرته زوجته بأن الطبيب أخبرها بأنه لا يوجد علاج لها وأنها تحتضر وأيامها معدودة وأنها ترغب الموت في منزلها وعلى فراشها. لم يبارح الزوج تلك الليلة مكانه وبقي في الغرفة يشاهد التلفاز لساعة متأخرة من الليل. قبل الفجر بقليل استفاقت الزوجة وفتحت عينيها ونهضت بهدوء وتوجهت لدورة المياه. نهض الزوج بتوتر خلفها وسارت نحو

دورة المياه وأسند جبينه لبابها وقال بقلق: «هل أنتِ بخير؟..
هل تشعرين بألم؟» لم ترد الزوجة على زوجها مما زاد من توتره
وقلقه فطرق الباب وعاود السؤال ففُتح الباب وخرجت زوجته
وعلى وجهها ارتسمت ابتسامة لم يرَها منذ زمن طويل وقالت:
«أنا بخير..» بادلها الابتسام وقال: «حسناً.. عودي للفراش كي
ترتاحي» قاطعته بشيء من الحماس وقالت: «لا لا.. أنت لا
تفهم!.. أنا بخير!.. لقد شفيت!»

(الزوج) مستغرباً: عن ماذا تتحدثين؟

(الزوجة) بحماسٍ أكبر: لقد زال الألم بصدري وظهري وأحس
بنشاط!

(الزوج) واضعاً كفه على كتفها: لا بأس لا تجهدي نفسك
وعودي للفراش

(الزوجة) تخرج من دورة المياه متجاوزة زوجها: يجب أن نذهب
للطبيب حالاً!

(الزوج) بتعجب: في هذا الوقت المتأخر؟

(الزوجة) وهي تخرج بعض الملابس وتعود لدورة المياه: نعم الآن وفوراً!

(الزوج): لا أظن أن الطبيب المتخصص في حالتك موجود الآن.. لننتظر للصباح

(الزوجة): فعلاً معك حق.. لكني متحمسة جدّاً

(الزوج): متحمسة لماذا؟

(الزوجة): أريد أن أجري التحاليل مرة أخرى.. أنا متيقنة بأن المرض قد رحل عن جسدي!

(الزوج) مجارياً زوجته في حماسها: حسناً حسناً سنذهب أول الصباح للمستشفى

(الزوجة) ترفع قائمة خدمة الغرف وتفتحها: أشعر بجوعٍ شديد.. أريد تناول الكثير من الطعام

(الزوج): هل نسيتِ أنكِ تتبعين حمية خاصة؟

(الزوجة) ترفع السماعة وتضعها عند أذنها وتقول باسمة: لم يعد لتلك الحمية ضرورة أخبرتك بأني تماثلت للشفاء!

بقي الزوج يراقب زوجته وهي تطلب أصنافاً كثيرة ومتنوعة من الطعام ولم يتحدث معها حتى أغلقت السماعة وجلست على الأريكة أمام التلفاز والبهجة والسعادة تتفجران من محياها. جلس بجانبها وقال: لا تجهدي نفسك حتى نتحقق غداً من أنكِ تحسنتِ..

(الزوجة) وهي تقلب قنوات التلفاز بجهاز التحكم عن بعد وعيناها على الشاشة: أنت لا تدرك ما حدث..

(الزوج) بتساؤل: وما الذي حدث؟

(الزوجة) وهي تلتفت على زوجها: النافورة.. لقد حققت لي أمنيتي

(الزوج) بتعجبٍ: أي نافورة؟.. التي كنا عندها عصر اليوم؟

(الزوجة): نعم.. لقد أخذت رشفة منها وتمنيت وقد حققت لي أمنيتي!

(الزوج): الشفاء بيد الله وليس بيد تلك النافورة

(الزوجة): ونعم بالله لكنها كانت سبباً وأنا مؤمنة بذلك

(الزوج): المهم أن تكوني بالفعل تعافيتِ وهذا هو الأهم

(الزوجة) بنظرة استنكار: ما بك؟.. ألست سعيداً بتماثلي للشفاء؟

(الزوج) بتجهم: كيف تقولين هذا الكلام؟!

(الزوجة) بعصبية: أقول ذلك لأنك تشكك في كلامي!

(الزوج) بهدوء: أنا فقط أريد التحقق ولم أقل ذلك إلا كي لا نتعلق بأملٍ كاذب

(الزوجة): وما يضيرك تعلقي بأمل كاذب أو حقيقي؟!

(الزوج) مبتسماً: لا يضيرني شيء.. والحمد لله على سلامتك

باب الغرفة يُطرق..

(الزوجة) وهي تنهض مبتسمة: لقد وصل الطعام!

في اليوم التالي ومع إشراقة أول نور للصباح توجه الاثنان للمستشفى وقابلا الطبيب المعالج لحالة زوجته وطلبا إجراء الفحوص الطبية مرة أخرى وبما أن تلك الفحوص تأخذ وقتاً يستغرق معظم النهار استأذن الزوج من زوجته وأخبرها بأنه

سيذهب لإنهاء بعض الأمور المتعلقة بسفرهما ريثما تنتهي هي من كافة الفحوص والتحاليل اللازمة. عند العصر عاد الزوج وتوجه مباشرة لعيادة الطبيب ودخل عليه ليرى زوجته تبكي من السعادة بعد أن أكد لها الطبيب أنها تعافت تماماً من المرض وأن لا أثر له في جسدها نهائياً. عانق الزوج زوجته مبتهجاً وبدأ يسير معها للخروج من العيادة لكنها وقبل أن تطأ بقدمها خارجها أحست بالدوخان وسقطت على الأرض مغشياً عليها.

فتحت عينيها لترى نفسها على سرير أبيض وذراعها موصل بكيس محلول للتغذية وذراعها الآخر موصل بجهاز لمراقبة نبضات القلب. رأت زوجها ممسكاً بيدها مسنداً خده لكفها المفتوح مغمضاً عينيه. حركت يدها فاستيقظ الزوج ورفع رأسه وقال بقلق: هل أنتِ بخير الآن؟

(الزوجة) بصوتٍ متعب: ما الذي حدث؟

(الزوج): لقد ساءت حالتك فجأة والمرض عاد وانتشر في جسدك

(الزوجة): ماذا قال الطبيب؟.. هل يمكنني العودة للمنزل؟

(الزوج) بحزن: لا.. لقد فقدتِ القدرة على الحركة..

(الزوجة): يبدو أنها النهاية..

(الزوج) يمرر أصابعه بين أصابع كف زوجته ويشد عليها: ستتعافين بإذن الله

(الزوجة) بنبرة ثقيلة ومتعبة: أين ذهبت اليوم خلال إجرائي للتحاليل والفحوصات؟

(الزوج): ذهبت لإنهاء إجراءات سفرنا.. لقد أخبرتك بذلك

(الزوجة): لقد غبت لساعات طويلة.. أين ذهبت بعد الانتهاء من إجراءات السفر؟

(الزوج) بتوتر: لم أذهب إلى أي مكان.. عدت هنا في الحال

(الزوجة) تغمض عينيها وتبتسم: هل عدت للنافورة؟

(الزوج) بتعجب: ماذا؟.. النافورة؟ ولِمَ أعود إليها؟

(الزوجة) وعينها لا تزال مغمضة: كي تتمنى عودة المرض لي.. وأموت.. وترثني..

(الزوج) مبتسماً بحزن وتوتر وبنبرة معاتبة ومطمئنة: ما هذا

الكلام؟.. هل تظنين حقاً أني كنت لأفعل شيئاً كهذا؟

(الزوجة) وهي تفتح عينيها: هل تعرف ما الأمنية التي تمنيتها ذلك اليوم؟

(الزوج): أن تتماثلي للشفاء..

(الزوجة) تدمع وتنظر لزوجها: لا.. تمنيت أن يرتبط عمري بعمرك وأن أعيش بقدر ما ستعيشه أنت..

(الزوج) بتوتر: ماذا؟

(الزوجة) وهي تحتضر وتلفظ أنفاسها الأخيرة: سنرى إن كانت أمنيتي ستتحقق..

فارقت الزوجة الحياة فأصدر جهاز مراقبة القلب طنيناً متصلاً..

سحب الزوج يده الممسكة بكف زوجته ووضعها على صدره لإحساسه بألم مفاجئ..

نهض مترنحاً نحو باب الغرفة وسقط ميتاً قبل أن يتمكن من طلب المساعدة..

لن تتخيل حياتك حتى تحيا حياتك . .

هجمجس

متيقن أن هناك شيئاً يقيم معي في غرفتي.. أسمعه ولا أراه..

لا أنام قبل أن أنظر تحت السرير.. تحت اللحاف.. في الأدراج والدواليب..

إنه يجيد الاختباء.. لكنه لن يخدعني..

مدخل حمامي في غرفتي.. أعتقد أنه ينام هناك أحياناً..

استيقظت منتصف الليل.. أظن أني سمعت صوتاً.. لا.. أنا متيقن..

أحتاج أن أستخدم الحمام.. هل ينتظرني ذلك الشيء هناك؟

دخلت.. أشعلت الأنوار.. لا يوجد أحد.. إنه يجيد الاختباء..

أغلقت الباب خلفي ولم أغلقه.. وقفت أمام المرآة أراقب عينيّ المرهقتين وأراقب الباب المفتوح جزئيّاً خلفي..

أخيراً.. حدث ما كنت متيقناً من حدوثه يوماً.. الباب يُفتح

بيطء من ورائي.. لقد وصل.. كنت متيقناً بأني لا أتوهم.. كنت واثقاً من وجوده..

ضربات قلبي تضرب بحماس وفزع جدار صدري.. فتحة الباب تتسع.. وتتسع.. ما زلت واقفاً أمام المرآة ونظري منصب بتشنج على درفة الباب التي ارتطمت للتو بالجدار.. أغمض عينيّ ليأخذني أخيراً من هواجيسي المؤلمة..

الموت بيقين خيرٌ من العيش في وهم..

مواء قطة..

أفتح عينيّ وأنظر أسفل مني.. قطتي الأليفة تلعق أصابع قدمي..

نسيت إطعامها اليوم..

يبدو أن هذا اليوم ليس اليوم الذي ستظهر فيه..

أنت حقاً تجيد الاختباء..

الزمن ثابت ولا يتغير لكن

نحن ثابتون على التغير دوماً . .

توتة .. توتة

في مزرعة خضراء واسعة وجميلة رقدت الدجاجة على بيضاتها الخمس ولم تبارح مكانها إلا لفتراتٍ قصيرة لتناول الطعام أو شرب الماء. جارتها الأرنبة المرقطة كانت تزورها كل صباح مع ابنتها الصغيرة للاطمئنان عليها. كان فصل الربيع للتو قد دخل والأرض مخضرة بعد ما ذاب بساط الثلج عنها والثمار تتدلى من الأشجار والأزهار تتراقص مع نسمات الريح الباردة تحت سماءٍ صافية شمسها الدافئة غطت بأشعتها كل بقعة. أحست الدجاجة بالنقرة الأولى لأحد صيصانها وهو يحاول شق طريقه خارج البيضة فقامت وتنحت وبدأت تنظر وتنتظره بحماس. فقست البيضة الأولى لكن ما حدث كان أجمل وهو أن الخمس البيضات بدأت تفقس متزامنة بعضها مع بعض حتى خرجت منها خمسة صيصان صفراء صغيرة جميلة بصحة وعافية. بدأ الصغار بالسير خلف أمهم السعيدة ينقرون الأرض ويقتلعون البذور ويتناولونها. مرت الأرنبة المرقطة مع ابنتها بالدجاجة

وبدأت تقفز حولها فرحاً بقدوم فراخها الذين قفزوا ولعبوا مع الأرنبة الصغيرة في بهجة غامرة.

(الحفيد) بتذمر: قصتك مملة يا جدتي..

(الجدة) مبتسمة: القصة لم تنتهِ بعد

(الحفيدة) بتأفف: إذا كان هدفك من القصة يا جدتي أن ننام من الضجر فقد نجحتِ

(الجدة): هذه قصص ما قبل النوم التي تربيت عليها

(الحفيد): هذه القصص لا تؤثر بنا.. نريد قصة أكثر حماساً وتشويقاً

(الجدة) بنظرة تعجب: كيف؟

(الحفيدة): أضيفي بعض البهار للقصة يا جدتي فهي خيالية من الأساس

(الجدة) وهي تربت شفتيها بسبابتها: مممم.. حسناً.. اسمعا..

بينما كانت الأرنبة تقفز بسعادة أمام الدجاجة لمحت ثعلباً

قادماً من بعيد يجري نحوهم بسرعة كبيرة فقضمت أذن ابنتها في إشارة لها بالهروب بسرعة والعودة لجحرهم. لم تعرف الدجاجة سبب هروب الأرنبة السريع حتى أحست بأنياب الثعلب وهي تقبض على عنقها وتحطم عظام رقبتها. هز الثعلب رأسه بقوة حتى فصل رأس الدجاجة عن جسدها الذي بقي يقفز ويتلوى ونقاط الدماء تتطاير على صغارها وهم ينصتون لقرمشة منقار أمهم بين فكي الثعلب وهو يلتهم رأسها وإحدى أعينها تتدلى من بين أنيابه الطويلة. همت الصيصان بالهروب لكن الثعلب قفز نحوها وبدأ يطؤها واحداً تلو الآخر بأقدامه ليحطم عظامها ويشل حركتها ويتفرغ لالتهامها لاحقاً بعد ما يفترس أمها بالكامل والتي توقفت للتو عن التلوي. بقي الفراخ الصغار على الأرض بين المحطمة سيقانه وعظام صدره وبين من خرجت أحشاؤه من بطنه ومؤخرته لكن لم يمت منها أحدٌ على الفور. لم ينسَ الثعلب الأرنبة المرقطة وابنتها الصغيرة وبدأ بالسير مستعيناً بحاسة شمه القوية التي التقطت رائحة بول الأرنبة على نفسها من الخوف فعثر على جحرها بسرعة وبدأ بالحفر والحفر حتى لمح جزءاً من ذيلها القطني المتفخ وقضمه

على الفور وسحبها للخارج ومزقها مبتدئاً ببطنها السمين وهي تصرخ ألماً. عاد الثعلب للحفر مرة أخرى بحثاً عن ابنة الأرنبة المرقطة بأنفه المبتل بدماء أمها حتى عثر عليها وقضم بفكه القوي رأسها وسحق جمجمتها لتموت على الفور ليسحبها للخارج ويفترسها هي الأخرى. عاد الثعلب للفراخ الصغيرة ذات الأحشاء المتدلية والسيقان المكسورة و..

(الحفيد) وهو يصرخ: توقفي يا جدتي!

(الحفيدة) تبدأ بالبكاء..

(الجدة) باستغراب: ما الأمر؟

(الحفيد) بتوتر وفزع: ما هذا يا جدتي؟!.. ما هذه القصة؟!

(الجدة): ألم تطلبا بعض البهار في القصة؟

(الحفيد): بلى ولكن ليس بهذا الشكل!

(الجدة) وهي تنهض: أنتم جيل متغطرس ولا يعجبه شيء.. تصبحان على خير

خرجت الجدة من الغرفة بعد ما أطفأت الأنوار وأغلقت الباب

لترى ابنتها أمامها تقول مبتسمة: هل انتهيتِ من سرد حكاية

قبل النوم لهما يا أمي؟

(الجدة): نعم لكن لا أظنها راقت لهما.. فأنا من جيلٍ مختلف فيما

يبدو..

الحياة ليست دائرة بل خط مستقيم . .

الإهليلج

في مركزٍ للشرطة دار جدالٌ محموم بين ضابط ومتهم بجريمة قتل وانتهى النقاش الحاد بأمر من الضابط لشرطي كان يقف بجانبه قائلاً: خذه للحجز حتى تعرض قضيته عل النائب العام..

شد الشرطي ذراع المتهم لإنهاضه من أمام الضابط فبدأ يصرخ قائلاً: أقسم أني بريء!.. أقسم أني كنت نائماً!.. كنت نائماً!

نهض الرجل مفزوعاً ليجد نفسه في فراشه وأن ما حدث كان مجرد حلم ليرى أن الساعة تشير للرابعة فجراً وقال محدثاً نفسه: «الحمد لله كان مجرد حلم..»

الهاتف يرن.. يمد يده ويرفع السماعة ويضعها عند أذنه.. شخص في الطرف الآخر من المكالمة يقول له:»هل أنت الأستاذ (فهد) ؟»

(فهد) وهو ينهض من فراشه بتوتر: نعم.. نعم أنا (فهد).. ما الذي حدث؟

(الشرطي): نحتاج حضورك فوراً لمركز الشرطة..

(فهد) بتوتر: حسناً.. حسناً..

نهض (فهد) من فراشه مسرعاً وبدل ملابسه وتوجه لمركز الشرطة..

عند دخوله للمركز استقبله أحد الضباط وكأنه يعرفه وقال: أنت الأستاذ (فهد) أليس كذلك؟

(فهد): بلى.. ما الأمر؟

أخذ الضابط (فهد) لمكتبه وأجلسه وقال له: اسمعني يا أستاذ (فهد) وحاول أن تستوعب ما سأقوله

(فهد) بتوتر: ما الذي يحدث؟

(الضابط): أين زوجتك الآن؟

(فهد) باستغراب: مسافرة مع ابني لزيارة والدتها

(الضابط): متى خرجا من المنزل؟

(فهد): لقد أوصلتهما للمطار الرابعة عصراً

(الضابط): هل شاهدتهما وهما يركبان الطائرة؟

(فهد) بقلق: لمَ تسأل؟!.. ما الذي حدث لهما؟!

(الضابط): فقط أجب عن أسئلتي رجاءً

(فهد): لا فقد كنت متأخراً عن موعد هام وأخبرتني زوجتي أنهما سيتدبران أمورهما

(الضابط) وهو يزفر: زوجتك وابنك لم يركبا تلك الطائرة إذاً؟

(فهد): لا أعرف.. أرجوك أخبرني ما الذي يحدث؟

(الضابط) وهو ينهض ويفتح ملفاً ويضعه أمام (فهد): الطائرة التي كانت زوجتك وابنك سيستقلانها سقطت بعد إقلاعها بعشر دقائق وكل من عليها لقي حتفه وخلال إبلاغنا أهالي الضحايا بالخبر لاحظنا أن زوجتك وابنك لم ينهيا إجراءات ركوبهما للطائرة ولم يكونا ضمن الركاب.

(فهد) بارتياح: الحمد لله

(الضابط): لكننا لا نعلم أين ذهبا..

(فهد): ماذا تقصد؟!

(الضابط): توقعنا أنهما عادا للمنزل لكن حسب كلامك أنهما لم يفعلا ذلك..

(فهد): أين ذهبت عائلتي إذاً؟!

(الضابط): هذا ما سنعرفه عندما نستعرض الأشرطة

(فهد): أي أشرطة؟

(الضابط): تسجيلات المراقبة الخاصة بالمطار فهي بالتأكيد قامت بتسجيل تحركاتهما منذ لحظة إيصالك لهما

(فهد) بتوتر وقلق: وأين هي تلك التسجيلات؟!

(الضابط): في الطريق إلينا الآن لقد طلبناها بشكل رسمي وأحد موظفينا ذهب لإحضارها

(فهد) بتوتر: ومتى سيصل..؟

(الضابط): لا تقلق نفسك يمكنك الذهاب الآن وبعد استعراضنا للأشرطة سوف نخبرك بالنتائج

(فهد): كيف أرتاح ومصير أسرتي مجهول؟!

(الضابط) وهو يقلب ملف القضية: أستاذ (فهد)..

(فهد):.. نعم..

(الضابط): هل كانت هناك مشكلات بينك وبين زوجتك أو أسرتك بشكلٍ عام؟

(فهد): مشكلات؟.. مشكلات من أي نوع؟.. إلى ماذا ترمي؟

(الضابط): أنت آخر شخص رآهما قبل اختفائهما وهذا يضعك في محل شبهة

(فهد) بغضب: شبهة؟!.. هل تتهمني بإيذاء أسرتي؟!

(الضابط) بصوت مرتفع: وكيف تعرف بأنهما تعرضا للأذى؟!

(فهد) بارتباك: أنا لا أعرف.. كنت أقصد..

(الضابط) وهو يصرخ مستدعياً أحد أفراد الشرطة من الخارج: أنت مقبوض عليك يا أستاذ (فهد) حتى يكتمل التحقيق!

(فهد) وهو يُجر من أحد أفراد الشرطة لزنزانة التوقيف: هل أنت مجنون؟!.. أنا لم أفعل شيئاً؟!

(الضابط) وهو يجلس على مكتبه: سنرى..

أمضى (فهد) ساعات في الزنزانة حتى الصباح ولم يستطع النوم..

فُتح باب الزنزانة عند الظهيرة ودخل عليه الضابط الذي أمر بحبسه بالأمس وقال للشرطي الذي كان معه: أحضره لمكتبي..

جلس (فهد) أمام الضابط وهو قلق ومتوتر: ماذا حدث هل وجدتم أسرتي؟!

(الضابط) وهو ينظر لملفٍّ كان مفتوحاً أمامه: نعم..

(فهد): الحمد لله.. أين هما؟!

(الضابط): في المشرحة..

(فهد) بصوت مرتفع: ماذا؟!.. ما الذي حدث لهما؟!

(الضابط): تسجيلات كاميرات المطار أظهرت أنه بعد رحيلك استقلت زوجتك سيارة أجرة ولم تدخل المطار..

(فهد): سيارة أجرة؟.. إلى أين؟

(الضابط): سائق الأجرة كان يعمل لدى شركة مواصلات لذا كان من السهل تعقبه والتحقيق معه.. أفاد في التحقيق أنه أخذ زوجتك لهذا العنوان..

مد (الضابط) ورقة لـ(فهد)..

أخذ (فهد) الورقة وقرأ العنوان ثم قال باستغراب: هذا.. هذا عنوان منزلنا..

(الضابط): نعم يا أستاذ (فهد).. لقد وجدنا زوجتك وابنك مقتولين في المنزل وجثتهما مخبأة في الثلاجة..

(فهد) وقد بدأ بالبكاء: من؟!.. من فعل ذلك..؟!

(الضابط) وهو يبتسم بسخرية: أنا مستغرب..

(فهد) وهو يمسح دموعه: مستغرب من ماذا؟

(الضابط): أنك أتيت بنفسك لنا عندما تم استدعاؤكـ ولم تفكر بالهرب..

(فهد) وهو يصرخ: ولمَ أهرب؟!.. أنا لم أفعل شيئاً!

(الضابط): كل الدلائل تشير إليك..

(فهد): أقسم أني لم أرَهما ولم أمسهما.. هل أنت مجنون؟!

(الضابط) يشير للشرطي الذي كان واقفاً معهما: خذه للحجز حتى تعرض قضيته على النائب العام..

(فهد) والشرطي يشد ذراعه لإنهاضه: أقسم أني بريء!.. أقسم أني كنت نائماً!.. كنت نائماً!

نهض (فهد) مفزوعاً ليجد نفسه في فراشه وأن ما حدث كان مجرد حلم ويرى الساعة تشير للرابعة فجراً وقال محدثاً نفسه: «الحمد لله كان مجرد حلم..»

الهاتف يرن..

يمد يده ويرفع السماعة ويضعها عند أذنه..

شخص في الطرف الآخر من المكالمة يقول له: «هل أنت الأستاذ (فهد) ؟.. نحتاج حضورك فوراً لمركز الشرطة..»

الموهبة هبة تتقد بالعزيمة وتشع بالحظ . .

في أحد المراكز الصيفية في المرحلة الثانوية عُرضت فقرة شعرية ألقى فيها المشاركون قصائد من تأليفهم وكان التصويت يتم من قبل لجنة مكونة من أساتذة المدرسة لتحديد الفائز بجائزة المسابقة والتي كانت ثلاثة آلاف تقريباً. «في كل عام لم يكن هنا سوى فائز واحد.. (مالك)».. هذا ما همسه في أذني صديقي خلال متابعتنا للمشاركات.. علقت على كلامه بقول «يبدو أن (مالك) هذا شاعر متمكن». ضحك صديقي قائلاً «(مالك) بالكاد يتجاوز مادة اللغة العربية فكيف يكون شاعراً».

كانت المسابقة على شقين.. مسابقة للشعر الفصيح وأخرى للشعر النبطي و(مالك) كان يحصد جوائز المسابقتين دوماً في كل عام كما قال صديقي. تحمست بعد تلك المقدمة لسماع ذلك الشاعر الموهوب بالرغم من انتقاص صاحبي لقدرته التحصيلية في الدراسة.

جاء دور (مالك) ومع أني لست من متذوقي الشعر المحترفين إلا أنه بهرني في إلقائه وسلاسة كلماته وأبياته. كانت كالحرير في نعومتها والعسل في حلاوتها والحجارة في قوتها. هو الوحيد الذي أرغم لجنة التحكيم على التصفيق له بحرارة معلنين فوزه قبل أن يقوموا بالتصويت. مهارة وموهبة (مالك) كانتا عجيبتين ولا يختلف عليهما اثنان لكن صاحبي (بدر) أصر أنه ليس بشاعر ولا يملك ذرة من الموهبة التي استعرضها فسألته متعجباً: لِمَ تصر على أن (مالك) غير موهوب؟

(بدر) ضاحكاً: يا عزيزي (عبد الواحد) كل هذا بسبب «مرمر»

كانت تلك أول مرة أسمع فيها اسم الشيطان «مرمر».. شيطان الحرف..

(عبد الواحد) بتعجب:.. «مرمر» من؟

(بدر): «مرمر» شيطان عبقر..

(عبد الواحد): لا تتحدث بالألغاز

(بدر) وهو ينهض: لنخرج من هنا وسأخبرك بعيداً عن الضوضاء

(عبد الواحد): ماذا عن الحفل؟

(بدر): أي حفل؟.. (مالك) حصد كل شيء كالعادة ولا فائدة من الإنصات لبقية الشعراء المغمورين

خرجنا من المركز وتوجهنا لمطعم قريب وطلبنا بعض الطعام واستأنفنا الحديث..

(عبد الواحد): أخبرني الآن ما حكاية «مرمر» هذا؟

(بدر) وهو يقضم شطيرة: «مرمر» شيطان يلجأ له أهل الفنون لتطوير إبداعاتهم

(عبد الواحد): ماذا تقصد بأهل الفنون؟

(بدر): الفنون.. الغناء والشعر والرسم والعزف والكتابة وغيرها

(عبد الواحد): وكيف يلجؤون إليه؟.. أليس هذا كفراً؟

(بدر): إذا كنت تظن أن الجميع مثلك فأنت في غفلة كبيرة.. الكثير مستعد أن يبيع نفسه للقليل من الشهرة والمال

(عبد الواحد): وهل أنت واحد منهم؟

(بدر): وهل تراني مبدعاً في أي من الفنون؟.. لو كنت منهم لتواصلت معه منذ وقتٍ طويل

(عبد الواحد): تتحدث عنه وكأن لديه مكتباً للخدمات يمكن اللجوء إليه في أي وقت

(بدر): لا ليس مكتباً بل كتاب

(عبد الواحد): كتاب ماذا؟

(بدر): ألم تسأل نفسك كيف عرفت بأن (مالك) يستعين بـ«مرمر» ليلقي الشعر بهذه الاحترافية والإبداع؟

(عبد الواحد): لا ولكنه سؤال وجيه.. كيف عرفت؟

(بدر): لأن بعض علامات «التسليم» ظاهرة عليه وعلى أعماله التي يقدمها

(عبد الواحد): ولو أني لا أفهم شيئاً مما تقول لكن أكمل

(بدر) مبتسماً: جدي يملك مكتبة كبيرة وقديمة وهوايته منذ الصغر كانت جمع أمهات الكتب ونوادرها وأنا لا أحب القراءة لكني أحب تصفح كتب مكتبته لأن بعضها تحتوي على صورٍ

جميلة ومفيدة لمراهقٍ مثلي

(عبد الواحد): لا شيء جديد.. أكمل

(بدر): وقع نظري في أحد الأيام على كتاب بعنوان «مزامير مرمر» كتاب مهترئ ومتهالك فتصفحته ظناً مني أنه يحتوي على صور راقصات

(عبد الواحد): وماذا وجدت بداخله؟

(بدر): لم ألحق أن أتصفحه بالكامل فقد دخل علي جدي ونهرني بقوة خاصة عندما رأى ذلك الكتاب تحديداً في يدي

(عبد الواحد): ألم يكن مسموحاً لك بتصفح كتب المكتبة؟

(بدر) مبتسماً: بالطبع لا.. كنت أتسلل وأتصفح كتبها خلسة

(عبد الواحد): وماذا حدث بعدها؟

(بدر): زاد فضولي لمعرفة محتواه لأن جدي لم ينهرني بتلك القوة من قبل بسبب كتاب.. حتى كتب السحر التي كان يمتلكها لم ينهرنِي بالشراسة نفسها عندما رآني يوماً أتصفحها.. أحسست أن الكتاب مميز بطريقة ما لذا عدت ليلاً وقرأته بالكامل

(عبد الواحد) باهتمام: وماذا وجدت؟

(بدر) مبتسماً ومقرباً وجهه من وجه صديقه المتحمس: الكتاب كان عجيباً..

(عبد الواحد) وهو يبادله الابتسام وبحماس: أخبرني!.. أخبرني!.. ماذا كان محتواه؟

(بدر): لنخرج من هنا أولاً ولنتحدث في الخارج

(عبد الواحد) بسخرية وتهكم: ما حكايتك مع تغيير الأماكن؟.. هل نحن مراقبان؟

(بدر) وهو ينهض: أريد أن أمشي قليلاً بعد الأكل

(عبد الواحد): حسناً لنرَ آخر هذه المراوغات

خرج الاثنان من المطعم وبدأا بالسير والحديث..

(بدر) مستأنفاً حديثه: الكتاب كان فيما يبدو مختصراً وشرحاً للكتاب الأصلي وتحدث عن شيطان اسمه «مرمر» لجأ له الشعراء قديماً ليساعدهم في هزيمة خصومهم في المساجلات الشعرية

(عبد الواحد): وكيف كان يساعدهم؟

(بدر): لم يوضح الكتاب ذلك لكنه ذكر أنه عندما يُعقد اتفاقٌ مع «مرمر» فإنه سوف يطور موهبتك لفترة محدودة بمقابل

(عبد الواحد): وما هو المقابل؟

(بدر): هذه الجزئية لم أفهمها كثيراً عند قراءة فصل «العقد» لأني قرأته على عجالة لكن ما فهمت منه أنه وبعد استدعاء «مرمر» يجب عيك تنفيذ سلسلة من الطلبات وتلتزم بمجموعة من الشروط كي تحصل على ما تريد

(عبد الواحد): لم تجبني.. كيف عرفت أن (مالك) استخدم «مرمر» في إلقاء قصائده

(بدر): من ضمن الشروط التي يطلبها «مرمر» منك هو أن تذكر اسمه في بعض أعمالك ولو أنك ركزت في قصائد (مالك) لانتبهت أن اسم «مرمر» ذكر في القصيدتين

(عبد الواحد): لقد أنصت للقصيدة بالكامل ولا أذكر أنه ذكر «مرمر» مرة واحدة

(بدر): ذكره عندما قال: «.. وخده كالمرمر..»

(عبد الواحد): لكنه هنا لا يقصد الشيطان بل يقصد الحجر

(بدر): لا يهم المعنى المهم أنه يذكر اسمه في ستة أعمال له

(عبد الواحد): ولِمَ ستة بالذات؟

(بدر) ضاحكاً: لا أعرف لِمَ لا تسأل «مرمر» بنفسه!

(عبد الواحد): جدك توفي أليس كذلك؟

(بدر): بلى قبل عامين.. لِمَ تسأل؟

(عبد الواحد): وماذا حل بمكتبته؟

(بدر) بوجهٍ مرتاب: هل تفكر بقراءة الكتاب؟

(عبد الواحد): نعم.. هل لديك مانع؟

(بدر): المكتبة أخذها أبي وأقفل عليها ولم يعد باستطاعتي الوصول لمحتواها

(عبد الواحد): خسارة..

(بدر): خسارة ماذا؟.. هذا الكتاب فيما يبدو كتاب للسحر وقراءته لا تجوز

(عبد الواحد): أنت قرأته

(بدر): قرأته جهلاً مني ولم أطبق شيئاً من محتواه لكن أنت فيما يبدو تملك نية أخرى

(عبد الواحد) ضاحكاً: وهل تظن أني صدقت كلامك عن «مرمر» هذا.. المسألة مجرد فضول

(بدر): فضول في غير محله

(عبد الواحد): لكن يبقى فضولاً سيؤرقني لأيام

(بدر): على أي حال لا يمكنك قراءة الكتاب أو الوصول إليه الآن

مضت السنون وافترقت عن صاحبي (بدر) عندما التحق كل منا بجامعة مختلفة ولم أقابله إلا مصادفة بعد التخرج بعشر سنوات تقريباً في أحد المجمعات التجارية. كان بصحبة زوجته وأطفاله وما أن شاهدني حتى عانقني مُرحباً بي وأصر أن يدعوني لمنزله ذلك اليوم لكني اعتذرت منه ولم يقبل اعتذاري إلا بوعدٍ مني بتلبية دعوته على العشاء في اليوم التالي. عند وصولي لباب

بيته والذي كان منزل والده السابق طرقت الباب فخرج لي مرحباً وقادني لمجلسهم القديم الذي أعرفه وزرته عدة مرات عندما كنا في الإعدادية.

(بدر) يصب القهوة: أين كنت كل هذه السنوات؟

(عبد الواحد) وهو يتناول الفنجال: سافرت بعد التخرج

(بدر): سافرت إلى أين؟

(عبد الواحد): إحدى الدول العربية في الشمال الأفريقي

(بدر) بتعجب: ولمَ ذهبت إلى هناك؟

(عبد الواحد): كنت أبحث عن كتاب «مرمر»..

(بدر) ضاحكاً: ألم تنسَ ذلك الكتاب؟

(عبد الواحد): لا.. منذ أن منعتني من قراءته والفضول يأكلني

(بدر): أنا لم أمنعك من قراءته.. أخبرتك بأن أبي قد استحوذ على مكتبة جدي بالكامل وخبأها

(عبد الواحد): وهل لا يزال أبوك محتفظاً بها؟

(بدر): أبي توفي قبل عدة سنوات مضت..

(عبد الواحد): رحمه الله

(بدر): وهل وجدت الكتاب في تلك الدولة؟

(عبد الواحد): لا.. بحثت مطولاً عنه وكل من ادعى معرفته بالكتاب كان إما كاذباً أو محتالاً يبحث عن النقود

(بدر): لعل ذلك كان من مصلحتك..

(عبد الواحد): هل لا تزال كتب المكتبة معك؟

(بدر): لا تحاول فتح الموضوع معي مرة أخرى

(عبد الواحد): لماذا؟.. لمَ تُصر على عدم عرض الكتاب علي؟!

(بدر): لأني أحب لك الخير وأنت تريد أن تلقي بنفسك للتهلكة

(عبد الواحد) بحنق: هذا شأني!

(بدر) مبتسماً بحسرة: لم تتغير.. حسناً أجبني على سؤالٍ واحد وسوف أعطيك الكتاب

(عبد الواحد) بحماس: تفضل اسأل ما تشاء

(بدر): ما الموهبة التي تريد أن يطورها لك «مرمر»؟.. لا أذكر أنك كنت تقرض الشعر أو تمارس الكتابة أو الإنشاد

(عبد الواحد): هل تعدني بأنك ستعطيني الكتاب لو أجبتك؟

(بدر): لا داعي لذلك أخبرتك بأني سأعطيك الكتاب لو أجبتني..

(عبد الواحد): الغناء..

(بدر) باستغراب: الغناء؟.. هل صوتك جميل؟.. لم أسمعك تغني من قبل

(عبد الواحد): لم تسمعني لأن صوتي سيئ لكني أحب الغناء و«مرمر» سيحقق حلمي بأن أكون مطرباً مشهوراً

(بدر): ماهذا الجنون الذي أنت فيه؟.. تفني جزءاً كبيراً من عمرك كي تصبح مطرباً وأنت لا تملك الموهبة من الأساس؟

(عبد الواحد): هل تريد التملص من كلمتك الآن؟

(بدر): لا.. يمكن أن أجادلك طيلة الليل في هذه المسألة لكني لن أفعل وسوف أعطيك الكتاب

(عبد الواحد) مبتهجاً: حقاً؟!

(بدر): نعم لكن لنتناول العشاء قبلها..

لم أصدق أن كتاب «مرمر» سيكون معي بعد كل تلك السنين حتى وضعه صاحبي أمامي.. كتاب مهترئ الصفحات تفوح منه رائحة الغبار.. هممت بفتحه لكن (بدر) منعني وأطبق الكتاب وهو بين يدي وقال: ليس هنا.. ليس في بيتي..

(عبد الواحد): حسناً.. أنا راحل الآن..

رحلت وعدت لمنزلي بسرعة وأنا في لهفة وشوق لتحقيق حلمي الذي طال انتظاره. وضعت الكتاب في حجري بعد ما جلست على الأريكة في غرفة المعيشة وفتحته وبدأت بالقراءة. انتهيت من الكتاب في ساعتين.. قرأت الطقوس وقطعت العهد.. كتبت كلمات أغنيتي الأولى في عشر دقائق.. قمت بتلحينها على عودٍ اشتريته من سنين ولم أعزف عليه قط لأني لم أكن أجيد ذلك قبلها.. كانت أناملي تتراقص على الأوتار بكل خفة ورشاقة.. انتهيت من الأغنية ومع بزوغ الفجر كنت قد سجلتها على قرصٍ مضغوط.. جودة الصوت لم تكن جيدة..

مع أول الصباح توجهت لشركة إنتاج فني معروفة في مدينتا وخلال أيام وقعت عقد ألبومي الأول دون أن أفكر.. وقعت على عشر أغانيَّ بشرط جزائي مالي ضخم.. خلال أسابيع كنت من أشهر المغنين في البلاد بعد نشر أغنيتي الأولى وتصويرها.. الشركة تطالبني ببقية الإصدارات حسب شروط العقد.. للتو أدركت أني وقعت في مأزق.. لو أصدرت أغنية أخرى فسأصبح تحت سيطرة «مرمر» وسيحق له أخذ حقه مني وقتما يشاء كما فعل مع من هم قبلي.. أنا الآن أكتب هذه الرسالة من السجن بعد ما رفعت الشركة المنتجة قضية علي بتهمة مخالفة شروط العقد المبرم بيننا.. حققت حلمي لكني لم أتمكن من الاستمتاع به.. «مرمر» يهمس في أذني على الدوام وأنا قابع في زنزانة بأجمل الأشعار.. يحثني على الاستمرار.. لم يعد بيدي خيار أو قرار.. سأكتب حتى يتوقف عن الهذيان في عقلي بإصرار.. وليأخذ ما يريد مني.

الحب نوع من الجنون المقبول . .

بالهناء والعافية

مزاج زوجتي مرتبط بمذاق طبخها.. فإذا كان لذيذ المذاق فهي سعيدة ومبتهجة وإذا كان ملحه غير موزون أدرك أن هناك أمراً يضايقها وأحاول الحديث معها لأكتشف دوماً أن معي حقاً. عشرتي معها جعلتني أعرف ما يدور في خلدها من الأطباق التي تعدها فهي لا تعد الحلوى إلا إذا كانت تريد أن تطلب مني شيئاً على سبيل المثال والقهوة والشاي يكونان مؤشراً على رغبتها في الخروج من المنزل. زوجتي شخصية كتوم ولا تتحدث عن مشاعرها أبداً وقد تسبب ذلك لنا بالكثير من المشكلات بداية حياتنا لكن ومنذ أن اكتشفت تلك الطريقة في قراءة أفكارها ومعرفة مزاجها من خلال طهوها أصبحت حياتنا أكثر سعادة واستقراراً.. حتى ذلك اليوم.. اليوم الذي وضعت فيه أمامي طبقاً غريباً ورحلت لغرفتها بصمت.. لا طعم ولا رائحة لذلك الطبق.. مجرد يخنة مرة.. تذوقتها وبلعت اللقمة على مضض.. تهيجت معدتي وأصابتني حموضة فورية تبعها

ألمٌ في بطني.. نهضت من المائدة وجريت مسرعاً لدورة المياه لأستفرغ ما في جوفي لكني لم أستطع.. شعرت بالغثيان الشديد مما تناولت.. لم أعرف معنى هذا الطعم ولم أتذوقه من قبل.. خرجت من الحمام بحثاً عن زوجتي لأعرف ما بها.. لم أجدها في الغرفة.. دولاب الملابس مفتوح.. خالٍ من ملابسها.. وجدت ورقة على السرير.. كانت رسالة منها.. أمسكت بها وأنا أشعر بمغصٍ شديد وصداع مؤلم باغتني وبدأت بالقراءة:

«.. علمت بخيانتك لي اليوم.. شعرت بالمرارة داخلي.. كرهتك بقدر حبي لك.. لثوانٍ لمت نفسي ولساعات لمتك أنت.. أنا راحلة وأنت سترحل كذلك.. طعامك اليوم كان برعاية خيبة أملي فيك ونكهة سخطي عليك وكرهي الذي زرعته في قلبي نحوك.. أصبحت أحب أن أكرهك وأكره أن أحبك.. بالهناء والعافية..»

الدودة البشعة لا تتحول

لفراشة جميلة دائماً . .

الغابة المفتوحة

أمضيت سنوات تائهة في هذه الغابة..

منذ وفاة صاحبي والوحدة تنهشني..

هذه الغابة غريبة.. لا تبدأ ولا تنتهي..

لم أعد تلك الفتاة البريئة.. أعتقد أن اليوم هو يوم ميلادي الثلاثون

أصبحت موحشة بوحشيتي.. لم أرَ وجهي منذ زمن طويل..

الضباب دائم هنا ولا ينقشع إلا ليلاً.. عندما تأتي الأصوات..

الأصوات التي تحدثني حين أصمت وتصمت حينما أصرخ..

أعرف أن هناك شيئاً يتعقبني في هذه الغابة فأنا لم أقتل صاحبي..

ادور في دائرة من الجحيم..

اصبحت كوابيسي تغييراً جميلاً عن جحيم رتابة يقظتي..

البرق والرعد هنا يأتي بعد المطر وليس قبله..

الماء طعمه كالصدأ ولا يزول مذاقه من لساني أبداً..

زادي أوراق الشجر فقط.. أصبحت دودة حرفيّاً بعد ما كنت دودة للأحرف..

أفتقد أبي.. بدأت أحسد صاحبي على موته..

الأصوات مؤخراً تطلب مني انتزاع حياتي بنفسي..

العرض مغرٍ ويبدو أني سأقبل به..

منار

أنت عدو نفسك وخصمها

الأول والأخير وكل من حولك

مجرد جمهور مصفق ..

لا تقرأ هذه القصة

غريب أمر الإنسان والأغرب فضوله الذي يرميه في التهلكة غالباً.. لم أكملت؟.. فضول؟.. عناد؟.. هل أنت ممن يكرهون تلقي الأوامر؟.. أم أنك ترى أنه من حقك قراءة ما تريد في كتاب تملكه ودفعت ثمنه؟.. سأمنحك فرصة أخرى لعدم إكمال القراءة.. يمكنك التوقف الآن والانتقال للقصة التالية..

ستكمل؟.. ماذا لو أخبرتك أن السطور التالية ستغير حياتك للأسوأ؟.. ماذا لو أخبرتك أنك لن تستطيع التراجع بعد قراءتها بالرغم من أنك ستتمنى ذلك..

ما زلت مصمماً على الإكمال؟.. كما تشاء..

القصة عنك.. عن مدى لامبالاتك بنفسك.. عن استهتارك وتجاهلك للتحذيرات التي تُرمى أمامك.. حياتك لن تكون

سهلة فأنت تبحث عن المتاعب وهي بدورها ستبحث عنك..
لا تحلم فأحلامك لن تتحقق لأنك مشغول بالفضول وتتبع
هواك وأهوائك.. كلها سنوات قليلة وستدرك أن عمرك قد
انقضى وشارف على الانتهاء وأنت لم تنجز شيئاً سوى تقليل
نسبة الأكسجين في الهواء.. نكرانك وإنكارك هذا الكلام حل
مؤقت للحقيقة الحتمية التي تسير نحوها وهي أنك ستعيش
للا شيء وتموت لا شيء.. خواء إلى خواء.. تراب إلى تراب..
فائدتك التي يمكن أن تتطلع إليها هي أنك ستسعد عائلة كبيرة
من الدود عندما يلتهمونك وحتى ذلك سيكون لفترة محدودة..
يمكنك إكمال الكتاب الآن..

الموت حق والحياة حقيقة وأنت تنتظر

أحدهما أن يأتي قبل الآخر..

صدق أو لا تُكذب

ستفقد شخصاً عزيزاً وستنسى الابتسام لفترة طويلة..

ما تنتظره لن يأتي وإن أتى فهو في الغالب ليس كما كنت تظن أو

تريد..

لست مركز الكون وكلامك لا منصت له سواك..

الحظ أهم من الطموح والعمل والاجتهاد مجرد تعب..

النور القوي يُعمي أكثر من الظلمة..

الناس سواء.. في الحقوق وليس الواجبات..

أنت تعيش أكذوبة كبيرة ولن تفيق منها إلا بكذبة أخرى..

لا يوجد صراع بين الخير والشر..

المال يجلب السعادة.. المال يشتري السعادة.. المال هو السعادة..

الخيانة مجرد وجهة نظر..

الرحمة أهم من الحب والظلم أقسى من الكره..

الاستشراف بالشرف قرف..

الزمن ليس كفيلاً بتحقيق أحلامك..

دموعك عملة لا قيمة لها..

من يفتخر بعدم الانحناء يكون منبطحاً في الغالب..

العدالة الحقيقية سيف وليست ميزاناً..

لا يوجد سعادة لك دون تعاسة لغيرك . .

هذا ما حدث معي

قناة إذاعية تقدم برنامجاً بعد منتصف ليل كل جمعة..

يتلقى البرنامج مشاركات هاتفية من المستمعين الراغبين في الحديث عن أمور غريبة حدثت معهم..

مذيع البرنامج يوقف سيارته في مواقف مبنى الإذاعة ليلاً قبيل انطلاق حلقة برنامجه الأسبوعي بنصف ساعة تاركاً محرك السيارة يعمل. يفتح نافذته ويشعل سيجارة ويبدأ بتدخينها بصمت وهو يستمع للبرنامج الذي يسبق برنامجه على المحطة نفسها. تُفتح بوابة المبنى الرئيسة ويخرج منها رجل يبدأ بالسير نحو سيارة المذيع. عند وصوله لنافذة السيارة المفتوحة يُطل منها مبتسماً ويقول:

ماذا تفعل هنا؟.. لِمَ لا تدخل للمبنى وتستعد للبرنامج؟

(المذيع) وهو ينفث سحابة من الدخان مبتسماً: احتجت قليلاً من الوقت مع نفسي قبل أن نبدأ حلقة هذا الأسبوع.. أنت معد

البرنامج وعملك أهم من عملي وحضورك مبكراً أولى مني

(المعد) ضاحكاً: شكراً لإطرائك لكن البرنامج بدونك لن يتم

(المذيع) وهو سارح في مدخل مبنى الإذاعة: هل عاودت تلك الفتاة الاتصال مرة أخرى؟

(المعد): تقصد التي اتصلت الأسبوع الفائت بخصوص الكتاب الذي قرأته؟

(المذيع): نعم..

(المعد): لا.. ربما تتصل اليوم

(المذيع): أريد منك اليوم أن تحاول التحدث مع المتصلين قبل تحويلهم علي

(المعد): لماذا؟

(المذيع): القصص التي نستقبلها على البرنامج لفتت انتباه الشرطة

(المعد) بقلق: الشرطة؟

(المذيع): نعم.. تلقيت اتصالاً بالأمس من مدير الشرطة في المدينة.. يبدو أنه من متابعي البرنامج

(المعد): وماذا كان يريد؟

(المذيع): يريد منا تزويده بأرقام بعض المتصلين

(المعد) باستغراب: لم يريد أرقامهم؟

(المذيع) وهو يطفئ سيجارته: يقول إن بعض الاتصالات مريبة واحداثها مشابهة لجرائم وقضايا مفتوحة عندهم ولم تحل بعد وقد يحتاجون للتواصل مع أصحابها

(المعد): لو تسرب هذا الشيء فلن يتصل بنا أحد

(المذيع) يفتح الباب ويترجل من السيارة: فقط تحدث معهم قبل أن تنقلهم على الهواء وإذا كانت قصصهم تتعلق بجرائم فلا تحول اتصالاتهم

(المعد): أغلبهم يرفض التحدث عن قصته قبل الحديث معك.. لقد حاولت من قبل

(المذيع) يسير نحو مدخل مبنى الإذاعة: أخبرهم أنها سياسة الإذاعة الجديدة.. لا نريد مشكلات.. البرنامج يزداد شهرة والأعين بدأت تحوم حولنا

(المعد) يسير بجانب المذيع: لا أظن أني أستطيع الحكم على القصة وقد أخفق في قراراتي

(المذيع) يقف ويدير نظره لمعد البرنامج: ماذا تقترح إذاً؟.. اجبني كمعد للبرنامج وليس كصديق

(المعد) بثقة: استقبل جميع الاتصالات وليحدث ما يحدث.. لا تتنازل عن مبادئك لأجل سطوة السلطة وهيمنة الرقيب

(المذيع) يستأنف المسير مبتسماً: كنت أعرف أنك ستقول ذلك

(المعد) يفتح باب المدخل للمذيع مبتسماً: وأنا أعرف بأنك لم تكن ستستجيب لهم لكنك تريد إقحامي معك في المسؤولية

(المذيع) وهو يدخل مبنى الإذاعة ضاحكاً: لن أسجن وحدي!

توجه المذيع مع معد برنامجه لمكان تسجيل البرنامج وجلس كل منهما على مقعده الخاص ووضعا السماعات في انتظار أن تدق الساعة تمام الثانية عشرة. عند منتصف الليل.

(المعد) خلال انتظارهما وقت البرنامج: ألا تلاحظ أن الاتصالات تزداد غرابة يوماً بعد يوم؟.. هل تعتقد أن بعض المتصلين يلفقون تلك القصص؟

(المذيع) وهو يشعل سيجارة: هذا وارد.. لكن جزءهم خلال رواية قصصهم ونبرات أصواتهم خلال استعادة ذكرياتها المؤلمة من الصعب تصنعها

(المعد): ربما..

رفع المعد سبابته في إشارة إلى أنهما انتقلا على الهواء فبدأ المذيع بالحديث قائلاً:

صباح الخير.. مرحباً بكم في حلقة جديدة من برنامجنا الأسبوعي «هذا ما حدث معي» وقبل أن نبدأ حلقة هذا الأسبوع أحب أن أشكر معد البرنامج الذي بدونه لم يكن لهذا البرنامج وجود

(المعد) يبتسم وينظر للمذيع الذي بادله الابتسام..

(المذيع) يستأنف كلامه: لنبدأ بأول اتصال معنا اليوم.. تفضل عرفنا باسمك..

(المتصل١): صباح الخير أنا (ولاء)..

(المذيع): صباح النور (ولاء).. تفضلي كلنا منصتون

(ولاء): القصة حدثت معي في عمرٍ صغير عندما كنا نقيم في منزلنا القديم

(المذيع): كم كان عمرك وقتها؟

(ولاء): كنت في السنة الثانية بالمدرسة على ما أظن

(المذيع): وماذا حدث في تلك الفترة؟

(ولاء): بالرغم من أن الحي الذي أقمنا فيه كان قديماً إلا أنه كان يضم حديقة جميلة بها الكثير من الألعاب.. كنت أحب الأرجوحة كثيراً وألعب بها كل يوم.. كانت أرجوحة بمقعد خشبي معلق على سلاسل حديدية قوية.. كنت أعشق التأرجح منها لأنها أعطتني الإحساس بالطيران لكن لم يكن يتسنى لي اللعب بها إلا إذا كنت مع أمي وأبي فلم يكن يُسمح لي بالخروج وحدي ومن شدة تعلقي بتلك الأرجوحة كنت أطل من نافذة غرفتي وأراقبها في الأوقات التي لا أستطيع اللعب بها

(المذيع): هل كان منزلكم قريباً من الحديقة؟

(ولاء): نعم فالحديقة كانت تقع وسط حينا تماماً ولحسن حظي

منزلنا كان ضمن تلك البيوت المحيطة بها ونافذة غرفتي تُطل عليها مباشرة

(المذيع): جميل.. وماذا حدث؟.. هل صدر أمر بإزالة الحديقة؟

(ولاء): لا.. لكن.. كنت صغيرة وقتها ولم أفهم ما رأيته..

(المذيع): ماذا رأيتِ؟

(ولاء): الحديقة كانت تضاء ليلاً بالرغم من أن مرتاديها أقل بكثير من النهار وأغلبهم من الكبار وبعد منتصف الليل تصبح فارغة تماماً.. قبل خلودي للنوم كنت أحب أن أطل من النافذة لإلقاء نظرة أخيرة على الحديقة وتحديداً على أرجوحتي المفضلة.. مواعيد نومي في ذلك العمر لم تتجاوز العاشرة ليلاً لذا لم أنتبه

(المذيع) لم تنتبهي لماذا؟

(ولاء): استيقظت إحدى الليالي بسبب العطش وذهبت للمطبخ في الطابق السفلي لشرب الماء وعند عودتي لغرفتي مررت لا شعورياً بالنافذة لأنظر للحديقة.. و.. ورأيتها تتحرك..

(المذيع): ما الذي يتحرك؟

(ولاء): الأرجوحة.. كانت تتحرك وحدها وكأن أحداً يلعب بها..

(المذيع): ربما الريح كانت قوية تلك الليلة وحركتها

(ولاء): قد يكون ذلك صحيحاً لكن على أي حال لم أنزعج كثيراً في الواقع.. لا أعرف لماذا.. ربما لأني كنت نصف نائمة..

(المذيع): هل عدتِ للنوم؟

(ولاء): نعم في الحال لكن عندما استيقظت وذهبت للمدرسة بدأت أفكر في الموضوع

(المذيع): كم كانت الساعة عندما رأيتِ الأرجوحة تتحرك؟

(ولاء): لا أذكر لكن بالتأكيد أنها تجاوزت منتصف الليل

(المذيع): قصة غريبة.. لنأخذ اتصالاً آخر

(ولاء): انتظر القصة لم تنتهِ

(المذيع): عذراً.. تفضلي أكملي

(ولاء): انتظرت حتى عطلة نهاية الأسبوع وقررت السهر لأراقب الأرجوحة علها تتحرك مرة أخرى

(النبيع): وهل تحركت؟

(ولاء): نعم.. تحركت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل واستمرت بالتأرجح لساعة كاملة قبل أن تتوقف وكان ذلك يوم الأربعاء وتكرر الأمر بنفس الطريقة يوم الخميس والجمعة أيضاً.. نفس الوقت.. نفس المدة..

•

(النبيع): أشعر بأنكِ قمتِ بشيء آخر غير المراقبة..

(ولاء) بصوتٍ متوتر قليلاً: نعم..

(النبيع): قررتِ الذهاب للحديقة ليلاً خلال تحرك الأرجوحة.. أليس كذلك؟

(ولاء): للأسف بلى وأنا نادمة إلى هذا اليوم على قيامي بذلك

(النبيع): لماذا؟

(ولاء): خرجت من المنزل ليلة الخميس التالية عندما بدأت الأرجوحة بالتحرك ولم أخبر أحداً بما رأيت وتركت باب المنزل مفتوحاً بشكل جزئي كي أتمكن من العودة.. سرت نحو الحديقة الواقعة أمام منزلنا مباشرة وعيني لا تفارق تلك الأرجوحة

المتحركة.. مع اقترابي منها بدأت أسمع صوت صرير السلاسل بسبب هدوء المكان ومع ذلك استمررت بالسير نحوها ولم أتوقف حتى توقفت الأرجوحة وكأن من كان يركبها انتبه لي أو رآني.. كانت المسافة بيني وبين الأرجوحة عند توقفي مترين تقريباً

(المذيع): هل عدتِ بعد أن توقفت الأرجوحة؟

(ولاء): لا.. قمت بشيء أحمق.. أكملت المسير وركبتها وبدأت أتأرجح بهدوء

(المذيع): تصرف غريب..

(ولاء): أعرف لكني كنت صغيرة ولم أفكر بالعواقب

(المذيع): وماذا كانت العاقبة؟

(ولاء): صرخ شيء بقوة في أذني قائلاً «هذا ليس دورك!!».. سقطت على الأرض مفزوعة وبدأت بالجري نحو المنزل وعند وصولي وجدت أن الباب مغلق فضربت الجرس بجنون وأنا أبكي حتى فتح لي أبي وما أن فُتح الباب حتى انطلقت مسرعة

نحو غرفتي ودخلت فراشي وأنا أبكي كالمجنونة

(المذيع): وبالطبع لم يصدق أحد قصتك وحجتك للخروج

(ولاء): لم أخبرهم بما حدث بالرغم من تكرار سؤال أبوي وإصرارهما على معرفة الحقيقة وفي اليوم التالي أخذاني لطبيب قال بأني قد تعرضت لصدمة جراء حالة من المشي أثناء النوم فتحول سخطهما لشفقة وقلقٍ علي

(المذيع): آه نعم العلم المنطقي.. هو خير ملجأ عندما لا نريد التصديق

(ولاء): ربما هذا ما حدث بالفعل.. ربما كنت أحلم وأسير وأنا نائمة

(المذيع): تحلمين لثلاثة أيام؟.. على أي حال شكراً لاتصالك ومشاركتنا قصتك.. لنأخذ الاتصال الثاني معنا الليلة..

(المتصل٢): السلام عليكم

(المذيع): وعليكم السلام

(المتصل٢): هل أنا على الهواء؟

(المذيع): نعم انت على الهواء تفضل

(المتصل٢): اوه حسناً.. كنت في رحلة..

(المذيع) مقاطعاً المتصل: عرفنا باسمك أولاً..

(المتصل٢): أنا (تركي).. هل أكمل؟

(المذيع) مبتسماً: نعم كلنا آذان صاغية يا (تركي)

(تركي): قصتي عادية جداً وقد حصلت على تبرير لها من أحد أصدقائي لكن وقتها أحسست برعبٍ شديد.. كنت في أحد المخيمات في الصحراء.. كانت دعوة استجبت لها من أحد أصدقائي لقضاء عطلة نهاية الأسبوع وأنا أحب الرحلات الخلوية بالرغم من أني لا أخرج كثيراً.. اعتدنا في الليل الاجتماع حول نارٍ كبيرة نتسامر أمامها حتى الفجر نحتسي الشاي والقهوة وبسبب تلك المشروبات كانت الحاجة للذهاب للخلاء ملحة ومتكررة.

(المذيع): في العراء لن تواجه مشكلة العثور على مكانٍ مناسب..

(تركي): صحيح لكني أبتعد كثيراً عن مكان جلوسنا عندما كنت أريد قضاء حاجتي

(الذيب) ممازحاً المتصل: هل أصحابك من النوع الذي يضايقونك خلال ذلك؟

(تركي): لا لكن أشعر بارتياح أكثر حتى لو كنت في ظلام شبه دامس.. المهم.. سرت بعيداً عن النار المشتعلة وسط المخيم وعندما استقررت في مكانٍ مناسب وبدأت أقضي حاجتي سمعت صوتاً ما زال يرعبني حتى اليوم كلما تذكرته

(الذيب): ماذا سمعت؟

(تركي): ضحكاً.. بل ضحكات.. كانت مرعبة جدّاً.. فزعت منها وجريت نحو المخيم وسقطت مرتين على وجهي في الرمال لأن الوقت لم يسعفني لأرفع سروالي

(الذيب) ضاحكاً: عذراً لقد تخيلت شكلك وأنت تسقط بلا سروال

(تركي): لا عليك فأصدقائي ضحكوا أكثر منك عندما وقعت بينهم بتلك الحالة

(الذيب): قلت بأنك وجدت تفسيراً من أحد أصحابك لما حدث.. ماذا كان؟

(تركي): بعد ما هدأت وتوقف أصدقائي عن الضحك حكيت لهم ما حدث فلم يستغرب اثنان منهم وقالا بأنها مجرد ضباع

(المذيع): نعم.. الضباع تضحك بصوتٍ يشبه الإنسان تماماً

(تركي): حتى بعد معرفتي لهذه المعلومة ما زالت ذكرى ما حدث ترعبني

(المذيع): هذا أمر طبيعي فخوفك وقتها كان حقيقيّاً ومبرراً ومعرفتك التفسير لن تكون بالضرورة سبباً كافياً لمحو تلك الذكرى المؤلمة

(تركي): نعم معك حق

(المذيع): شكراً لاتصالك (تركي).. لنأخذ اتصالاً آخر..

(المتصل٣) بنبرة متحمسة قليلاً: أهلاً!.. كيف حالكم؟!

(المذيع) بهدوء ومبتسماً: بخير.. تبدو متحمساً

(المتصل٣) بنبرة أهدأ: عذراً لقد خرجت للتو من العمل

(المذيع): ما طبيعة عملك؟

(المتصل٣): أنا أعمل في قسم الصيانة لشركة الكهرباء ومعظم مواعيد عملي تكون في الفترة الليلية

(المذيع): أعانكم الله.. عرفنا بنفسك..

(المتصل ٣): أنا (سامي).. عمري ٣٣ عاماً.. متزوج ولدي ثلاثة أطفال.. أسكن في..

(المذيع) مقاطعاً المتصل وهو يضحك: كفى.. كفى.. اسمك يكفي فقط..

(سامي): حسناً..

(المذيع) ينظر للمعد ويهز رأسه مبتسماً: يمكنك أن تبدأ يا (سامي)..

(سامي): أنا أعمل في صيانة العدادت الكهربائية في الأحياء السكنية سواءً تعطلت أم لا فعملي يتطلب مني إجراء فحص دوري عليها وعلى التمديدات الموصولة بها

(المذيع): عملكم يشاد به دوماً لولا ارتفاع فواتيركم أحياناً

(سامي): الفواتير ليست من تخصصي هي تابعة لقسم..

(المذيع): أكمل يا (سامي) قصتك.. أم أن مشاركتك تستلزم ذكر جميع التفاصيل؟

(سامي): لا لا، المعذرة.. انقطعت الكهرباء في أحد الأحياء وفي مثل هذه الحالة نقوم بفحص عداد الكهرباء الرئيس وإذا لم يكن به خلل يأتي دور عمال الصيانة أمثالي لفحص العداد الفرعي في الحي نفسه وغالباً يكون سبب انقطاع التيار احتراق القاطع وعملية استبداله بسيطة وسريعة.. بعد الفحص المبدئي اتضح أن العداد الرئيس سليم فركبت سيارتي وتوجهت لموقع العداد الفرعي وعند وصولي كان الحي مظلماً تماماً بالطبع

(المذيع): هل كان الوقت متأخراً؟

(سامي): نعم كانت الساعة الثانية وخمساً وعشرين دقيقة صباحاً كما دونتها في محضر الصيانة

(المذيع) مبتسماً: ماذا حدث بعدها؟

(سامي): بعد أن أشعلت مصباح خوذتي أخرجت فاحص التيار قبل البدء في العمل لأنه مهما كنت متيقناً من أن التيار مقطوع يجب علي أن أتبع تعاليم السلامة وألبس القفازات الخاصة للتعامل مع الكهرباء.. مؤشر الجهاز أشار إلى أن العداد ليس به أي شحنة كهربائية لكن وبمجرد أن بدأت بالعمل تعرضت لصعقة كهربائية قوية رمت بي بعيداً

(المذيع): هل من الممكن أن تكون شحنة كامنة؟

(سامي): مستحيل.. الجهاز الذي استخدمته كان سيكشف ذلك

(المذيع): كيف تعرضت للصعق إذاً؟

(سامي): لا أعرف ولا يوجد سبب منطقي أو علمي لما حدث لكن هذا ليس المهم في الموضوع..

(المذيع): ما المهم إذاً؟

(سامي): ما رأيته وأنا ممدد على الأرض والأبخرة تتصاعد مني وجسدي مشلول مؤقتاً من قوة الصعقة.. رأيت وهجاً أبيض يخرج من العداد..

(المذيع): وهج؟.. هل احترق العداد؟

(سامي): لا لا.. خرج شيء من العداد وحط قدمه على الأرض وابتعد بضع خطوات لوسط الشارع.. كانت هيئته كالإنسان لكنه مجرد نور.. نور بلا معالم واضحة.. ضوء..

(المذيع): ماذا حدث بعد ذلك؟

(سامي): أصبت بالرعب بالطبع لكني لم أستطع التحرك أو الهرب وهو لم يتقدم نحوي.. كان يفصل بيني وبينه عدة أمتار لكني كنت أراه بوضوح خلال وقوفه وشاهدت رأسه وهو يلتفت يميناً وشمالاً ببطء وكأنه يتحقق من أن لا أحدَ في الجوار قد رآه.. بعد ثوانٍ من التفاته في عدة جهات تبخر واختفى..

(المذيع): لعل ما شاهدته هو نتيجة الصعقة الكهربائية التي تعرضت لها

(سامي): هذا كلام كل من أخبره بالقصة

(المذيع) مبتسماً: لأن هذا هو التفسير المنطقي المريح

(سامي): أنا لست مجنوناً وأعرف ما رأيت

(المذيع): لم يقل أحد بأنك مجنون لكن أحياناً قد نفسر الأمور على غير حقيقتها

(سامي): وما تفسيرك أنت؟

(المذيع): أنا؟

(سامي): نعم أنت.. يهمني رأيك

(المذيع) وهو ينظر لمعد البرنامج: أنا مؤمن بأنك رأيت شيئاً خارقاً للطبيعة.. كينونة لا تنتمي لعالمنا أو بعدنا وهذا الكائن علق بطريقة ما في ذلك العداد وأنت قمت بتحريره من مشكلته دون قصد عندما لمسته.. لكن هذا مجرد رأيي..

(سامي): شكراً.. أنا مؤمن بما قلته أيضاً

(معد البرنامج) يشير بيده بوجهٍ متجهم للمذيع بأنه سينتقل لفاصل إعلاني..

(المذيع): شكراً (سامي) على مشاركتك.. ننتقل لفاصل إعلاني سريع ونعود لكم..

ما أن انتقل البرنامج لفقرة الإعلانات التجارية حتى خلع المعد سماعاته ونهض من مقعده متجهماً وتوجه للمذيع الذي خلع هو الآخر سماعاته وهم بإشعال سيجارة وقال له بغضب: ماذا تظن نفسك فاعلاً؟! ألم نتحدث في هذا الأمر أكثر من مرة؟

(المذيع) ينفث سحابة من الدخان دون أن ينظر في أعين المعد ويقول ببرود: أي موضوع؟

(المعد) بعصبية: لا تتغابَ!.. لقد تحدثنا أكثر من مرة بأنك مجرد مذيع يستقبل المكالمات وآراؤك الشخصية تحتفظ بها لنفسك!

(المذيع) يأخذ نفساً من سيجارته: لا يمكنني التظاهر بعدم تصديق هؤلاء الناس.. خاصة أنا..

(المعد): بنبرة أقل حدة: أنا أعرفك وأعرف ماضيك وما مررت به لذلك اخترتك لهذا البرنامج فغيرك كان سيضحك على هؤلاء الناس ويسخر منهم أو يتهمهم بالجنون لكن لا تجعل تعاطفك معهم بسبب ما مروا به ينسيك أنك تحمل مسؤولية

(المذيع): أي مسؤولية؟

انقطع الحوار بفتح باب الاستديو ودخول مساعدة المعد وقولها: لديك اتصال عاجل يا سيدي

(المعد): أنا الآن أعمل ولا أستطيع أخذ أي اتصال

(المذيع) يبتسم ويطفئ سيجارته: ربما يكون اتصالاً مهمّاً..

(المعد) متجاهلاً تعليق المذيع وموجهاً كلامه لمساعدته: من المتصل؟

(المساعدة) وهي ترفع أحد حاجبيها: أعتقد أنه من جهة أمنية..

(المعد) بسخط للمذيع وهو يهم بالخروج مع مساعدته: هل أنت مسرور الآن؟!

(المذيع): ماذا عن البرنامج؟!

(المعد) لمساعدته: خذي مكاني حتى أعود!

خرج المعد وأغلق باب الاستديو خلفه بقوة وجلست المساعدة مكانه فقال لها المذيع وهو يلبس سماعاته مبتسماً: هل أنتِ جاهزة؟

لبست المساعدة السماعات ثم رفعت إبهامها مبتسمة في إشارة منها إلى أنهما عادا على الهواء..

(المذيع): عدنا لكم مع برنامج «هذا ما حدث معي» ومع اتصال آخر.. تفضل..

(المتصل٤): صباح الخير

(المذيع) مبتسماً: صباح النور.. تفضل عرفنا باسمك واسم [illegible]

[illegible] على الهواء.

المساعدة تبتسم والمذيع يبادلها الابتسام..

(المتصل٤): أنا الدكتور (وحيد) أعمل في تخصص أمراض الدم وأرغب في المشاركة بعد إذنك

(المذيع): أهلاً دكتور.. من النادر أن يتصل بنا أحد من المجال الطبي

(د.وحيد): أعرف قصدك ولا يمكن أن تلومنا

(المذيع): لا أبداً الكل له الحق في أن يؤمن بما يشاء لكن بما أنك اتصلت علينا اليوم فأعتقد أن لديك مشاركة مميزة

(د.وحيد): هي مجرد ملاحظة لاحظتها وأنا أمارس عملي كطبيب ومن باب الأمانة العلمية أريد ذكرها

(المذيع): تفضل كلنا آذان صاغية..

(د.وحيد): نحن كأطباء لا نُفصح للمرضى عن أي عقبات أو شكوك نمر بها خلال تشخيصهم وعلاجهم كي لا يقع المريض ضحية للأوهام والتي قد تزيد من معاناته وتفاقم حالته لأسباب نفسية بحتة وغالباً كل شيء له تفسير علمي سواءً عند الطبيب

المعالج أو أحد زملائه فالمبدأ العام الذي نسير عليه هو أن كل شيء وله تفسير علمي.. لكن..

(المذيع): أعتقد هنا ستبدأ المشاركة يا دكتور أليس كذلك؟

(د.وحيد): بلى.. تخصصي نادراً ما يتطلب عمليات جراحية لكن عندما لجأ لي أحد الجراحين كما فعل مع معظم الأطباء في مختلف التخصصات بالمستشفى لتفسير حالة ترفض الاستجابة للتخدير هنا وقفت عاجزاً عن التفسير

(المذيع): ماذا تقصد ترفض الاستجابة للتخدير؟

(د.وحيد): ذلك الطبيب كان من المفترض أن يجري عملية استئصال للمرارة لمريضٍ ما ومهما حاول طبيب التخدير حقنه بأمصال البنج المعروفة لم ينم المريض حتى أنه لم يشعر بالنعاس

(المذيع): أنا لست متخصصاً لكن ألم تحاولوا زيادة الجرعة؟

(د.وحيد): الجرعة تم رفعها لدرجة أنها كادت تصل لمرحلة تسمم في الدم ولم يظهر أي أثر على المريض

(المذيع): وما تفسيرك لهذا الأمر يا دكتور؟

من أحد أفلام الرعب الرخيصة لكن هذا ما حدث أمام عينيّ..

(المذيع): ومع ذلك أنا أصدقك.. شكراً لمشاركتك يا دكتور.. لنأخذ اتصالاً آخر..

(المتصل٥): السلام عليكم.. كيف الحال؟

(المذيع): أهلاً بك.. تفضل عرفنا بنفسك

(المتصل٥): أنا (طارق) ولدي قصة بسيطة حدثت معي قبل عدة أشهر

(المذيع): نحن منصتون لك يا (طارق) تفضل..

(طارق) ضاحكاً: بدأت أشعر بأن قصتي لا تستحق المشاركة وأنها سخيفة..

(المذيع): اسمع يا (طارق) والكلام موجه لجميع المستمعين.. نحن هنا في البرنامج لا نعتبر أي قصة سخيفة أو نفترض أن أصحابها كاذبون نحن أسرة واحدة يجمعنا ما تعرضنا له أو تعرض له قريب أو صديق نعرفه وإذا كان هناك من يرى أننا نضيع وقته فأنصحه بكل محبة أن يغير القناة لأي قناة غنائية أو إخبارية ولا يتطفل علينا.. تفضل يا (طارق)..

(طارق) بتوتر: لقد صعبت الأمر علي أكثر الآن.. قصتي لا تحتمل هذه المقدمة فهي أقل من عادية

(المذيع) مبتسماً: نحن لسنا في مسابقة يا (طارق).. تفضل قل ما عندك

(طارق): حـ..حسناً.. كنت أشاهد التلفاز في إحدى الليالي.. فلماً لأكون أكثر دقة.. أنا أحب أن أشاهد الأفلام في الظلام حتى وإن كانت أفلام غير الرعب.. هذه عادة أمارسها منذ زمن طويل.. المهم.. الفلم كان مملًّا وأقل من توقعاتي لكني لم أوقفه بل بدأت أتحدث مع صديق لي بالهاتف عبر أحد برامج التواصل الاجتماعي.. كنت عندما أرسل نصّاً أضع هاتفي جانباً على الأريكة وأعود لمتابعة الفيلم حتى أسمع نغمة التنبيه فأفتح الهاتف وأرد عليه وأعيده مكانه وهكذا..

(المذيع): جميل وماذا حدث بعد ذلك؟

(طارق): تأخر صديقي في الرد عليّ خلال الحوار فاندمجت مع الفيلم قليلاً وخلال اندماجي سمعت نغمة ورود رسالة لكن النغمة لم تأتِ من جانبي..

ورود رسالة جديدة أفزعتني. أخذت الهاتف وفتحته وأنا أقف وسط المطبخ وقمت بالرد على الرسائل الثلاث والتي كانت من صديقي ثم عدت وأكملت الفيلم بعد ما وضعت الهاتف في حجري.. أخبرتك بأنها قصة سخيفة

(المذيع): قصتك ليست سخيفة أبداً يا (طارق)؟

(طارق): ماذا تعتقد حدث معي؟

(المذيع): لا يمكنني أن أعطيك رأيي لكن الحمد لله على سلامتك

(طارق): ماذا تقصد؟.. أرجوك أخبرني..

(المذيع) وهو يشير للمساعدة بقطع الاتصال: لنأخذ اتصالاً آخر.. تفضل..

(المتصل٦): أحب أن ألتهم نفسي..

(المذيع): عفواً؟

(المتصل٦): أحب أكل لحمي..

(المذيع): لنتعرف عليك أولاً

(المتصل٦): أنا (يسرى).. وليس لدي قصة..

(المذيع): لمَ اتصلتِ بالبرنامج إذاً؟

(يسرى): أحببت الحديث مع أحدٍ فقط

المساعدة تشير للمذيع عن ما إذا كان يرغب منها بقطع الاتصال وهو يشير لها بالنفي..

(المذيع): تفضلي نحن منصتون لكِ..

(يسرى): بدأ الأمر بقضم أظافري وشيئاً فشيئاً انتقلت لأكل الجلد الجاف حول أناملي.. كنت أستمتع بذلك كثيراً.. جرحت نفسي مرة وأنا أقضم جلدة متدلية من خنصري.. كانت تلك أول مرة أتذوق فيها الدم

(المذيع): وهل أحببتِ مذاقه؟

(يسرى): لا بل عشقته وأصبحت أتعمد جرح نفسي عندما أشتاق لتلك النكهة الغنية

(المذيع): صفي لنا ذلك المذاق..

المساعدة تنظر للمذيع بتعجب..

(يسرى): هل تذوقت صدأ الحديد من قبل؟.. يشبهه نوعاً ما..

(المذيع): وهل تطور الأمر لأشياء أخرى؟

(يسرى): نعم لكن لا أظن أنه من اللائق أن أتحدث بذلك على الهواء..

(المذيع): هل ترغبين بإضافة شيء قبل أن ننتقل لاتصال آخر؟

(يسرى): لا، شكراً

(المذيع): لننتقـ..

دخل المعد الغرفة وكان بادياً على وجهه الضيق وأشار لمساعدته بالنهوض ليأخذ مكانها.. خلعت المساعدة السماعات وخرجت من المكان بهدوء..

(المذيع) ونظره موجه لصديقه المُعد: سوف ننتقل الآن لفاصل إعلاني سريع وسنعود لكم..

خلع المذيع سماعاته وصمت مراقباً صديقه وهو ينقل البرنامج للفاصل..

(المذيع): هل ستخبرني بما حدث؟

(المذيع): هل من الممكن أن تكون شحنة كامنة؟

(سامي): مستحيل.. الجهاز الذي استخدمته كان سيكشف ذلك

(المذيع): كيف تعرضت للصعق إذاً؟

(سامي): لا أعرف ولا يوجد سبب منطقي أو علمي لما حدث لكن هذا ليس المهم في الموضوع..

(المذيع): ما المهم إذاً؟

(سامي): ما رأيته وأنا ممدد على الأرض والأبخرة تتصاعد مني وجسدي مشلول مؤقتاً من قوة الصعقة.. رأيت وهجاً أبيض يخرج من العداد..

(المذيع): وهج؟.. هل احترق العداد؟

(سامي): لا لا.. خرج شيء من العداد وحط قدمه على الأرض وابتعد بضع خطوات لوسط الشارع.. كانت هيئته كالإنسان لكنه مجرد نور.. نور بلا معالم واضحة.. ضوء..

(المذيع): ماذا حدث بعد ذلك؟

(سامي): أصبت بالرعب بالطبع لكني لم أستطع التحرك أو الهرب وهو لم يتقدم نحوي.. كان يفصل بيني وبينه عدة أمتار لكني كنت أراه بوضوح خلال وقوفه وشاهدت رأسه وهو يلتفت يميناً وشمالاً ببطء وكأنه يتحقق من أن لا أحدَ في الجوار قد رآه.. بعد ثوانٍ من التفاته في عدة جهات تبخر واختفى..

(المذيع): لعل ما شاهدته هو نتيجة الصعقة الكهربائية التي تعرضت لها

(سامي): هذا كلام كل من أخبره بالقصة

(المذيع) مبتسماً: لأن هذا هو التفسير المنطقي المريح

(سامي): أنا لست مجنوناً وأعرف ما رأيت

(المذيع): لم يقل أحد بأنك مجنون لكن أحياناً قد نفسر الأمور على غير حقيقتها

(سامي): وما تفسيرك أنت؟

(المذيع): أنا؟

(سامي): نعم أنت.. يهمني رأيك

(المذيع) وهو ينظر لمعد البرنامج: أنا مؤمن بأنك رأيت شيئاً خارقاً للطبيعة.. كينونة لا تنتمي لعالمنا أو بعدنا وهذا الكائن علق بطريقة ما في ذلك العداد وأنت قمت بتحريره من مشكلته دون قصد عندما لمسته.. لكن هذا مجرد رأيي..

(سامي): شكراً.. أنا مؤمن بما قلته أيضاً

(معد البرنامج) يشير بيده بوجهٍ متجهم للمذيع بأنه سينتقل لفاصل إعلاني..

(المذيع): شكراً (سامي) على مشاركتك.. ننتقل لفاصل إعلاني سريع ونعود لكم..

ما أن انتقل البرنامج لفقرة الإعلانات التجارية حتى خلع المعد سماعاته ونهض من مقعده متجهماً وتوجه للمذيع الذي خلع هو الآخر سماعاته وهم بإشعال سيجارة وقال له بغضب: ماذا تظن نفسك فاعلاً؟! ألم نتحدث في هذا الأمر أكثر من مرة؟

(المذيع) ينفث سحابة من الدخان دون أن ينظر في أعين المعد ويقول ببرود: أي موضوع؟

(المعد) بعصبية: لا تتغابَ!.. لقد تحدثنا أكثر من مرة بأنك مجرد مذيع يستقبل المكالمات وآراؤك الشخصية تحتفظ بها لنفسك!

(المذيع) يأخذ نفساً من سيجارته: لا يمكنني التظاهر بعدم تصديق هؤلاء الناس.. خاصة أنا..

(المعد): بنبرة أقل حدة: أنا أعرفك وأعرف ماضيك وما مررت به لذلك اخترتك لهذا البرنامج فغيرك كان سيضحك على هؤلاء الناس ويسخر منهم أو يتهمهم بالجنون لكن لا تجعل تعاطفك معهم بسبب ما مروا به ينسيك أنك تحمل مسؤولية

(المذيع): أي مسؤولية؟

انقطع الحوار بفتح باب الاستديو ودخول مساعدة المعد وقولها: لديك اتصال عاجل يا سيدي

(المعد): أنا الآن أعمل ولا أستطيع أخذ أي اتصال

(المذيع) يبتسم ويطفئ سيجارته: ربما يكون اتصالاً مهمّاً..

(المعد) متجاهلاً تعليق المذيع وموجهاً كلامه لمساعدته: من المتصل؟

(المساعدة) وهي ترفع أحد حاجبيها: أعتقد أنه من جهة أمنية..

(المعد) بسخط للمذيع وهو يهم بالخروج مع مساعدته: هل أنت مسرور الآن؟!

(المذيع): ماذا عن البرنامج؟!

(المعد) لمساعدته: خذي مكاني حتى أعود!

خرج المعد وأغلق باب الاستديو خلفه بقوة وجلست المساعدة مكانه فقال لها المذيع وهو يلبس سماعاته مبتسماً: هل أنتِ جاهزة؟

لبست المساعدة السماعات ثم رفعت إبهامها مبتسمة في إشارة منها إلى أنهما عادا على الهواء..

(المذيع): عدنا لكم مع برنامج «هذا ما حدث معي» ومع اتصال آخر.. تفضل..

(المتصل٤): صباح الخير

(المذيع) مبتسماً: صباح النور.. تفضل عرفنا باسمك واسم [illegible] [illegible] على الهواء.

المساعدة تبتسم والمذيع يبادلها الابتسام..

(المتصل٤): أنا الدكتور (وحيد) أعمل في تخصص أمراض الدم وأرغب في المشاركة بعد إذنك

(المذيع): أهلاً دكتور.. من النادر أن يتصل بنا أحد من المجال الطبي

(د.وحيد): أعرف قصدك ولا يمكن أن تلومنا

(المذيع): لا أبداً الكل له الحق في أن يؤمن بما يشاء لكن بما أنك اتصلت علينا اليوم فأعتقد أن لديك مشاركة مميزة

(د.وحيد): هي مجرد ملاحظة لاحظتها وأنا أمارس عملي كطبيب ومن باب الأمانة العلمية أريد ذكرها

(المذيع): تفضل كلنا آذان صاغية..

(د.وحيد): نحن كأطباء لا نُفصح للمرضى عن أي عقبات أو شكوك نمر بها خلال تشخيصهم وعلاجهم كي لا يقع المريض ضحية للأوهام والتي قد تزيد من معاناته وتفاقم حالته لأسباب نفسية بحتة وغالباً كل شيء له تفسير علمي سواءً عند الطبيب

المعالج أو أحد زملائه فالمبدأ العام الذي نسير عليه هو أن كل شيء وله تفسير علمي.. لكن..

(المذيع): أعتقد هنا ستبدأ المشاركة يا دكتور أليس كذلك؟

(د.وحيد): بلى.. تخصصي نادراً ما يتطلب عمليات جراحية لكن عندما لجأ لي أحد الجراحين كما فعل مع معظم الأطباء في مختلف التخصصات بالمستشفى لتفسير حالة ترفض الاستجابة للتخدير هنا وقفت عاجزاً عن التفسير

(المذيع): ماذا تقصد ترفض الاستجابة للتخدير؟

(د.وحيد): ذلك الطبيب كان من المفترض أن يجري عملية استئصال للمرارة لمريضٍ ما ومهما حاول طبيب التخدير حقنه بأمصال البنج المعروفة لم ينم المريض حتى أنه لم يشعر بالنعاس

(المذيع): أنا لست متخصصاً لكن ألم تحاولوا زيادة الجرعة؟

(د.وحيد): الجرعة تم رفعها لدرجة أنها كادت تصل لمرحلة تسمم في الدم ولم يظهر أي أثر على المريض

(المذيع): وما تفسيرك لهذا الأمر يا دكتور؟

(د.وحيد): كان هناك شبه إجماع بين الأطباء الذين اجتمعوا في غرفة العمليات على أن المريض يملك نوعاً من المقاومة للأمصال المخدرة وأن هذا شذوذ جيني ربما لم يُكتشف بعد

(المذيع): تحليل منطقي ويمكن للعقل تقبله

(د.وحيد): لكن ما لم نجد له تفسيراً أنا وكل من كان حاضراً في تلك الغرفة من أطباء وممرضين بمن فيهم المريض هو ما سمعناه ورأيناه..

(المذيع): ماذا سمعتم؟

(د.وحيد): قرر طبيب التخدير في محاولة أخيرة حقن المريض بجرعة مركزة من المخدر قبل إلغاء العملية وكنا جميعاً نشاهد بترقب ما سيحدث لكن وقبل أن يخترق رأس الإبرة الصمام الموصل بعروقه بدأت الأدوات تتطاير وتسقط من حولنا يصاحبها صوت يصرخ بقوة قائلاً «لن ينام!»

(المذيع):....

(د.وحيد): مضحك أن طبيباً يروي قصة كهذه وكأنها مأخوذة

من أحد أفلام الرعب الرخيصة لكن هذا ما حدث أمام عينيّ..

(المذيع): ومع ذلك أنا أصدقك.. شكراً لمشاركتك يا دكتور.. لنأخذ اتصالاً آخر..

(المتصل٥): السلام عليكم.. كيف الحال؟

(المذيع): أهلاً بك.. تفضل عرفنا بنفسك

(المتصل٥): أنا (طارق) ولدي قصة بسيطة حدثت معي قبل عدة أشهر

(المذيع): نحن منصتون لك يا (طارق) تفضل..

(طارق) ضاحكاً: بدأت أشعر بأن قصتي لا تستحق المشاركة وأنها سخيفة..

(المذيع): اسمع يا (طارق) والكلام موجه لجميع المستمعين.. نحن هنا في البرنامج لا نعتبر أي قصة سخيفة أو نفترض أن أصحابها كاذبون نحن أسرة واحدة يجمعنا ما تعرضنا له أو تعرض له قريب أو صديق نعرفه وإذا كان هناك من يرى أننا نضيع وقته فأنصحه بكل محبة أن يغير القناة لأي قناة غنائية أو إخبارية ولا يتطفل علينا.. تفضل يا (طارق)..

(طارق) بتوتر: لقد صعبت الأمر علي أكثر الآن.. قصتي لا تحتمل هذه المقدمة فهي أقل من عادية

(المذيع) مبتسماً: نحن لسنا في مسابقة يا (طارق).. تفضل قل ما عندك

(طارق): حـ..حسناً.. كنت أشاهد التلفاز في إحدى الليالي.. فلماً لأكون أكثر دقة.. أنا أحب أن أشاهد الأفلام في الظلام حتى وإن كانت أفلام غير الرعب.. هذه عادة أمارسها منذ زمن طويل.. المهم.. الفلم كان مملًّا وأقل من توقعاتي لكني لم أوقفه بل بدأت أتحدث مع صديق لي بالهاتف عبر أحد برامج التواصل الاجتماعي.. كنت عندما أرسل نصّاً أضع هاتفي جانباً على الأريكة وأعود لمتابعة الفيلم حتى أسمع نغمة التنبيه فأفتح الهاتف وأرد عليه وأعيده مكانه وهكذا..

(المذيع): جميل وماذا حدث بعد ذلك؟

(طارق): تأخر صديقي في الرد عليّ خلال الحوار فاندمجت مع الفيلم قليلاً وخلال اندماجي سمعت نغمة ورود رسالة لكن النغمة لم تأتِ من جانبي..

(المذيع): من أين أتت إذاً؟

(طارق): أتت من خلفي.. من جهة المطبخ تقريباً وعندما مددت يدي لأخذ هاتفي لم أجده وسمعت نغمة أخرى فنهضت وقلبي يتسارع بالنبضات وصدري قد ضاقت أنفاسه.. كنت مرعوباً جداً لكني سرت تجاه المطبخ ووجدت هاتفي على طاولة الطعام

(المذيع): هل تعيش وحدك يا (طارق)؟

(طارق): لا لكن أهلي كانوا مسافرين تلك الفترة لقضاء عطلة نهاية الأسبوع في مدينة أخرى

(المذيع): ولِمَ لم تذهب معهم؟

(طارق): عطلتي الحقيقية هي عندما يذهبون لأي مكان وأبقى وحدي

(المذيع) مبتسماً: أفهم قصدك.. تفضل أكمل..

(طارق): لم ألتقط الهاتف مباشرة بل بدأت أتلفت حولي في جميع الاتجاهات وأنا متوتر وعندما اطمأننت إلى أن لا أحدَ يراقبني مددت يدي لأخذ الهاتف وانتفضت مرعوباً لأن نغمة

ورود رسالة جديدة أفزعتني. أخذت الهاتف وفتحته وأنا أقف وسط المطبخ وقمت بالرد على الرسائل الثلاث والتي كانت من صديقي ثم عدت وأكملت الفيلم بعد ما وضعت الهاتف في حجري.. أخبرتك بأنها قصة سخيفة

(المذيع): قصتك ليست سخيفة أبداً يا (طارق)؟

(طارق): ماذا تعتقد حدث معي؟

(المذيع): لا يمكنني أن أعطيك رأيي لكن الحمد لله على سلامتك

(طارق): ماذا تقصد؟.. أرجوك أخبرني..

(المذيع) وهو يشير للمساعدة بقطع الاتصال: لنأخذ اتصالاً آخر.. تفضل..

(المتصل٦): أحب أن ألتهم نفسي..

(المذيع): عفواً؟

(المتصل٦): أحب أكل لحمي..

(المذيع): لنتعرف عليك أولاً

(المتصل٦): أنا (يسرى).. وليس لدي قصة..

(المذيع): لمَ اتصلتِ بالبرنامج إذاً؟

(يسرى): أحببت الحديث مع أحدٍ فقط

المساعدة تشير للمذيع عن ما إذا كان يرغب منها بقطع الاتصال

وهو يشير لها بالنفي..

(المذيع): تفضلي نحن منصتون لكِ..

(يسرى): بدأ الأمر بقضم أظافري وشيئاً فشيئاً انتقلت لأكل الجلد الجاف حول أناملي.. كنت أستمتع بذلك كثيراً.. جرحت نفسي مرة وأنا أقضم جلدة متدلية من خنصري.. كانت تلك أول مرة أتذوق فيها الدم

(المذيع): وهل أحببتِ مذاقه؟

(يسرى): لا بل عشقته وأصبحت أتعمد جرح نفسي عندما أشتاق لتلك النكهة الغنية

(المذيع): صفي لنا ذلك المذاق..

المساعدة تنظر للمذيع بتعجب..

(يسرى): هل تذوقت صدأ الحديد من قبل؟.. يشبهه نوعاً ما..

(المذيع): وهل تطور الأمر لأشياء أخرى؟

(يسرى): نعم لكن لا أظن أنه من اللائق أن أتحدث بذلك على الهواء..

(المذيع): هل ترغبين بإضافة شيء قبل أن ننتقل لاتصال آخر؟

(يسرى): لا، شكراً

(المذيع): لننتقـ..

دخل المعد الغرفة وكان بادياً على وجهه الضيق وأشار لمساعدته بالنهوض ليأخذ مكانها.. خلعت المساعدة السماعات وخرجت من المكان بهدوء..

(المذيع) ونظره موجه لصديقه المُعد: سوف ننتقل الآن لفاصل إعلاني سريع وسنعود لكم..

خلع المذيع سماعاته وصمت مراقباً صديقه وهو ينقل البرنامج للفاصل..

(المذيع): هل ستخبرني بما حدث؟

(المعد) والضيق على وجهه: ماذا تقصد؟

(المذيع): هيا أخبرني.. لا تقلق لن أستاء..

(المعد): حلقة الليلة ستكون الأخيرة

(المذيع) بتعجب: لماذا؟

(المعد): يبدو أنك أغضبت أحداً مهمّاً وقد أمر بإيقاف البرنامج ولقد أمضيت نصف الساعة الأخيرة أقنع فيها من اتصل بنا كي ننهي هذه الحلقة على الأقل

(المذيع) يخرج علبة السجائر ويطرق قاعها مبتسماً: بصراحة أنا مستغرب أننا بقينا كل هذه الأشهر على الهواء

(المعد): ماذا تقصد؟

(المذيع): هل تظن أن جميع القصص التي يرويها المتصلون كذب ومن خيالهم؟.. هذه القصص معظمها حقيقية وهناك الكثير لا يريدون سماعها وتناقلها بشكل علني

(المعد) بتهكم: لا تقل بأن المسألة مؤامرة كبرى تحاك ضدك.. البرامج يتم إيقافها دائماً ولأسباب أقل

(المذيع) يشعل السيجارة ويأخذ منها نفساً: وما السبب الذي قُدم إليك كي يتم إيقاف البرنامج؟

(المعد) ووجهه يتغير: لم يكن هناك سبب واضح.. كان أمراً مباشراً بالإيقاف

(المذيع) ينفخ سحابة دخانية في الهواء: أمراً من من؟

(المعد) وهو يلبس سماعاته: أمراً من شخص لا تريد العبث معه.. هيا لقد انتهى الفاصل الإعلاني

(المذيع) يلبس سماعته وعيناه على صاحبه والسيجارة تتدلى من فمه: مرحباً بكم مرة أخرى.. معنا اتصال جديد.. تفضل..

(المتصل٧): مساء الخير أو صباح الخير.. أريد التحدث دون ذكر اسمي بعد إذنك

(المذيع) وهو ينفخ بعض الدخان: لا يهم تفضل..

(المتصل٧): كان لدي هواية المشي.. في الليل تحديداً عندما تكون المدينة أكثر هدوءاً لدرجة أني لا آخذ معي هاتفي كي لا ينغص علي خلوتي بنفسي

(المذيع): كان يمكنك تحويله للوضع الصامت أو حتى إطفاؤه

(المتصل٧): أعرف لكن لم أكن أشعر بالعزلة التامة والهاتف معي.. على أي حال.. خلال إحدى تلك الجولات الليلية انتبهت لشخص يسير خلفي.. كانت المسافة بيننا ليست قريبة ولا بعيدة أيضاً وكأنه لا يريد مني أن أخرج عن مدى نظره.. استمرت ملاحقته لي لفترة طويلة وتيقنت من أنه يتعقبني عندما غيرت مساري أكثر من مرة وبقي خلفي محافظاً على المسافة نفسها دون أن يقترب أو يبتعد. كنت أخشى العودة للمنزل كي لا يعرف مكان إقامتي وخفت أيضاً من مواجهته ففي الغالب سيكون مسلحاً وقد أتعرض للأذى.

(المذيع): ماذا فعلت إذاً؟

(المتصل٧): توجهت لمركز للتموين لا يغلق أبوابه ويعمل الأربع والعشرين ساعة متصلة ودخلت وبدأت أتجول فيه حتى أني أخذت معي عربة للتسوق كي لا أثير الشبهات

(المذيع): هل اشتريت شيئاً؟

(المتصل٧): قارورة ماء فقط فريقي جف من التوتر

(المذيع): ماذا حدث بعدها؟

(المتصل٧): خرجت بعد أن أمضيت أربعين دقيقة تقريباً داخل المتجر ولم أشاهده في انتظاري فأحسست بارتياحٍ شديد وبدأت بالسير عائداً للمنزل لكن وقبل أن أصل بمسافة قصيرة التفت خلفي ورأيته قد عاد لملاحقتي

(المذيع): لو كان هاتفك معك لتمكنت من الاتصال بالشرطة أو أي أحد لمساعدتك

(المتصل): معك حق.. المهم.. قررت مواجهته في أحد الشوارع التي كانت نوعاً ما غير خاوية وتمر عبرها بعض السيارات من وقت لآخر

(المذيع): كيف واجهته؟

(المتصل٧): توقفت واستدرت وبدأت بالسير نحوه بكل ثقة لكن ثقتي تحولت تدريجيّاً لتوتر عندما توقف هو وبدأ يحدق بي وكأنه ينتظر وصولي.. كنت أريد رؤيته وحفظ ملامحه لكنه كان حذراً فقد تلثم بوشاحٍ رمادي ولم يظهر منه سوى عينيه

(المذيع): هل تحدثت معه؟

(المتصل٧): نعم.. وقفت أمامه وقلت بصوتٍ صارم في خيالي ومتوتر في الواقع: «ماذا تريد مني؟.. لمَ تلاحقني؟!».. أجابني بسؤالٍ غريب.. سألني عن الوقت؟ فأخبرته بأنها قرابة الثالثة فجراً.. أتبع سؤاله بسؤال آخر وقال «ما تاريخ اليوم؟» وبالرغم من غرابة السؤال إلا أني أجبته باليوم والشهر أيضاً لكن سؤاله الثالث أفزعني..

(المذيع): عن ماذا سأل؟

(المتصل٧): سألني عن السنة.. كنت أظنه يمزح أو يتلاعب بي لكن عينيه كانتا جادتين فأجبته..

(المذيع): ألم تتمكن من التعرف عليه من خلال صوته؟

(المتصل٧): لا مع أن صوته كان مألوفاً لي.. كان حريصاً على إخفاء وجهه بذلك الوشاح ولم يظهر منه سوى عينيه اللتين بدتا مألوفتين هما الأخريان

(المذيع): ألم تسأله عن سبب ملاحقته لك؟

(المتصل٧): بلى بلى وأجابني بأنه كان يريد التحقق من أنه يتبع الشخص الصحيح فقد كنت أنحل مما تصور كما قال.. تحدث وكأنه يعرفني أو رآني من قبل..

(المذيع): وهل رحل بعد أن أجبته؟

(المتصل٧): نعم رحل بعد ما قال لي جملة واحدة.. «لا تسافر الأسبوع القادم..»

(المذيع): هل كنت تخطط للسفر ذلك الأسبوع؟

(المتصل٧): لا أبداً لم يكن هناك أي نية لذلك مطلقاً

(المذيع): غريب.. لمَ قال ما قاله إذاً؟

(المتصل٧): الغريب حقاً هو أنه بعد يومين من هذا اللقاء كلمني أحد الأصدقاء وقال بأنه مع مجموعة من أصحابي ذاهبون لرحلة استجمامية لإحدى الدول وكانوا يرغبون مني مرافقتهم

(المذيع): وما الغريب في الأمر؟

(المتصل٧): سيارتهم لم تصل للمطار.. تعرضوا لحادث شنيع وماتوا جميعاً ولو كنت قد وافقت على الذهاب معهم لكنت في

(المذيع): هل تعتقد أن ذلك الغريب قد أتى لتحذيرك؟

(المتصل٧): لا أعرف.. حقيقة لا أعرف.. لكن تحذيره لم يكن مصادفة بلا شك

(المذيع): شكراً لمشاركتك.. لنأخذ اتصالاً آخر.. تفضل..

(المتصل٨): صباح الخير.. كيف حالك أستاذ؟

(المذيع): الحمد لله بخير.. عرفينا بنفسك

(المتصل٨): أنا (خلود)..

(المذيع): تشرفنا يا (خلود).. تفضلي كلنا آذان صاغية

(خلود): قبل عدة سنوات أصبت بمرض غير شائع.. مرض منعني من الرمش أو حتى إغماض عينيّ.. نوع من التشنج لأجفاني وحاول الأطباء كثيراً علاجي حتى بالجراحة لكن دون فائدة فبقيت أعيش على القطرات والمراهم كي لا تجف عيناي وأصاب بالعمى ومعظم الوقت كنت أبذل كل ما في استطاعتي كي لا أجهد عينيّ ويتفاقم الأمر

(المذيع): أسأل الله لكِ الشفاء العاجل..

(خلود): شكراً.. مع مرور الوقت تأقلمت وكنت أُصبر نفسي دائماً بالمقارنة مع من فقدوا بصرهم وأرى أني بحالٍ أفضل

(المذيع): فقدان البصر ليس بالأمر السيئ عندما تملك البصيرة..

(خلود): معك حق.. النوم إحدى المشكلات العصبية التي كنت أواجهها كل ليلة فقد كنت أضع مرهماً خاصّاً للنوم بالإضافة لتغطية عينيّ بغطاء أسود خاص كي لا أنزعج من الإضاءة.. اعتدت على ذلك مثلما اعتدت على أشياءَ كثيرة لكني لم أعتد على تبعاته

(المذيع) وقد بدا صوته أكثر تأثراً: أكملي..

(خلود): بدأت أرى أشياء غريبة.. أجساماً سوداء تخطف أمامي من وقتٍ لآخر.. الطبيب يقول بأنه أمر طبيعي لأن عقلي لم يعتد على مرضي بعد وذلك سبب لي بعض الهلوسات لكني لم أصدقه لأنه من الواضح أنه كان يخدعني.. ما كنت أراه لم يكن هلوسات.. كانت أجسام تجري وتقفز أمامي وبعضها كان له رأس وأطراف.. لا أعرف كيف أشرح لك

(المذيع): أعرف ما تعنين.. هذه الأجسام..

(المعد) يشير للمذيع بوجهٍ متجهم محذراً إياه من التعليق على الموضوع..

(المذيع):.. هذه الأجسام.. هل ما زلتِ ترينها؟

(خلود): أنا أراها الآن وأنا أتحدث معك.. هل تعرف ما هذه الأجسام يا أستاذ؟

(المذيع) وهو ينظر لصديقه المُعد وهو ينظر له بحدة: لا.. لا فكرة لدي..

(خلود): شكراً لسماعك قصتي..

(المذيع) بنبرة ضيق واستياء وهو يخلع سماعاته: شكراً لمشاركتك.. سننتقل لفاصل إعلاني..

تفاجأ المعد من إعلان المذيع الانتقال لفقرة إعلانية لأنه لم يعطه الإشارة بذلك فارتبك وفصل النقل الهوائي مؤقتاً..

نهض المعد من مقعده وتوجه لصاحبه الذي وقف في أحد أركان الاستديو يدخن سيجارة أشعلها للتو وقال له بعصبية:

ما بك؟!.. لمَ انتقلت للإعلان دون أن أعطيك الإشارة؟

(المذيع) بغضب وسخط: أنا لست دمية!

المعد بهدوء: أعرف لكني أريد حمايتك من الوقوع في المشكلات

(المذيع) بعصبية: عن أي مشكلات تتحدث؟! البرنامج أوقف!
ما الذي سيحدث أكثر من ذلك؟!

(المعد): أنت تعرف أي نوعٍ من المشكلات يمكن أن تقع فيها
لو تحدثت بحرية

(المذيع) وهو يزفر: أستطيع مساعدة هؤلاء الناس.. لمَ لا يُسمح
لي؟!

(المعد): لن نخوض هذا النقاش مجدداً.. هيا لنعد وننهِ هذه
الليلة بسلام.. أرجوك

(المذيع) يرمي سيجارته على الأرض ويدوس عليها بقدمه
بحنق: جهل أحمق!

سار المعد نحو مقعده ورفع سماعاته قائلاً: هيا لقد أوقفنا البث
بدون سبب..

(المذيع) يعود لمكانه ويلبس سماعاته منتظراً إشارة صاحبه..

المعد يشير بيده لعودة البث..

(المذيع): عدنا لكم بعد انقطاع بسبب خلل فني بسيط.. لنأخذ اتصالاً آخر.. تفضل

(المتصل٩): كنت أظن أن البرنامج توقف..

(المذيع): لا أبداً واجهنا خلل فني بسيط.. عرفينا بنفسك..

(المتصل٩): أنا (بيسان).. وأريد التحدث عن تجربتي التي مررت بها

(المذيع): عفواً.. قبل أن تسردي لنا حكايتك هل لي بسؤال شخصي بعد إذنك؟

(بيسان): تفضل..

(المذيع): من سماك بهذا الاسم؟

(بيسان) باستغراب: أمي على ما أعتقد.. لمَ تسأل؟

(المذيع): لا شيء.. تفضلي كلنا منصتون لكِ

(بيسان): منذ صغري وأنا أحب الحديث مع الجدار..

(المذيع): نعم؟

(بيسان): منذ صغري وأنا أحب الحديث مع الـ..

(المذيع): لقد سمعتك بوضوح أول مرة.. أكملي

(بيسان): جدار غرفتي كان أعز أصدقائي.. أحكي له كل أسراري وما قمت به طيلة اليوم والأحداث التي أمر بها في المدرسة مع أصدقائي.. كل شيء.. كل شيء يحدث معي أقوله له..

(المذيع): الجدار منصت جيد ولا يجادل كثيراً..

(بيسان): أعرف بأنك تظن أني مجنونة

(المذيع): لا أبداً كانت مجرد ملاحظة يمكنك تجاهلها.. كلنا كان لدينا عادات وهوايات غريبة خاصة عندما كنا صغاراً

(بيسان): أنا أتحدث مع جدار غرفتي منذ أن كنت في المرحلة المتوسطة

(المذيع): ومتى توقفتِ عن الحديث معه؟

(بيسان): عندما مات

(المذيع) يشعل سيجارة ويأخذ نفساً منها باسماً: ومتى مات؟

(بيسان): دعني أكمل لك..

(المذيع) ينفخ بعض الدخان: تفضلي

(بيسان): بدأت لا أتحدث مع جدار غرفتي عندما تعرفت على (سمية)

(المذيع): ..(سمية) من؟

(بيسان): صديقة تعرفت عليها بالمدرسة وأصبحت ترافقني للمنزل بشكل شبه يومي وتبقى معي في غرفتي نتحدث طيلة اليوم.. كنت أحبها جداً لكنه لم يحبها كثيراً على ما أظن

(المذيع): تقصدين الجدار؟

(بيسان): نعم فقد كان يوماً بعد يوم من حضور (سمية) لغرفتي يصاب بالشروخ والتصدع وبدأت قطع منه تتساقط وبالرغم من أن أبي أحضر رجلاً كي يقوم بترميمه وإصلاحه إلا أنه لم يصمد طويلاً

(المذيع): آها فهمت.. قصدتِ عندما قلت بأنه مات أنه وقع

(بيسان): نعم وقع.. وقع على (سمية) في إحدى زياراتها لي

(المذيع): ماذا؟.. وقع على صاحبتك؟

(بيسان): نعم وأنا متيقنة بأنه تعمد الوقوع عليها

(المذيع): وكيف تيقنتِ؟

(بيسان): لقد انتظر حتى كانت تحته تماماً ثم وقع عليها

(المذيع): ربما كانت مصادفة

(بيسان): لا أنا متيقنة من أنها ليست مصادفة وقد تعمد ذلك

(المذيع): حسناً شكراً يا (بيسان).. لنأخذ متصلاً آخر..

(المتصل١٠): السلام عليكم.. أنا (مختار)

(المذيع): وعليكم السلام أستاذ (مختار).. تفضل

(مختار): قصتي تشبه قصة المشاركة الأخيرة نوعاً ما

(المذيع): هل تحب الحديث للسقف؟

(مختار) ضاحكاً: على العكس تماماً لا أحب الحديث على

الإطلاق.. منذ صغري وأنا لا أتحدث إلا للضرورة فقط

(المذيع): تبدو كشخص عاقل.. كم عمرك يا أستاذ (مختار)

(مختار): الشهر الفائت أتممت الأربعين عاماً

(المذيع): أعمارنا متقاربة.. ومتى حدثت لك تلك القصة التي تنوي إخبارنا بها؟

(مختار): منذ أن كنت في الخامسة كنت أمارس عادة وهي مشاهدة التلفاز لساعات

(المذيع): ملايين الناس يمارسون هذه العادة وهي هواية عند البعض

(مختار): لا أقصد متابعة البرامج

(المذيع): ماذا تقصد إذاً؟

(مختار): أنت من جيلي نفسه وتعرف ماذا يظهر على شاشة التلفاز عندما تغلق المحطة وتنتهي كل البرامج

(المذيع): تقصد تلك الدائرة الملونة؟

(مختار): لا لا.. ما يأتي بعدها..

(المذيع): لا يأتي سوى التشويش الأبيض

(مختار): تماماً.. هذا كان برنامجي المفضل الذي أتابعه لساعات..

(المذيع): أي برنامج؟

(مختار): التشويش.. تلك النقاط البيضاء التي تتحرك وتتعارك فيما بينها بسرعة خارقة.. كنت أرى أشياء كثيرة بين تلك النقاط.. أشياء كثيرة

(المذيع): لا أنكر أني فعلت الشيء ذاته لكن لثوانٍ محدودة وليس لساعات

(مختار): حتى الساعات لم تكن تكفيني ولم أتوقف حتى كُشفت عدة مرات من أهلي وأنا أضحك لما كان يظهر لي على الشاشة..

(المذيع): وما الذي كان يظهر لك ويضحكك؟

(مختار): بصراحة لا أذكر لكن أذكر جيداً أنه كان وجهاً مضحكاً ولخوف أهلي علي نقلوا التلفاز لغرفة نومهم وفقدت الاهتمام كلياً بمشاهدته لأني وجدت هواية أخرى

(المذيع): ما هي؟

(مختار): كنت أحب إغماض عيني ومشاهدة السحب البنفسجية..

(المذيع): السحب البنفسجية؟

(مختار): نعم.. لا تقل لي بأنك لم تجرب رؤيتها من قبل؟ خاصة عندما تضغط على عينيك بقوة لتغير من أحجامها وأشكالها

(المذيع) مبتسماً: خيالك يعجبني يا سيد (مختار)

(مختار): أنا لم أرَ شيئاً سوى ما أخبرتك به.. قد تبدو لا شيء لك وللمستمعين لكنها بالنسبة لي سحرٌ وجمال

(المذيع): ولا يرى الجمال إلا أصحابه.. شكراً لاتصالك.. معنا اتصال آخر تفضل

(المتصل ١١): سلام..

(المذيع): وعليكم السلام.. تفضل

(المتصل ١١): أنا (سالم) أعمل في تعقب الأثر وعندي قصة أرغب المشاركة بها

(المذيع): ماذا تقصد بـ «تعقب الأثر» يا (سالم)؟.. هل يمكن أن تشرح لنا أكثر

(سالم): عملي ببساطة هو البحث عن الدواب التي تضل طريقها أو تهرب من أصحابها في الصحراء خلال الرعي وفي الغالب بحثي مرتكز على الجمال لكن من وقت لآخر يُطلب مني البحث عن شاة أو فرس وفي حالات نادرة عن أشخاص مفقودين

(المذيع): وكم تتقاضى مقابل البحث عن تلك الدواب؟

(سالم): على حسب الدابة والمدة.. فالجمال أغلى من غيرها وأنا أتقاضى مبلغاً بالساعة وإذا مضى يومٌ ولم أجد الدابة أعيد المال لصاحبه

(المذيع): وكم مرة فشلت في إيجاد دابة؟

(سالم): ولا مرة وهذا سبب شهرتي وغلاء تكلفة الاستعانة بي

(المذيع): وهل الأمر يستحق أن يُدفع لك لتبحث عن دابة قيمتها بسيطة؟

(سالم): بعض الدواب قيمتها أكبر مما تظن.. لقد ساهمت في البحث عن أحد فحول الجمال والذي تقدر قيمته بالملايين

(المذيع): وما سر غلاء ثمنها؟.. أقصد ما الذي يميزها عن غيرها؟

(سالم): قيمة الشيء ترتفع لعوامل كثيرة وليس بالضرورة أن تكون جميعها ذات قيمة للغير.. مثلاً أعرف راعياً للإبل رفض بيع ناقة بعشرة ملايين فقط لأنها تنحدر من سلالة كان يربيها جده ومن قبله جده الأكبر لذا فالمسألة معنوية بالنسبة له

(المذيع): فهمت.. ما قصتك التي تريد مشاركتها معنا؟

(سالم): جزء من عملي هو معرفة طريقة تفكير الدابة والمسلك الذي ستسلكه بعد هروبها في الصحراء المفتوحة فالإلمام بالأرض جيداً يمكنني من ملاحظة أي تغير يطرأ عليها.. تحرك حجر من مكانه.. انكسار غصن.. أثر الروث ومدى طراوته وبلا شك أثر الدواب في الرمال بالرغم من أن ذلك الأثر يمكن أن يختفي بسرعة بسبب حركة الرياح ولا يدوم طويلاً

(المذيع): معلومات جميلة لم أكن أعرفها

(سالم): طلب مني أحد الرعاة المشهورين يوماً البحث عن بعيرٍ هرب منه خلال الرعي وعرض علي مبلغاً كبيراً أكبر بكثير مما أتقاضاه في العادة فأخبرته أني سأبدأ البحث أول الصباح لأن البحث ليلاً لن يكون مجدياً

(المذع): متى كان الوقت الذي طلب منك البحث فيه؟

(سالم): آخر العصر والشمس كانت ستغرب قريباً لكن كلامي لم يقنعه وأصر أن أبدأ البحث فوراً قبل أن يبتعد البعير أكثر

(المذيع): أليس كلامه منطقياً؟

(سالم): لا.. الدواب لا تسير في خط مستقيم فمهما تأخرنا في البحث عنها فهي لن تبتعد كثيراً لكن التأخر عنها قد يعرضها أن تكون ضحية للذئاب أو الجوع والعطش والجمال تملك فرصة أكبر من غيرها للنجاة بحكم حجمها الكبير وقدرتها على تحمل الجوع والعطش

(المذيع): بدأت البحث صباحاً إذاً؟

(سالم): للأسف لم يقتنع الراعي بكلامي ودفع لي قيمة البحث الليل بأكمله بالرغم من أني أخبرته بأن البحث ذلك الوقت لا فائدة منه لكنه أصر فقبلت

(المذيع): يبدو أن البعير كان عزيزاً عليه

(سالم): علاقة بعض الرعاة مع دوابهم تفوق علاقتهم بأبنائهم أحياناً

(المذيع): شيء عجيب فعلاً

(سالم): خرجت مباشرة وبدأت البحث في دقائق النهار الأخيرة قبل الغروب وأخذت معي كشاف ضوء مع أنه لن يفيدني كثيراً لكن كان لا بد من أن يكون معي مصدر للضوء

(المذيع): عفواً لمقاطعتك يا (سالم) لكن لدي سؤال قبل أن تستأنف

(سالم): تفضل

(المذيع): هل كنت تخرج للبحث عن الدواب بسيارة أو تركب دابة أم مشياً على أقدامك

(سالم): بالطبع مشياً على أقدامي فكل ما ذكرته سابقاً قد يعكر الأثر.. مقتص الأثر الجيد لا يخرج إلا على قدميه

(المذيع): شكراً وعذراً على المقاطعة.. تفضل أكمل

(سالم): سرت في ظلام الصحراء ولم أكن أرى أمامي سوى ما أناره لي ذلك الكشاف.. كانت هذه أول مرة أبحث فيها بهذه الطريقة.. كنت أبحث عن أي أثرٍ على الرمال لخف البعير

فأثره عند الأحواش اختفى وطمرته الرياح وبعد بحث طويل رأيت أول خيط يدلني عليه.. عشبة برية قُضم رأسها ومن زاوية القضمة عرفت بأن الدابة التي قضمتها ذات عنق طويل وانحنت كي تتناول من أوراقها.. تفحصت نهايات أطراف العشبة المقضومة وعلمت بأنها قد قطعت للتو وأن من أكل منها لن يكون بعيداً

(المذيع): ألم تجد أثراً على الرمال حول العشبة ما دام أثر قضمها حديثاً؟

(سالم): هذا أول شيء أثار استغرابي تلك الليلة فحداثة قضم النبتة لا تُفسر انعدام الأثر حولها ولم يكن يوجد في ذلك الوقت رياح قوية كي يطمر الأثر بسرعة.. وكأن من أكل من النبتة لم يطأ الأرض حولها

(المذيع): وماذا عملت بعدها؟

(سالم): اخترت أن أسير شمالاً عكس الريح فالدواب تنتهج هذا الأسلوب عندما تسير ليلاً كي لا يلتقط مفترسٌ أثرها وهي سائرة بعكسه.. سرت لمسافة طويلة شمالاً [illegible] ألتقط أي أثر وهنا

أمرٌ متوقع لأن دائرة بحثي محدودة برقعة الضوء التي أنارها الكشاف الصغير لكني قطعت وعداً لذلك الراعي بالمحاولة وكنت أبذل قصارى جهدي

(المذيع): وهل أثمر جهدك عن نتيجة؟

(سالم): نعم.. لكن.. لم ألتقط أثر البعير الهارب.. التقطت أثر شيء آخر..

(المذيع): دابة أخرى؟

(سالم): لم تكن دابة واحدة.. أقصد هو لم يكن يستقر على شكل..

(المذيع): كلامك غير مفهوم يا (سالم) هل يمكن أن توضح لنا أكثر؟

(سالم): خلال عودتي من السير شمالاً رأيت أثراً يسير على خطواتي وكأنه كان يتعقبني.. بالرغم من تداخل خطواتنا إلا أنني استطعت تمييزه.. كان جدياً

(المذيع): جدي؟

(سالم): نعم جدي ذكر أقرن

(المذيع): كل هذه الصفات من مجرد بعض الآثار لخطواته على الرمال؟

(سالم): هذا عملي وأتقنه

(المذيع): عذراً لمقاطعتك بشكل متكرر لكن قصتك مثيرة للاهتمام

(سالم): لا بأس.. سرت على أثر الجدي حتى انقطع أو بالأحرى تغير.. تغير لخطوات كلب

(المذيع): الصحراء مليئة بالحيوانات الكثيرة

(سالم): لم تفهم قصدي.. الآثار سارت على الخط نفسه لكنها تغيرت

(المذيع): ماذا تقصد؟.. أن الجدي تحول لكلب؟

(سالم): كذبت نفسي في البداية لكن مع استمراري في تعقب الأثر وجدت أنه تحول لأكثر من دابة وحيوان خلال ملاحقتي..

(المذيع): وهل وصلت لنهاية الأثر؟

(سالم): نعم.. انتهى الأثر عند تلك النبتة المقضومة حيث قررت الانطلاق شمالاً وكان الأثر وقتها أثر كبش..

(المذيع): وماذا فعلت بعد ذلك؟

(سالم): أنهيت جولة البحث تلك الليلة ومع أول الصباح خرجت للبحث عن البعير ووجدته خلال ساعة وأعدته لصاحبه وتقاضيت بقية أجري

(المذيع): ماذا عن الشيء الذي كان يتعقبك ليلاً.. هل رأيت أثراً آخر له؟

(سالم): لا ولم أفكر بالعودة والبحث أكثر لأن في مجال عملي هذا ليس أمراً حكيماً

(المذيع): ماذا تقصد؟

(سالم): أنا أنحدر من قبيلة علاقتها وطيدة معهم وملاحقتهم لي ليست بالشيء الغريب لكنها أول مرة تحدث لي

(المذيع): عفواً عن ماذا تتحدث؟

(سالم): لا شيء.. شكراً لإعطائي الفرصة بالمشاركة

(المذيع): تشرفنا بك (سالم).. معنا اتصال آخر تفضل..

(المتصل١٢): صباح الخير.. أنا (فهمي) ولا أعرف كيف

أصنف قصتي.. هل هي مخيفة أم مضحكة.. لكنها بلا شك غريبة..

(المذيع): مرحباً بك يا (فهمي).. أخبرنا بها وأنا والمستمعون سنكون الحكم

(فهمي): كان هناك مهرجان كبير للأطفال بإحدى الحدائق العامة الكبيرة بمدينتنا فأخذت زوجتي وأطفالي لحضوره.. كان احتفالاً جميلاً امتلأ بالألعاب والمسرحيات والمسابقات لكن لم يكن هناك شيء خاص للكبار فشعرت بالملل قليلاً لكن سعادة أطفالي كانت تستحق

(المذيع): التضحية أسمى درجات الحب..

(فهمي) ضاحكاً: لكن صبري نفد بعد مضي ثلاث ساعات في ذلك الضجيج المستمر فأخبرت زوجتي بأني سأخرج قليلاً للحصول على بعض الهواء والهدوء

(المذيع) مبتسماً: أنت مدخن يا أستاذ (فهمي) أليس كذلك؟

(فهمي): كيف عرفت؟

(المذيع): السيجارة هي وحدها من تستطيع انتزاعنا بهذا الشكل من وسط أحبابنا..

(فهمي) وهو يضحك: نعم بالفعل معك حق!

(المذيع): تفضل أكمل.. خرجت لاستنشاق بعض الهواء أو الدخان بمعنى أصح

(فهمي): نعم.. جلست على أحد الكراسي خارج الحديقة وكان الكرسي عريضاً يكفي لثلاثة أشخاص وأشعلت سيجارة وبدأت بتدخينها وخلال ذلك ظهر من خلفي رجل غريب وجلس بجانبي بصمت

(المذيع): لمَ وصفته بالغريب؟

(فهمي): شكله.. كان مغطى بالدماء بالذات رأسه وملابسه ملونة وغير طبيعية وكان يحدق للأمام بوجهٍ مكتئب وصامت وكأنه على وشك البكاء ولم يلتفت علي أو حتى يُلقِ بالسلام فسألته «هل أنت بخير؟» ولم يرد علي سوى بزفرة وهو لا يزال ينظر أمامه

(المذيع): غريب..

(فهمي): نعم والأغرب هو أنه بدأ بالبكاء بالفعل وهنا تحول قلقي منه لشفقة عليه وحاولت تهدئته لكن وبمجرد أن لمسته نهض وهو مستمر بالتحديق أمامه

(المذيع): ربما كان مصدوماً ولا يزال تحت تأثير الصدمة

(فهمي): بالفعل أحسست بذلك

(المذيع): وماذا حدث بعدها؟

(فهمي): لم يحدث شيء.. بقيت أراقبه حتى قرر الرحيل وقبل أن يرحل لاحظ أني كنت أدخن فأشار بأصابعه إلى أنه يريد سيجارة فمددت واحدة وأشعلتها له.. أخذ منها نفساً قبل أن يسير مبتعداً عن المكان

(المذيع): لمَ قلت بأن القصة قد يعتبرها بعض المستمعين مضحكة؟

(فهمي): لأني علمت لاحقاً بعد ما التقيت بعائلتي بأن أحد الممثلين في مسرحية كانت تعرض للأطفال انفجرت في وجهه

أنبوبة غاز كان يحاول تركيبها ومن الصدمة سار مبتعداً عن المكان وسط ضحك الناس ظناً منهم أنه جزء من العرض فضحكت وقتها كثيراً.. فكرت بالأمر الآن.. ربما لم يكن الموقف مضحكاً كما ظننت..

(المذيع): البعض يجد متعة في مآسي الناس..

(فهمي): لا لا أنا لست منهم

(المذيع): أعرف.. شكراً لمشاركتك أستاذ (فهمي).. لنأخذ اتصالاً آخر

(المتصل١٤): كيف الحال يا أستاذ؟.. أنا من أشد المعجبين بالبرنامج وأحاول المشاركة فيه منذ فترة طويلة

(المذيع): تشرفنا بك.. عرفنا بنفسك وأخبرنا بمشاركتك

(المتصل١٤): أنا (جواد) وقصتي حدثت لي عندما كنت صغيراً.. أنا في العقد الثالث من عمري الآن لكن هذه القصة لا يمكن أن أنساها أبداً.. في طفولتي كانت وسائل الترفيه محدودة لي وللأطفال في حينا وكان لعب الكرة بالشارع يومياً

بعد المدرسة هو شغفنا الوحيد وأحياناً نمارس لعبة أخرى.. لعبة أسميناها لعبة «الوحوش»

(المذيع): ما فكرة هذه اللعبة؟

(جواد): كانت تعبر في الحي من وقتٍ لآخر عربة للرش.. هل تعرفها؟

(المذيع) مبتسماً: أعتقد أن جيلي وجيلك يعرفها لكن لا أظن أن الجيل الجديد يراها كثيراً.. تقصد سيارة رش المبيدات أليس كذلك؟

(جواد): بلى بالضبط.. حينا كان قريباً من المزارع وكانت عربة الرش تمر بنا كثيراً خاصة بعد الأمطار

(المذيع): بسبب تكاثر البعوض..

(جواد): تماماً.. لعبتنا كانت بسيطة.. كنا نلحق بسيارة الرش عندما تمر بنا وننغمس في سحابة المبيد الكثيفة حتى تطمرنا بالكامل لثوانٍ معدودة

(المذيع) مبتسماً: بالطبع لا ننصح أحداً بممارسة هذا السلوك على الرغم من أنه كان ممتعاً

(جواد): وزدنا تلك المتعة بمطاردة بعضنا بعضاً وسط دخان المبيد الكثيف حتى ينقشع.. لكن مع تكرار مرور عربة الرش وممارستنا لتلك اللعبة كنا نلاحظ شيئاً غريباً.. لم نتحدث في الأمر إلا بعد أن أثاره أحد أصدقائي

(المذيع): ماذا لاحظتم؟

(جواد): كان هناك صبي يخرج ويلعب معنا فقط خلال رش المبيد.. كان يطارد معنا ويضحك ويمرح ويختفي باختفاء الدخان

(المذيع): ربما كان من أطفال الحي

(جواد): مستحيل فنحن نعرف جميع السكان وهذا الطفل لم نرَه من قبل

(المذيع): هل قام بإيذاء أحدٍ منكم؟

(جواد): لا أبداً لكن ظهوره المتكرر وحديثنا عنه فيما بيننا أثار ريبتنا وقلقنا خاصة في عمرنا الصغير.. وكان..

(المذيع): كان ماذا؟

(جواد): كان يضحك بطريقة غريبة وهو يلعب معنا وسط سحابة المبيد.. يضحك بطريقة جنونية وهستيرية وبصوت حاد.. كان مزعجاً.. عيناه جاحظتان وأخافتا بعضنا عندما تحدثنا في الأمر بالإضافة إلى أن يديه كانتا باردتين جداً وترجفان عندما يمسك بأحدنا

(المذيع): ماذا حدث بعد ذلك؟

(جواد): قررنا جميعاً أن نمسك به في المرة القادمة التي يظهر فيها ونسأله عن اسمه

(المذيع): قرار لا يتخذه سوى أطفال لا يدركون خطر تلك الفكرة

(جواد): لا تقلق لقد دفعنا ثمنها

(المذيع): كيف؟

(جواد): مرت سيارة الرش كعادتها في أحد الأيام ولحقنا بها وأعيننا تبحث بتوتر عن ذلك الطفل الغريب وبعد ثوانٍ قليلة من دخولنا سحابة المبيد بدأنا نسمع ضحكاته تقترب منا خاصة

وأن الجميع كانوا هادئين هذه المرة لذا كان وقع ضحكاته الهستيرية أكثر رعباً على قلوبنا.. بدأ أحدنا بالصراخ قائلاً «لقد أمسكت به!.. تعالوا!».. جرينا نحو صوته ومع اقترابنا تحولت ضحكات ذلك الطفل لصراخ مخيف.. كان كالحيوان المأسور لكن هذا لم يمنعنا من التكالب عليه وتثبيته للأرض.. استمر بالصراخ ومحاولة التفلت من قبضتنا بالرغم من تكرار سؤالنا عليه أكثر من مرة عن اسمه ومكان إقامته

(المذيع): وهل حصلتم على إجابة؟

(جواد):...

(المذيع): هل ما زلت على الخط يا (جواد)؟

(جواد): نعم نعم.. لكن تذكر ذلك اليوم وترني قليلاً..

(المذيع): يمكنك التوقف لو رغبت

(جواد): اتصلت كي أروي القصة وسأرويها..

(المذيع): تفضل

(جواد): كنا خمسة وجميعنا أمسكنا بطرفٍ من أطرافه وأحد

أصدقائي جاثٍ على صدره يقوم باستجوابه.. كنت ممسكاً بقدمه اليسرى لذا لم أرَ وجهه.. لم أرَ سوى ظهر صاحبي الجاثي عليه.. لا أذكر كثيراً مما حدث بعد تثبيتنا له على الأرض لكن ما أذكره تماماً أن صراخه وتوتره كان يزداد ويزداد مع انقشاع سحابة المبيد وكأنه يخاف أن يكون موجوداً عند زوالها.. قبل أن ينقشع الدخان بالكامل انتفض جسده بشكل قوي لكنه لم يتحرر من قبضتنا وتبع تلك الانتفاضة تحول صوته من صوت طفل حاد إلى زمجرة مخيفة وقتها لاحظت القدم التي كنت أمسك بها.. نما الشعر فيها بشكل سريع ومخيف وأظافره طالت وتحولت لمخالب.. تركت قدمه مفزوعاً عندما أحسست بشعره الخشن يَكِزِ راحة يدي وكذلك فعل من كان يمسك بذراعه الأيمن ولم يمضِ وقت طويل حتى هربنا كلنا ما عدا صديقنا الذي كان يستجوبه

(المذيع): لمَ بقي ولم يهرب معكم؟

(جواد): لأن ذلك الطفل أو الكائن أو مهما كان أطبق على رقبته عندما تحررت يداه وكان يضغط عليها بقوة في نية لقتله لكن

ولله الحمد لم يلحق فبمجرد ما انقشع الدخان تماماً اختفى معه
ليسقط صديقنا مغشياً عليه.. أبلغنا أولياء أمورنا بما حدث فنقل
للمستشفى فوراً وبالرغم من الرضوض التي كانت حول رقبته
شخص الطبيب الحالة بأنها اختناق بسبب المبيد

(المذيع): وهل رأيتم ذلك المخلوق مرة أخرى؟

(جواد) مبتسماً بحزن: وهل تظن أننا عدنا للعب خلف سيارة
الرش أو حتى في الشارع نفسه مجدداً؟

(المذيع): لا.. لا أعتقد هذا.. شكراً لمشاركتك (جواد).. لنأخذ
اتصالاً آخر..

(المتصل١٥): السلام عليكم.. أنا (شهد) وعندي قصة
واستفسار عنها إذا أمكن

(المذيع): وعليكم السلام (شهد).. لنسمع قصتك أولاً

(شهد): القصة لم أحضرها بنفسي لكن إخوتي رأوها بأعينهم
عندما كانوا يريدون دفن أبي رحمه الله

(المذيع): رحمه الله.. ماذا رأوا؟

(شهد): أبي كان تاجراً معروفاً لذا كان الحضور يوم دفنه غفيراً وكذلك إخوتي من التجار المعروفين بالبلد ولهم معارف كُثر لذا فالمقبرة ذلك اليوم اكتظت بالناس لتشييع جثمان أبي

(المذيع): خير وبركة أن يشيع جثمانه عدد كبير من الناس ليطلبوا له الرحمة في ذلك الوقت

(شهد): أخبرني إخوتي بعد عودتهم من المقبرة بأمر غريب حدث خلال دفن أبي.. أخبروني بأنهم وخلال حمل النعش نحو القبر كانت تسير بجانب الجنازة ثلاثة كلاب سوداء.. لم تتعرض أو تعترض طريق أحد أو تنبح أو أي شيء من هذا القبيل كانت تسير مع المشيعين بكل هدوء والغريب في الأمر أنه عندما حاول أخي الأصغر إبعادها عن الناس الذين بدؤوا يتضايقون من وجودها تجاهلته وأكملت السير في الجنازة بالرغم من أنه ضربها بقوة بالعصي والحجارة أكثر من مرة

(المذيع) وعينه على صديقه معد البرنامج: وجود الكلاب في المقابر أمرٌ اعتيادي

(شهد): أنت لا تفهمني.. تلك الكلاب كانت قاصدة أن تسير في جنازة أبي وما حدث بعدها سيؤكد لك كلامي

(المذيع): ماذا حدث؟

(شهد): عندما وصل إخوتي بالنعش وبدؤوا بإنزال أبي في القبر نفزت الكلاب الثلاثة قبلهم داخل القبر وبدأت تنبح بقوة وكأنها مسعورة ولم يستطع أحد إخراجها إلا بعد ما أتى رجل كان فيما يبدو أنه شيخ أو متدين ومنع إخوتي من ضربها وبدأ يقرأ القرآن

(المذيع): وهل رحلت بعدها؟

(شهد): لا.. زاد نباحها أكثر وأكثر لدرجة أن أحدها حاول الخروج من القبر لنهش ذلك الرجل

(المذيع): كيف تخلصتم منها إذاً؟

(شهد): استدعى إخوتي الشرطة وعند حضورهم قرروا إطلاق النار عليها

(المذيع): وهذا لم ينفع بالطبع

(شهد) باستغراب: كيف عرفت؟

(المذيع) متداركاً نفسه خلال نظر المعد له بنظرة حادة وساخطة:

لا.. مجرد توقع

(شهد): توقعك صحيح.. فقد أطلق أحد الشرطة عدة طلقات نحوها ومن مسافة قريبة وقد كان لا يصيب أيّاً منها لكن فيما يبدو أن صوت الرصاص قد أخافها لأنها خرجت من القبر وجرت لوسط المقبرة واختفت

(المذيع): ودفنتم الوالد بعدها؟

(شهد): نعم لكن إخوتي كانوا مجزوعين مما جرى لذا لجؤوا لشيخ كي يفسر لهم ما حدث لكنه قال كلاماً غريباً لم نقبله

(المذيع): ماذا قال؟

(شهد): قال بأن أبي لم يكن يُصلي وما حدث كان مؤشراً على بداية عذابه في القبر فأخبره أخي الأكبر بأن أبي لم يفوت فرضاً في حياته وأنه يصلي دائماً في الجامع الذي بناه أمام منزلنا لكنه لم يقتنع وأصر على كلامه.. أحسست بالضيق لسماع ذلك الكلام.. هل يعقل أن أبي كان رجلاً غير صالح؟

(المذيع): لا تنصتي لمثل هذا الكلام فلا أحد يعلم ما تخفي الصدور إلا الله

(شهد): هذا يقودني للسؤال الذي أريد أن أسأله..

(المذيع): تفضلي

(شهد): ما تفسير ما حدث؟.. أنا أثق برأيك.. أرجوك اخبرني..

(المذيع): ما حدث معكم تفسيره بسيط وليس كما قال ذلك الشيخ..

(شهد) بحماس: حقاً؟!.. ما هو؟!

انتبه المذيع لإشارة من المعد بأنه سوف ينهي البرنامج إذا تحدث أكثر في الموضوع فابتسم بخبية وقال: الله أعلم لكن لكل شيء تفسيراً بلا شك

(شهد) بحزن: شـ..شكراً..

(المذيع) وهو يشعل سيجارة: من معنا الآن؟

(المتصل١٦): أهلاً.. أنا (معتز)

(المذيع) ينفخ بعض الدخان: كيف حالك (معتز)؟

(معتز): أنا؟.. بخير الحمد لله.. شكراً لسؤالك

(المذيع) يأخذ نفساً من سيجارته ويقول: تفضل هات ما عندك

(معتز): أنا أعمل مع صديق لي في هدم المنازل.. مشروع صغير أسسناه بعد ما تمكنا من جمع قيمة البلدوزر من عملنا كعمال للبناء مع أحد المقاولين

(المذيع): انتقلتم إذاً من البناء إلى الهدم

(معتز) ضاحكاً: المهم أننا نكسب أكثر الآن ولله الحمد

(المذيع) وهو يطفئ السيجارة على الطاولة أمامه: جميل.. ما قصتك؟

(معتز): تعاقدنا مع شخص لهدم منزل في أحد الأحياء القديمة ولكون البيت مبنيّاً من الطين ولم يكن من الخرسانة المسلحة طلبنا نصف السعر فقط

(المذيع): بارك الله لكما في أمانتكما.. ليت معظم أصحاب الأعمال الحرة يقتدون بكما

(معتز): لا نزكي أنفسنا لكن هناك الكثير ممن ينتهج نهجنا نفسه بحثاً عن البركة في الرزق لا أكثر

(المذيع): جزاكم الله خيراً.. ماذا حدث بعد ذلك؟

(معتز): توجهت مع صاحبي بعد صلاة الفجر للموقع بالبلدوزر وأخذنا معنا تصريح الهدم وكإجراء روتيني دخلنا للمنزل للتثبت من أنه لا يوجد أحد بداخله

(المذيع): ألا يعرف صاحب المنزل إذا كان منزله مأهولاً أم لا؟

(معتز): المنزل كان مهجوراً منذ سنين كما أخبرنا صاحبه ولم يقرر هدمه إلا بعد ما أصبحت المنطقة حوله تجارية وارتفعت قيمة الأرض ومع ذلك هذا لا يعني أنه لا يوجد أحد بالداخل فبعض الفقراء الذين لا يملكون مساكن يتسللون للبيوت المهجورة ليلاً ليناموا فيها وبعضهم يقيم فيها دون علم أصحابها

(المذيع): وهل وجدتم أحداً بالداخل؟

(معتز): لا.. بحثنا لساعة كاملة وتحققنا من أن المنزل خاوٍ قبل الشروع في هدمه لكن عندما ركبت الجرافة وأدرت محركها واقتربت من أحد الجدران وهدمت جزءاً منه سمعت صراخ مجموعة من الناس آتياً من المنزل فجزعت وأطفأت المحرك فوراً وسألت صاحبي فأكد لي ما سمعته وجرينا بسرعة للداخل

المنزل نبحث عن مصدر الصراخ وقلوبنا مرعوبة من فكرة أننا لم ننتبه لأحد خلال بحثنا فهدم منزل على أناس أبرياء يعني نهاية مشروعنا ومستقبلنا بالكامل.

(المذيع): وهل وجدتم أحداً؟

(معتز): نهائياً.. بحثنا وبحثنا ولم نرَ أحداً فعدت للجرافة وأدرت محركها وأكملت الهدم لكن الأصوات عادت وتكررت مرة أخرى وكانت تصرخ بألم فأطفأت المحرك وأنا متوتر جدّاً وفي حيرة مما يحدث.. اقترح صاحبي اقتراحاً لم أكن سأوافق عليه لولا إصراره وهو أن يدخل للمنزل ويحاول معرفة مصدر الصوت من الداخل خلال الهدم

(المذيع): ألم يكن هذا خطراً عليه؟

(معتز): خطر جدّاً لكنه قال بأنه سيكون في مكان بعيد عن منطقة الهدم ومع ذلك لم أكن مرتاحاً لاقتراحه لأن بيوت الطين يمكن أن تنهار فجأة بالكامل لو تداعى أحد جدرانها فهي ليست مدعمة كالبيوت المسلحة

(المذيع): هل تمكن من تحديد مصدر الأصوات؟

(معتز): لا فبمجرد أن بدأت بالهدم وتعالت تلك الأصوات والصرخات مجدداً خرج صاحبي مفزوعاً من المنزل وعندما سألته قال بأن الأصوات تأتي من كل مكان ومن جميع الغرف لكنه لم يرَ أحداً.. قررنا في النهاية إعادة المال لصاحب المنزل والاعتذار منه وأخبرناه بأن الجرافة تعرضت لعطلٍ ما وإصلاحها سيأخذ وقتاً

(المذيع): ولِمَ لم تخبراه بالحقيقة؟

(معتز): وما الحقيقة؟

(المذيع) مبتسماً: سؤال وجيه..

(معتز): لم أجد حتى هذا اليوم تفسيراً لما حدث ولو كنت وحدي لقلت بأني أهلوس

(المذيع): يبدو أن المنزل كان لا يزال مسكوناً..

(معتز): أقول لك إنه كان مهجوراً ولم يدخله أحد منذ سنين

(المذيع): أعرف.. شكراً لاتصالك يا (معتز).. لنأخذ اتصالاً آخر..

(المتصل١٧): أريد أن أشارككم جميعاً شيئاً..

(المذيع): حسناً لكن عرفينا باسمك أولاً

(المتصل١٧): لا يهم اسمي اسمعوني فقط..راقبوا النجوم.. راقبوا حركتها وتحركاتها..

(المذيع): ماذا تقصدين؟

(المتصل١٧): حركة النجوم.. راقبوها.. كلكم..

(المذيع): حسناً سنفعل.. هل تريدين إضافة شيء آخر؟

(المتصل١٧): صدقني أن الأمر غريب ولا أحد يتكلم عنه ويتجاهله.. أليس من المفترض أن بعض النجوم عبارة عن كويكبات انفجرت منذ ملايين السنين وما نراه مجرد نورها ووهج ذلك الانفجار؟

(المذيع): نعم صحيح

(المتصل١٧): إذاً كيف يمكن لبعضها التحرك يميناً ويساراً وتبديل منازلها؟

(المذيع): أعتقد أنكِ تقصدين الشهب

(المتصل١٧) بتوتر وعصبية: لا! لا!.. ركز في السماء!.. ركزا.. ركزوا جميعاً!

(المذيع): نركز في ماذا تحديداً؟

(المتصل١٧) بخليط من الهدوء والتركيز: لو أمعنت النظر مطولاً بهدوء فسترى أن بعض تلك النجوم تتحرك بثبات.. من اليمين إلى اليسار.. من اليسار لليمين.. تتحرك لفترة وجيزة ثم تقف مكانها.. في مكان آخر تماماً..

(المذيع): وما تفسيرك لهذا الموضوع؟

(المتصل١٧): أنها ليست نجوماً!

(المذيع): ماذا إذاً؟

(المتصل١٧): كائنات تراقبنا منذ سنين طويلة وتتحرك من وقتٍ لآخر ظناً منها أننا لن نلاحظ ذلك..

(المذيع): وأنتِ وحدك لاحظتِ هذا..

(المتصل١٧): لا.. لست وحدي الكثير منا لاحظ وأنت منا ولا تنكر ذلك أبداً

(المذيع):...

(المتصل١٧): أعرف بأنك لا تستطيع البوح بالحقيقة لكني أنا أستطيع..

(المذيع): هل تريدين القول بأن كل مراقبي الفضاء في العالم لم يلحظوا هذا وأنتِ وحدك مع مجموعة بسيطة من الناس لاحظتم ذلك؟

(المتصل١٧): لا بل أقول إنهم يعرفون تلك الحقيقة تماماً لكنهم لا يريدون إخبارنا.. ألا تسمع المتصلين ببرنامجك؟.. معظمهم لا يريدون تصديق ما يرونه بأعينهم مهما كان واضحاً وجلياً أمامهم.. التصديق مؤلم والتجاهل والتكذيب راحة ولست أنا من سيخبرك بذلك أيها المستشار

(المذيع): لمَ ناديتِني بالمستشار للتو؟

(المعد) يشير للمذيع بأنه سينهي الاتصال والمذيع يشير له بالتروي قليلاً..

(المذيع): حسناً هل لديكِ شيء آخر تريدين إضافته؟

(المتصل١٧): كلمة أخيرة فقط..

(المذيع): تفضلي..

(المتصل١٧): أقول لكل من يستمع لبرنامجك الآن لا تصدقوني لكن صدقوا أعينكم.. اخرجوا وراقبوا السماء.. راقبوا النجوم سترون ما أتحدث عنه وعندها ستعرفون الحقيقة وهي أننا لسنا وحدنا في هذا الكون..

(المعد) يشير للمذيع بأنه قطع الاتصال..

(المذيع): حسناً.. شكراً لاتصالك.. لنأخذ استراحة إعلانية..

انتقل المعد للإعلانات وخلع سماعاته وسار تجاه المذيع ووقف بجانبه قائلاً: المكالمات تزداد جنوناً أليس كذلك؟

(المذيع) وهو سارح أمامه: ربما بالنسبة لك..

المعد مبتسماً: هل راقبت النجوم من قبل؟.. لا تقل بأنك تصدق هذه المعتوهة؟

(المذيع): شعور مريح أليس كذلك؟

(المعد): عن ماذا تتحدث؟

(المذيع) موجهاً نظره لصديقه: وصفك إياها بالمعتوهة أو المجنونة.. مريح أليس كذلك؟.. جميل أن نقوم بإقصاء الغير كي لا نُرغم على محاولة فهمهم

(المعد): فهم ماذا؟.. الفتاة مجنونة ولا أحتاج طبيباً كي يؤكد لي ذلك وأنت يجب أن تتيقن من ذلك أيضاً وأن كلامها هرطقات!

(المذيع): تعلمت أن لا أنفي شيئاً قبل تجربته..

(المعد) ضاحكاً: الليلة صافية جرب أن تحدق بالنجوم إذاً لعلك تكشف تحركاً غريباً من أهل الفضاء

(المذيع) وهو يرتشف بعض القهوة الباردة من كوبٍ كان أمامه: ربما سأفعل..

(المعد) يسير عائداً لمقعده: وقت البرنامج أوشك على الانتهاء.. لنأخذ بعض الاتصالات الأخيرة

(المذيع): أريد أن تترك لي مجالاً بعد البرنامج كي أودع المستمعين

(المعد) بتوجس: ماذا تنوي أن تقول؟

(المذيع) مبتسماً: لا شيء.. سأودعهم فقط وأشرح لهم أن هذه

(المعد) وهو يلبس سماعته: لا يمكننا أخذ وقت من البرنامج الذي يتبع برنامجنا.. وقتنا محدد ولا نستطيع تجاوزه

(المذيع): أعطني إشارة قبل انتهاء وقتنا بخمس دقائق فقط.. هذا كل ما أحتاجه

(المعد) وهو يشير للمذيع بأنهما سينتقلان على الهواء خلال ثلاث ثوانٍ: حسناً..

(المذيع): عدنا لكم في الساعة الأخيرة من البرنامج وكي لا نضيع المزيد من الوقت لنأخذ الاتصال التالي.. تفضل عرفنا بنفسك

(المتصل١٨) بتوتر: أنا.. أنا (منال)..

(المذيع): صباح الخير (منال) تفضلي نحن منصتون..

(منال): أعاني من مشكلة.. ليست مشكلة لي بل لمن هم حولي.. أقصد.. لقد سمعت في الحلقات السابقة بعض المشاركات المشابهة لحالتي لذا تشجعت أن أشارك لأن لا أحد يصدقني

(المذيع): نحن هنا لن نكذبك أو نصدقك.. تكلمي بأريحية والحكم للمستمعين..

(منال) تزفر وتبدأ بالحديث: هناك من يحميني.. يدافع عني عندما أتعرض لسوء.. لا أعرف كيف أشرح الأمر.. مثلاً في مرة عندما تشاجرت مع زميلة لي بالمدرسة تعرضت لحادث سير وهي عائدة للمنزل

(المذيع): كما أخبر الكثير من المشاركين أن المصادفات قد تكون هي التفسير لكثير من الأمور

(منال): الأمر ليس مصادفة لقد تكرر الأمر مرات عديدة لا يمكنني أن أحصيها

(المذيع): كم عمرك يا (منال)؟

(منال): ثماني عشرة سنة..

(المذيع): تقولين إن الأمر تكرر.. هل تعرض أحد آخر لحادث سير بعد الشجار معكِ؟

(منال): لا أقصد أنه يتكرر بهذا الشكل.. مرة من المرات كنت

أتسوق من محل للملابس وعندما دفعت ثمن ما اشتريته رفض البائع إرجاع ما تبقى لي من مال بحجة أني أخذته فتجادلت معه واجتمع حولنا الناس وأحسست بالاختناق من تجمهرهم حولي وهو يُصر أنه يقول الحق خاصة وأن معظم المتجمهرين كانوا ضدي ويقفون معه

(المذيع): وماذا حدث؟

(منال): خلال صراخه علي وقع عليه رف ملابس حديدي كبير كان خلفه ومات على الفور

(المذيع):...

(منال) بتوتر: هل تريد قصة أخرى؟

(المذيع): تفضلي

(منال): كنت في المستشفى مع أهلي نزور أختي الكبرى لأنها قد أنجبت مولودها الأول وبعد أن سلمت عليها خرجت من الغرفة أبحث عن مكان لشحن هاتفي فتحدثت مع إحدى الممرضات ويبدو أن أحد الأطباء كان يسترق السمع لحديثنا

فعرض علي أن أشحن هاتفي في مكتبه فرفضت وبدأت بالسير مبتعدة عنه

(المذيع): لا تقولي بأنه تحرش بك أمام الممرضة وأجبرك على شحن هاتفك في مكتبه

(منال): لا أبداً لم يكلمني بعدها أبداً

(المذيع): جيد لأن القصة كانت ستكون مبالغاً فيها لو أن هذا ما حدث وتعرض هو الآخر للأذى

(منال): ومن قال بأنه لم يتعرض للأذى؟

(المذيع): لكنه لم يحتك بك بأي شكل

(منال): الشيء الذي أظنه يدافع عني تلتبس عليه الأمور أحياناً وليست هذه أول مرة

(المذيع): ماذا حدث له؟

(منال): لا أعرف تماماً لكن وخلال نزولنا من الطابق الثاني للرحيل خرجنا من مبنى المستشفى فرأينا مجموعة من الناس مجتمعة حوله وهو غارق في الدماء التي نزفت من رأسه.. يبدو أنه سقط من علو

(المذيع): لو طلبت منكِ حصر القصص التي حدثت معك من هذا النوع.. كم سيكون عددها تقريباً؟

(منال): لا أستطيع حصرها فهي كثيرة

(المذيع): حاولي.. لا أريد رقماً محدداً لكن شيئاً قريباً من الرقم الحقيقي إذا أمكن

(منال): لا أعرف ربما.. ربما ثمانون أو تسعون مرة..

(المذيع):...

(منال): صدقني هناك من يحاول حمايتي لكنه يعكر صفو حياتي

(المذيع): الحامي هو الله يا (منال)..

(منال): مؤمنة بذلك ومؤمنة أن ما يحدث لي هو بإرادة الله أيضاً

(المذيع): ونعم بالله.. شكراً لمشاركتك

(منال): ألن تخبرني عن سبب ما يحدث معي وما هذا الشيء الذي يلاحقني ويؤذي من حولي؟

(المذيع) وعينه على المعد: نحن برنامج للاستماع للقصص ولا نقدم استشارات

(منال): لكني سمعتك أكثر من مرة تعطي تفاسير وتقدم نصائح لبعض المتصلين

(المذيع): بعضهم وليس كلهم..

(منال): أريد أن أكون ضمن هؤلاء «البعض»..

(المذيع): هل أنتِ متضايقة حقاً من هذا الشيء؟

(منال) بتعجب وقليل من السخط: ماذا تقصد؟!.. بالطبع أنا متضايقة وأريد التخلص منه بأسرع وقت!

(المذيع) بهدوء: بالتوفيق في مسعاك

(منال): هل هذا يعني أنك لن تسـ..

(المذيع): يبدو أن الخط انقطع.. لنأخذ اتصالاً آخر

(المتصل١٩): السلام عليكم

(المذيع): وعليكم السلام

(المتصل١٩): أنا (منصور) وأريد التحدث عن شيء كان منتشراً في صغرنا وأنا رأيته بنفسي

(المذيع): كم عمرك يا (منصور)؟.. أنا أسأل كي يكون لدينا تصور عن الفترة الزمنية التي تتحدث عنها

(منصور): أنا سأكمل الثانية والأربعين الشهر القادم

(المذيع): كل عام وأنت بخير مقدماً.. تفضل أكمل

(منصور): شكراً.. كنت في المرحلة الابتدائية عندما بدأنا نسمع عن «اليد»

(المذيع):.. «اليد»؟

(منصور): نعم اليد التي تخرج من المرحاض وتخطف الأطفال

(المذيع): آه نعم أذكر تلك الفترة لكن لم أظن أن الأمر كان مقصوراً على الأطفال فقط

(منصور): لم نسمع براشد تعرضت له تلك «اليد»

(المذيع): ربما لأنها في عقول الصغار فقط..

(منصور): لا لا.. أقول لك رأيتها بنفسي!

(المذيع): كيف ومتى رأيتها؟

(منصور): بدأ الأمر بخروج بعض الطلاب من وقت لآخر مفزوعين من دورات المياه وكلهم كانوا يصفون الشيء نفسه.. يد سوداء نحيفة بمخالب صفراء طويلة تخرج من المرحاض خلال استخدامه وتحاول أن تمسك بهم

(المذيع): وهل وقع أحد ضحية لتلك اليد أم الجميع فقط شاهدوا ولم يتأذوا؟

(منصور) بصوت خفيض ومتوتر: بلى.. (زكريا).. صديقي (زكريا).. رأيته وهو يُسحب أمام عينيّ.. سحبته تلك اليد داخل المرحاض..

(المذيع): سامحني على السؤال لكن لا بد أن أسأله..

(منصور): تفضل..

(المذيع): ماذا كنت تفعل مع صديقك داخل الحمام؟

(منصور): لم أكن معه داخل الحمام.. كنت بالخارج أنتظره وسمعت صراخه..

(المذيع): لا تقل بأن طفلاً في عمرك وقتها تمكن من كسر الباب.. أم أن صاحبك لم يغلق القفل؟

(منصور): لمَ تشكك بكلامي.. أنا لا أكذب

(المذيع): أنا لا أشكك بكلامك لكن جزءاً من عملي كمقدم لهذا البرنامج هو طرح التساؤلات المنطقية والتي بلا شك تُراود الكثير من المستمعين.. لا تأخذ الأمر بحساسية

(منصور): حسناً.. لا الباب لم يكن مفتوحاً ولم أكسره فدورات المياه في مدرستنا كانت أبوابها مصممة بشكل غريب فالجزء السفلي منها مرتفع جدّاً وأي شخص تقريباً يستطيع الزحف والدخول من الأسفل..

(المذيع): نعم أعرف هذه الأنواع.. مزعجة جدّاً وخالية من الخصوصية لكن أظنها مصممة بهذا الشكل لأغراض السلامة..

(منصور): زحفت من تحت الباب و(زكريا) وقتها كان لا يزال يصرخ ويستنجد.. ورأيته وهو يُسحب ويختفي من أمامي.. رأيت تلك اليد السوداء وهي تتحسس أطراف المرحاض بمخالبها الطويلة قبل أن تغوص مجدداً وتختفي..

(المذيع): ألم يسمع أحد غيرك تلك الاستغاثة؟

(منصور): دورات المياه بعيدة عن الفصول والوقت كان خلال

إحدى الحصص

(المذيع): في العادة لا يُسمح لأكثر من طالب واحد بالخروج من فصلٍ واحد في الوقت نفسه لكن ربما مدرستكم مختلفة

(منصور) بنبرة ساخطة قليلاً: لم تكن المدرسة مختلفة بل المدرس كان طيباً ولم يكن يمانع ذلك!

(المذيع): حسناً أكمل..

(منصور) بغضب: لا أريد الإكمال!..أنت تسخر مني!

(المذيع) بهدوء: ومتى سخرت منك؟

(منصور): طريقة كلامك معي توحي بذلك

(المذيع): ربما أنت الذي لا يصدق تلك القصة وليس أنا

(منصور) بعصبية: أنا رأيت ذلك بنفسي!

(المذيع): لمَ أنت غاضب إذاً؟

(منصور) بصوت مرتفع: أنا لست غاضباً!!

(المذيع) وهو يشير للمعد بقطع الاتصال: لنأخذ اتصالاً آخر..

(المتصل ٢٠): السلام عليكم ورحمة الله

(المذيع): وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.. تفضل عرفنا بقصتك

(المتصل ٢٠): ماذا؟

(المذيع) ضاحكاً: عذراً.. أقصد عرفنا بنفسك.. يبدو أن التعب بدأ يتمكن مني الليلة

(المتصل ٢٠): أنا أعمل كقناص في الجيش لذا أفضل أن أبقي اسمي كمجهول إذا لم تمانع؟

(المذيع): لا أبداً لا أمانع.. تفضل

(المتصل ٢٠): عينت قبل عدة أشهر في كتيبة كانت مسؤولة عن مراقبة الحدود وكان لدينا أوامر بأن نقتنص كل من يحاول تجاوزها ونطلق النار عليه

(المذيع): ألا يمكن أن يكون هناك أبرياء في تلك المنطقة؟

(المتصل ٢٠): بلى لذلك نقوم بإطلاق ثلاث طلقات تحذيرية..

الأولى في الهواء فوق رأس الشخص فإذا استمر في التقدم أطلقنا

على أحد أطرافه كرسالة تحذير أخيرة

(المذيع): وإذا لم يستجب للطلقة الثانية فأين تكون الطلقة

الثالثة؟

(المتصل ٢٠): بين عينيه بالطبع فنحن لا نتهاون مع المتسللين

أبداً

(المذيع): أعانكم الله نحن نعرف بأنكم تقومون بعمل جبار

لحماية البلاد

(المتصل ٢٠): ولأن حماية الوطن أمرٌ حساس فقد حصلنا في

تلك الفترة التي كنت أخدم بها على الحدود على مجموعة من

الأجهزة الحديثة والمتطورة والتي لا تملكها إلا دول قليلة

(المذيع): ما ميزات تلك الأجهزة؟.. إذا لم يكن ذلك من

الأسرار العسكرية

(المتصل ٢٠): لا أبداً فهي أسلحة معروفة ومعروضة من قبل

شركاتها في الإنترنت والأمر ليس بالسر.. حصلنا على بندقيات

أكثر دقة مزودة بمناظير عالية التطور تميز كل شيء خاصة في الليل.. تمكنا بواسطتها من رصد أي تحرك بسيط يحدث أمامنا وكانت الشرائح الضوئية أكثر تنوعاً وأكثر تفصيلاً كذلك مركز القيادة الذي كان يراقب الحدود بشكلٍ أوسع حصل على كاميرات خارقة جداً في قدراتها على التكبير وتقريب المسافات البعيدة بالإضافة لرصد وتحديد ماهية الأهداف بدقة عالية ومعرفة ما إذا كان حيواناً أم إنساناً وعن ما إذا كان مسلحاً أم لا لدرجة أنه يمكننا تحديد جنسه وملامحه وتصويرها والبحث في قاعدة بيانات خاصة للتعرف على هويته وهو لا يزال يسير نحونا

(المذيع): أجهزة متطورة بالفعل..

(المتصل ٢٠) ضاحكاً: لقد أطلت بالحديث عن تلك الأجهزة عذراً

(المذيع) مبتسماً: لا أبداً أنا شخصياً أستمتع بتلك المعلومات وواثق أن معظم المستمعين كذلك

(المتصل ٢٠): الآن سوف أروي القصة التي حدثت معي..

(المذيع): تفضل كلنا منصتون..

(المتصل٢٠): كنت مستلماً لإحدى نقاط المراقبة الليلية في قطعة ما على الحدود فنحن نقسم الشريط الحدودي لقطاعات وكل قناصٍ يكون مسؤولاً عن مسافة تقدر بثلاثة كيلو مترات تقريباً

(المذيع): مسافة طويلة.. كيف تستطيع تمشيطها بالكامل؟

(المتصل٢٠): أنا أراقب بمنظار متطور يرى لمسافات بعيدة جدّاً بالإضافة لمركز القيادة الذي يراقب معي ويعلمني في حال رصد متسلل ويزودني بالإحداثيات لأجد الهدف بسهولة وهنا يأتي دوري ودور زملائي من القناصة

(المذيع): إذاً فقرار القنص في النهاية متروك لكم؟

(المتصل٢٠): نعم بالضبط

(المذيع): فهمت.. تفضل أكمل

(المتصل٢٠): خلال مراقبتي للشريط الحدودي بمنظاري الإلكتروني في إحدى الليالي رأيت رجلاً يمشي تجاه الحدود.. استغربت كثيراً لأن مركز القيادة لم يبلغني عنه فقد كان واضحاً

جداً ويسير بكل ثقة.. تواصلت معهم وزودتهم بالإحداثيات

كي يزودوني بتفاصيل أكثر عنه لكنهم اجابوني بإجابة غريبة..

قالوا بأن مناظيرهم لا ترى شيئاً في مكان الإحداثيات التي

زودتهم بها فأعدتها عليهم لأن اختلاف رقم واحد يمكن أن

يشوش عليهم كثيراً لكنهم أكدوا لي أنها الإحداثيات السابقة

نفسها وأنه لا يوجد شيء.. توترت وأنا أرى ذلك الرجل يسير

ويقترب من الحدود فقمت بإبلاغ القيادة بأني سأبدأ بإطلاق

طلقات التحذير وبالفعل أطلقت الطلقة الأولى فوق رأسه ولم

يهتز أو يرتبك بل استمر بالسير ولم يغير مساره قيد أنملة.. قررت

أن أطلق الطلقة التحذيرية الثانية وأصيب فخذه ومركز القيادة

كانوا على تواصل معي خلال ذلك وفي الوقت نفسه مشككين

في ما أراه لأنهم لم يروا ما كنت أشاهده أمامي.. أطلقت على

أعلى فخذه الأيسر.. ولم يسقط واستمر بالمشي..

(المذيع): كيف لم يسقط؟

(المتصل ٢٠): هذا ما حدث لذا اضطررت لإسقاطه برصاصة

في رأسه وبالفعل سقط.. لكن..

(المذيع): لكن ماذا؟

(المتصل ٢٠): نهض مباشرة بعد ملامسته الأرض واستمر بالسير للأمام

(المذيع): هل يعقل هذا؟

(المتصل ٢٠): صدقني هذا ما حدث وعند إبلاغي مركز القيادة بما حدث طلبوا مني مراقبته ريثما يرسلون لي بعض التعزيزات فأخبرتهم أنه سيتجاوز الحدود بعد قليل فأبلغوني بأن القرار متروكٌ لي

(المذيع): وماذا قررت؟

(المتصل ٢٠): سلاح القنص الذي كان معي متطور ويمكن أن أحوله لسلاح رشاش وهذا ما قمت به وأفرغت مشط الذخيرة فيه بالكامل وسقط على الأرض لكنه نهض مرة أخرى واستمر بالسير وأنا مذعور مما أراه يحدث أمامي.. تذكرت في تلك اللحظة أن منظار سلاحي به خاصية التصوير فقمت بالتقاط بعض الصور له وبقيت أراقبه وهو يسير نحو الشريط الحدودي بسرعة ثابتة ومعتدلة

(المذيع): لمَ لم تطلق عليه مرة أخرى؟ هل نفدت منك الذخيرة؟

(المتصل ٢٠): لا لكني أدركت وقتها أن ذلك الشيء ليس ببشر بالرغم من جسده البشري لكن وجهه..

(المذيع): ما به وجهه؟

(المتصل ٢٠):.. مع اقترابه بدأ الجهاز يلتقط ملامحه..

(المذيع): هل يمكن أن تصفه لنا؟

(المتصل ٢٠): أرجوك لا ترغمني على ذلك.. لا أستطيع.. الأمر ما زال يهزني حتى هذا اليوم لكن يمكنني أن أقول لك إنه أكثر الوجوه بشاعة وقبحاً رأيته في حياتي مع أن تفاصيله لم تكن كاملة تماماً إلا أنني ميزت ملامحه البشعة

(المذيع): هل تجاوز الحدود؟

(المتصل ٢٠): الوضع زاد تعقيداً عندما وصل أحد زملائي القناصة بأمر من القيادة ريثما تصل التعزيزات فقد كان هو الأقرب لي على الشريط الحدودي

(المذيع): كيف تعقدت الأمور؟

(المتصل٢٠): شرحت الوضع على عجالة لزميلي والذي وجه سلاحه مباشرة لذلك الشيء وبدأ يطلق عليه هو الآخر وتكرر الأمر نفسه معه لكن هذه المرة غير المخلوق مساره ويدأ يسير نحونا وكنت أستطيع رؤية ملامحه الغاضبة وكان من الواضح أنه سيؤذينا

(المذيع): هربتما بالطبع

(المتصل٢٠): لو كنت سأموت تلك الليلة فلن أموت هارباً بل في مكاني وموقعي مدافعاً عن حدود بلدي

(المذيع): اعذرني ولكن الشيء القادم نحوك لم يكن بشراً يريد اختراق الحدود ولن تلام على الهرب

(المتصل٢٠): وكيف أضمن أن هذا ما سيقال بعد موتي؟

(المذيع): لقد قلت للتو إنك صوّرت شكله بمنظارك

(المتصل٢٠): نحن الآن نتحدث بهدوء ويمكن أن نتخذ قرارات حكيمة لكن وقتها القرار يحتاج لأقل من ثانية ولا وقت للتفكير

(المذيع): معك حتى لم أضع نفسي مكانك.. تفضل أكمل

(المتصل٢٠): طلبت من زميلي أن يعود من حيث أتى لكنه رفض فبقينا نراقب ذلك المخلوق البشع يقترب منا أكثر وأكثر حتى بدأنا نستطيع رؤية خياله تحت ضوء القمر بالعين المجردة.. كنا في خندق بسيط في العراء ولم يكن أمامنا سوى بعض أكياس الرمال فأنزلنا رؤوسنا في انتظار مصيرنا لكن ذلك الشيء لم يأتِ ولم نجرؤ على النظر حتى رأينا وهج كشاف الدورية والمدرعة التي أرسلت لنا يقتربان منا ولم نرَ له أي أثر في الأفق حتى بعد أن استعنا بمناظيرنا

(المذيع): السؤال الذي يدور الآن في خلدي وأتوقع أنه يشغل كذلك الكثير من المستمعين هو عن الصور التي التقطتها

(المتصل٢٠): لا أستطيع الحديث أكثر فالأمر أصبح من الأسرار العسكرية الآن ولو تحدثت أكثر فقد أتعرض لمشكلات

(المذيع): أسرار ماذا؟.. لقد قلت كل شيء تقريباً ولا أظن الحديث عن الصور سيشكل فارقاً

(المتصل٢٠): الأمر أكبر مما تحدثت فيه فقد اكتشفنا لاحقاً أموراً أكثر غرابة..

(المذيع): هل يمكنك أن تحدثنا عن تلك الأمور؟

(المتصل٢٠): أعتذر ليس لدي أكثر مما قلت..

انقطع الاتصال..

المذيع يحدق بالمعد بصمت..

(المتصل٢١): صباح الخير

(المذيع) وتركيزه ينقطع: نعم.. نعم صباح.. صباح النور.. تفضل..

(المتصل٢١): مرحباً.. هل تسمعني؟

(المذيع): نعم نعم.. أنتِ على الهواء

(المتصل٢١): أنا (بدرية)..

(المذيع): أهلاً (بدرية) تفضلي..

(بدرية): لدي حكاية ما زالت تسبب لي الكوابيس حتى اليوم

(المذيع): عفواً (بدرية).. هل تقابلنا أو تحدثنا من قبل؟

(بدرية) باستغراب: تقصد أنا وأنت؟

(المذيع): نعم

(بدرية): لا.. هذه أول مرة أتصل فيها بالبرنامج

(المذيع): حسناً عذراً على المقاطعة.. نحن منصتون لكِ تفضلي..

(بدرية): عندما كنت في السابعة من عمري تقريباً تعرضت لشيء هز كياني وخلق مني شخصاً لا يستطيع النوم وحده حتى هذا اليوم.. في تلك الفترة شاركني غرفتي أختي الكبرى والفارق بيننا في العمر كان عشر سنوات تقريباً ولم تكن أختي تحب المبيت مع طفلة صغيرة مثلي وأرادت خصوصيتها كما كانت تقول لأمي دائماً لكن تعلقي بها وهروبي لفراش أمي ليلاً عندما أكون وحدي جعل أبي يحسم الموضوع لمصلحتي ببقاء أختي معي في الغرفة رَغماً عنها مما خلق بيننا بعض التوتر والعدائية في بادئ الأمر لكن ذلك خف مع مرور الأيام وبدأت تستلطفني أكثر.

(المذيع): العلاقة الأخوية أمر جميل إذا لم يشبْها أي خلافات..

(بدرية): معك حق.. أنا أفتقدها حقاً

(المذيع): كم عمرك الآن يا آنسة (بدرية)؟

(بدرية): ٢٥ عاماً.. كيف عرفت بأني آنسة ولم أتزوج بعد؟

(المذيع): مجرد تخمين.. معنى ذلك أن أختك الآن في الخامسة والثلاثين وقد تزوجت وربما أنجبت أيضاً..

(بدرية) تزفر بحزن..

(المذيع): ما الأمر؟.. هل ما زالت معكِ في المنزل

(بدرية): أختي لم تتجاوز العشرين من العمر فقد توفاها الله وهي في التاسعة عشرة من عمرها بشكل مفاجئ عندما تعرضت لهبوطٍ حاد في ضغط الدم

(المذيع): رحمها الله.. هل كانت مصابة بعلل في الضغط قبل موتها؟

(بدرية): لا أبداً.. كانت بكامل صحتها حتى ذلك اليوم

(المذيع): أي يوم؟

(بدرية): هذا سبب اتصالي.. أريد التحدث عن ذلك اليوم..

(المذيع): تفضلي يا (بدرية) ولن أقاطعك حتى تنتهي

(بدرية): كما أخبرتك سابقاً فأنا وأختي كنا نقيم في الغرفة نفسها وعلى عكسها فقد كان نومي خفيفاً جدّاً وأقل حركة أو صوت يمكن أن يوقظني أما هي فلو وقعت هزة أرضية فلن توقظها لذا كانت تنزعج كثيراً ممن يحاول إيقاظها وتثور فيه غضباً حتى لو كان لمصلحتها أو لأجل أمرٍ خاص بها. استيقظت إحدى الليالي على أصواتٍ تشبه التمتمات أو شخصاً يحدث نفسه فرفعت الغطاء عن وجهي لأني لا أنام إلا عندما أغطي نفسي بالكامل ورأيت أختي جالسة مسندة ظهرها لإحدى زوايا الغرفة وعلى وجهها ارتسمت ملامح الرعب والفزع الشديد.. كانت تحتضن مخدتها وتحدق بشيء أمامها أو أسفل منها بمعنى أدق.. لا أذكر تحديداً لكن ما أذكره جيداً هي تلك الرائحة العفنة التي انتشرت في المكان.. كانت رائحة نتنة كخليط من الثوم واللحم النيء.. قبضت على أنفي وبدأت أتنفس من فمي لأن الرائحة لم تكن محتملة ومع هذا تذوقتها في فمي من شدة تركيزها.. كان مذاقها كقطعة نقدية معدنية صدئة تذوب على لساني.. بدأت أدمع.. لم أعرف هل كان ذلك من الخوف لرؤية أختي بتلك الحالة أم بسبب الرائحة النفاذة أم كليهما معاً.. حاولت سؤال أختي عن

سبب جزعها لكني لم أستطع لأن صوتاً بدأ يصدر من الشيء الذي كانت تراقبه بفزع.. صوت كصوت صوص الدجاج الصغير.. كان مرعباً جداً مع هذا استجمعت قواي ونزلت من سريري وبدأت بالسير نحو أختي متجاوزة سريرها لأرى ما كانت ترى ويصدر ذلك الصوت المخيف.. رأيته.. منذ أن وقعت عيناي عليه شعرت بتجمد صدري بالرغم من العرق الساخن الذي أخذ بالتساقط على جبيني.. القبح والبشاعة لا تصفه ولا العفن والنتانة تصف رائحته.. كان مخلوقاً قبيح المنظر بطولي تقريباً.. لم أرَ إلا ظهره المدبب في بادئ الأمر لكنه أحس بي والتفت علي بعينيه الواسعتين وحدقتيهما السوداوين الصغيرتين جداً كحبات الخردل فشهقت.. شهق معي.. ثم ابتسم مظهراً أسنانه الصفراء وبدأ يسير نحوي كطفلٍ بدأ بتعلم المشي للتو.. صرخت.. صرخت بكل ما أوتيت من قوة وخرجت جرياً من الغرفة متوجهة لغرفة أبويّ وأيقظتهما على الفور وبدأت أبكي وأحكي لهما ما رأيته لكنهما لم يفهما شيئاً من استغاثتي الملطخة بالخوف والجزع ولم ينهِ ذلك الجدال إلا صرخة مدوية أطلقتها أختي من غرفتنا جرى على أثرها أبي إليها ليجدها ملقاة على

الأرض تنزف بغزارة من خاصرتها وكأن شيئاً ما قد نهش من لحمها.. لم تمت أختي ذلك اليوم وتمكن الأطباء من إنقاذ حياتها لكنهم لم يتمكنوا من إنقاذ عقلها الذي طار تلك الليلة وحلق بعيداً بلا عودة.. أمضت أختي بقية العام تعاني من أمراض عصبية كثيرة وحصلت أخيراً على غرفة خاصة بها.. غرفة في مستشفى الأمراض النفسية ولم تُتم العام إلا وهي تحت التراب بسبب هبوط مفاجئ في ضغط الدم كما أخبرتك سابقاً.. باغتها الهبوط وهي نائمة كما أخبرنا الأطباء بذلك..

(المذيع):...

(بدرية) وقد بدا أنها تدمع وتستنشق دموعها: فقط.. هذا ما كنت أريد قوله..

(المذيع): هل لي بسؤال أخير يا آنسة (بدرية) قبل أن تغلقي الخط؟

(بدرية) وهي تمسح دموعها: نعم تفضل

(المذيع): هل.. هل أختك كان اسمها (xxxxx)؟

(بدرية): نعم كيف عرفت؟

(المذيع): مجرد تخمين.. شكراً (بدرية) على اتصالك.. فاصل سريع وسوف نعود

انتقل المعد لفقرة الإعلانات وخلع سماعاته ونهض متوجهاً لصاحبه الذي خلع هو الآخر سماعاته وأشعل سيجارة وبدأ يدخنها بتوتر واضح وقال له: ما بك؟.. هل كنت تعرف تلك الفتاة؟

(المذيع) يدخن سيجارته دون أن يرد على صاحبه الذي قال: ألن تجيبني؟

(المذيع): كنت أعرفها.. عندما كنت في الجامعة.. علاقة عابرة..

(المعد) بتوجس: لمَ أحس بأن الموضوع لم يكن مجرد علاقة عابرة؟

(المذيع) يطفئ السيجارة قبل أن يُكملها ويضع سماعاته على أذنيه قائلاً: هيا لننتهِ من هذه الليلة..

(المعد) يسير نحو مقعده: يمكننا أخذ ثلاثة اتصالات أخيرة إذا كنت تريد استغلال بقية الوقت في توديع المستمعين

(المذيع): حسناً..

المعد يشير للمذيع بأنهما عادا على الهواء..

(المذيع): عدنا لكم مع اتصال جديد.. تفضل

(المتصل ٢٢): صباح الخير.. أرغب في المشاركة

(المذيع): هذا هو الغرض من وجودنا هنا.. عرفنا باسمك وقدم مشاركتك بعدها

(المتصل ٢٢): أنا (أبو أحمد) وقصتي بدأت عندما سمعت بعض القصص عن علاج للصلع.. كما تعرف المريض يتعلق بأي شيء مهما كان غريباً

(المذيع): لم أكن أعرف أن الصلع مرض..

(أبو أحمد): قد لا يُصنف كمرض بالمعنى الدارج لكنه بالتأكيد شيء مزعج خاصة لمن يتعرض له في عمرٍ صغير

(المذيع): أذكر أن صيحة أكل البرسيم غزت المجتمع كعلاج لمرض السكري قبل عدة سنوات

(أبو أحمد): نعم أذكر تلك الفترة.. العلاج الذي شاع للصلع كان أكثر غرابة

(المذيع): ماذا كان العلاج؟

(أبو أحمد): لعاب البقر..

(المذيع) بتعجب: لعاب البقر؟.. كيف استسغته؟

(أبو أحمد) ضاحكاً: لم يكن العلاج بتناوله بل بمسحه على الرأس حتى ينبت الشعر من جديد.. كانت الطريقة هي بالجلوس عند بقرة ما وتركها تلعق رأسك لبضع دقائق وتكرار العملية لعدة أيام

(المذيع): وهل كانت تلك الطريقة ناجحة؟

(أبو احمد): بصراحة لم أقابل أحداً جربها من قبل لكن القصص التي كانت تروى عن تلك الطريقة وفاعليتها كثيرة وكان لا بد أن أجرب بنفسي

(المذيع): هل اشتريت بقرة كي تجرب؟

(أبو أحمد): لا.. لي صديق يملك مزرعة بها مجموعة من المواشي وكنت على علم سابق بأنه يملك مجموعة من الأبقار فلجأت إليه ليمنحني بضع جلسات مع إحدى أبقاره لكنه أخبرني بأنه باع معظمها ولم يتبقَّ لديه سوى ثور ينوي بيعه قريباً

(المذيع): فبحثت عن غيره..

(أبو أحمد): لا.. فكرت وقلت لنفسي بأن لعاب الثور لن يختلف كثيراً عن البقرة.. أليس كذلك؟

(المذيع): لا أعرف فأنت الخبير في هذا العلاج الغريب

(أبو أحمد): على أي حال اتخذت قراري وأخبرت صاحبي بأني أريد الجلوس عند ذلك الثور ليلعق رأسي وبعد أن فرغ من الضحك قال لي إن المزرعة تحت تصرفي ويمكنني القدوم وقتما أشاء لكنه حذرني من إطلاق سراحه لأنه كان ثوراً شرساً وعدائياً وقد يلحق بي الأذى لو أطلقته فقلت له بأني لا أريد سوى لسانه على قمة رأسي

(المذيع): هذا الحوار الذي دار بينكما من أغرب الحوارات التي يمكن أن تدور بين شخصين

(أبو أحمد): وقتها لم أفكر بغرابة طلبي كل ما كان يشغل بالي هو علاج الأرض الجرداء على رأسي

(المذيع): وكيف جعلت الثور يلعق رأسك؟

(أبو أحمد): كان الثور في زريبة ضيقة لها فتحة يطل برأسه من خلالها من وقت لآخر لذا جلبت كرسياً وجلست تحت تلك الفتحة على أمل أن يلعق رأسي لكن ذلك لم يحدث والمرة الوحيدة التي أطل فيها قام بنفخ هواءٍ ساخنٍ على آثار فيها جزعي لكن صاحبي وبالرغم من عدم اقتناعه بما كنت أحاول القيام به اقترح أن أضع بعض العسل على رأسي لجذب انتباه الثور وبالفعل نجحت الطريقة وأخذ الثور يلعق رأسي بشغف وحماس حتى بعد زوال العسل.

(المذيع): أنا أنتظر النتيجة لهذه التجربة الغريبة..

(أبو أحمد): لم يكن هناك نتيجة.. أمضيت أياماً طويلة أزور فيها ذلك الثور وكنت أحضر معي مَرْطبان العسل لأدهن به رأسي قبل الجلوس تحت تلك الفتحة التي يُطل منها.. كنت أحضر في الأيام الأولى بعلم صاحبي لكن مع تكرار زياراتي أخبرني بأني لست مضطراً لذلك لأنه لا يوجد دائماً في المزرعة وأعطاني مفتاحاً خاصاً بي لبوابة المزرعة لأحضر وقتما أشاء.

(المذيع): وكم استمرت زياراتك العلاجية لذلك الثور؟

(أبو أحمد): أعتقد أني أتممت الثلاثة الأسابيع.. الأسبوع الأول كنت أحضر عصراً لكن آخر أسبوعين بدأت أزور المزرعة ليلاً

(المذيع): لماذا؟

(أبو أحمد): شعرت بالحرج في إحدى المرات عندما مر صاحبي مع أحد إخوته بالزريبة ورآني بتلك الحالة والثور يلعق رأسي وأنا كنت أعرف أخاه جيداً لذا كان الحرج مضاعفاً فآثرت القدوم ليلاً عندما تكون المزرعة خالية من الناس

(المذيع): ألم تشعر بالخوف؟

(أبو أحمد): شعرت في اليوم الأول ببعض التوتر لكن إضاءة المكان كانت جيدة والجلسة لا تستمر أكثر من عشر دقائق

(المذيع): متى قررت التوقف عن زيارة الثور؟

(أبو أحمد): عندما قابلت صاحبي نهاية الأسبوع الثالث مصادفة في أحد المحلات التجارية وسألني عن نتيجة الجلسات فأخبرته أني لم أحصل على نتيجة لكني ما زلت مستمراً فاستغرب من كلامي ومن استمراري في زيارة المزرعة

(المذيع): لماذا؟

(أبو أحمد): لأنه وكما قال قد باع الثور بعد عشرة أيام من بدء زياراتي وظن أني عندما لم أجد الثور توقفت عن القدوم للمزرعة

(المذيع): من كان يلعق رأسك إذاً؟

(أبو أحمد): لو كنت أعرف لما اتصلت ببرنامجك اليوم..

(المذيع): شكراً لمشاركتك.. لنأخذ الاتصال قبل الأخير لهذه الليلة

(المتصل٢٣): مرحباً.. أنا (صادق)..

(المذيع): أهلاً (صادق).. تفضل كلنا آذان صاغية.. وحاول أن تختصر لأن الوقت يداهمنا

(صادق): قصتي ليست طويلة لكني ما زلت أتذكرها بوضوح وكأنها حدثت بالأمس القريب ولم أتمكن إلى هذا اليوم من نسيانها بالرغم من مضي سنوات عديدة على حدوثها.. كنت أقود سيارتي ليلاً متوجهاً للمدينة التي تقيم فيها أمي بعد ما علمت بأنها تمر بعارضٍ صحي.. لم أستطع الانتظار للصباح

وكنت أقود سيارتي بسرعة جنونية كي أصل بسرعة.. الطريق كان صحراوياً وشبه خالٍ في ذلك الوقت ولم يكن مُناراً ولم أكن أرى سوى ما أنارته كشافات سيارتي الأمامية.. بعد ما تجاوزت منتصف المسافة تقريباً اصطدمت بحيوانٍ كان يعبر الطريق وكدت أنقلب بالسيارة بعد ما فقدت السيطرة عليها وخرجت عن الطريق المعبد.

(المذيع): كما يقال.. لا تسرع فالموت أسرع..

(صادق): لا نشعر بمعاني هذه العبارات حتى نمر بتجربة قاسية..

(المذيع): هل تعرضت لأي إصابات؟

(صادق): لا ولله الحمد حتى أن سيارتي لم تتلف بالكامل.. مجرد بعض التصدع في مقدمتها مع بعض الدماء والأشلاء من ذلك الحيوان

(المذيع): هل كان قطاً أم كلباً.. أم شيئاً أكبر؟

(صادق): هذا سبب اتصالي.. كما أخبرتك الشارع لم يكن مُناراً

ولم أملك معي كشافاً أو مصباحاً لذا قدت سيارتي للخلف حتى

أصبحت مصابيحها أمام ذلك الحيوان مباشرة وقمت بإشعال

أنوار التنبيه الصفراء تحسباً لأي سيارة قد تأتي من خلفي

(المذيع): كانت مخاطرة منك فكما كنت مسرعاً فغيرك قد يكون

متهوراً مثلك ويرتطم بك

(صادق): لم أفكر وقتها وكان الفضول يعتريني لرؤية الحيوان

الذي دعسته..

(المذيع): وهل تمكنت من التعرف عليه؟

(صادق): في بادئ الأمر ظننت أنه كلب لأن حجمه كان قريباً

منه لكن عندما أمعنت النظر فيه أكثر أدركت أنه حيوان غريب

لم أرَ مثله من قبل

(المذيع): حاول أن تصفه لنا..

(صادق): رأسه كالقرد.. لا لا.. كالبشر لكنه مشعر جدّاً..

جسده كالطائر المنتوف الريش.. عيناه كانتا أغرب ما فيه..

واسعتين جدّاً وكانتا وكأنهما مكتحلتان.. أسنانه لم تكن أنياباً

بل كانت كلها كالرحى الكبيرة البارزة خارج فمه.. انبعثت منه رائحة ظننتها في البداية رائحة مطاط العجلات المحترق من ضغطي المفاجئ للفرامل لكن شيئاً فشيئاً وجدتها أقرب للسمك المشوي..

(المذيع): السمك المشوي؟

(صادق): نعم.. كانت رائحة زفرة وكريهة.. أتذكرها جيداً..

(المذيع): ماذا حدث بعدها؟

(صادق): قررت العودة للسيارة والرحيل بالطبع لكن حدث أمر أفزعني وجمد الدم في عروقي.. بدأ الحيوان بإصدار أصوات كالأنين.. لم أصدق أنه ما زال على قيد الحياة فمعظم أشلائه كانت متناثرة على الطريق وعلى مقدمة سيارتي المتصدعة.. المخيف في الأمر أن الصوت الذي كان يصدره بدا بشرياً أكثر من صوت حيوان..

(المذيع): أعتقد أن ذلك كان سبباً كافياً كي تهرب من المكان وبسرعة

(صادق): لا أعرف ما أقول لك لكني لم أفعل وقمت بأمر أحمق

(المذيع): لا تقل لي بأنك عدت له وحاولت مساعدته؟

(صادق): عدت نعم لكن لم تكن نيتي مساعدته.. لا أعرف.. ربما فضول بعد سماع صوته.. لكني عدت واقتربت منه ببطء وحذر حتى وقعت عيناه الواسعتان علي فرفع رأسه ولسانه الطويل الغارق باللعاب يتدلى من فكه المكتظ بتلك الأسنان الكبيرة وتحدث معي بكلام مفهوم وسط اندهاشي وانزعاجي من ذلك المنظر البشع وقال: ادفني.. ادفني في التراب..

(المذيع):...

(صادق): بالطبع هربت في تلك اللحظة وركبت سيارتي وقدتها بسرعة مبتعداً عن المكان..

(المذيع): هل انتهت القصة عند هذا الحد يا (صادق)؟

(صادق) بنبرة متوترة بعض الشيء: نـ.. نعم.. ماذا تقصد؟

(المذيع): لا شيء.. شكراً لمشاركتك.. لنأخذ فاصلاً إعلانياً قبل تلقي آخر اتصال معنا لهذه الليلة

(المعد) بعد الانتقال لفقرة الإعلانات: هل فكرت كيف ستختم البرنامج؟

(المذيع): لا يهم كيف سأختم البرنامج..

(المعد): ما المهم إذاً؟

(المذيع): المهم أن لا ينتهي بتوقف البث..

(المعد) بتوجس: ماذا تقصد؟

(المذيع) يشير لصاحبه بإعادة البث المباشر دون أن يجيب على سؤاله..

(المعد) يشير له بعودة البرنامج على الهواء والقلق بادٍ على محياه..

(المذيع): عدنا لكم مع الاتصال الأخير لهذه الليلة لكن ابقوا معنا بعدها لأننا في أسرة البرنامج لدينا إعلان أخير قبل أن نختم الليلة.. متصلنا التالي تفضل..

(المتصل٢٤): يسعدني أن أكون المشاركة الأخيرة لهذه الليلة.. أنا (نوال) ومن أشد المعجبين بالبرنامج

(المذيع): ختام البرنامج مسك بإذن الله.. تفضلي..

(نوال) ضاحكة: أشعر بتوتر..

(المذيع): لا بأس خذي مهلك في السرد

(نوال) وهي تزفر: أنا أحب السباحة.. في البحر في المسابح المغلقة في أي مكان به ماء تجدني متحفزة للقفز والعوم مباشرة

(المذيع): هواية جميلة..

(نوال): من النادر جداً أن تكون الظروف ملائمة لأعوم وحدي بحرية فغالباً أكون مع أسرتي أو مع أصدقائي ولم يتسنَّ لي ممارسة هوايتي المفضلة بالعوم وحدي

(المذيع): ولمَ تريدين العوم وحدك؟

(نوال): جربتها مرة ووقعت في غرامها.. ينتابني شعور جميل عندما أصبح مع الماء وحدي.. شعور كالحلم.. عزلة بنفسي وبأفكاري.. تجربة فريدة أحببتها جداً

(المذيع): ومتى كانت آخر مرة خضتِها؟

(نوال): هي نفسها المرة التي لم أعد بعدها للعوم مجدداً

(المذيع): لماذا؟.. ما الذي حدث؟

(نوال): سمعت عن مكان يقوم بتأجير استراحات بمسابح خاصة بالساعة فلم أتردد بحجز إحداها لبضع ساعات لممارسة العوم وحدي وبحرية وفي خصوصية تامة.. طلبت من أبي أن يقوم بإيصالي للمكان وبالرغم من أني أخبرته أنه يمكنه الرحيل والعودة لي لاحقاً بعد ثلاث ساعات وهي الفترة التي استأجرت فيها المكان إلا أنه فضل البقاء في مجلس الاستراحة وأخذ قيلولة حتى أنتهي

(المذيع): تصرف طبيعي من أي أب حريص على سلامة ابنته

(نوال): لكن حرصه لم ينقذني مما تعرضت له لاحقاً..

(المذيع): أكملي نحن مصغون

(نوال): دخلت للمسبح وأقفلت الباب وبدأت بتبديل ملابسي وعندها قررت السباحة دون ملابس فالمكان كان مغطى بالكامل ونوافذه مرتفعة ولا يمكن لأحدٍ اختلاس النظر منها.. قفزت في الماء.. كان بارداً بعض الشيء لكني لم أمانع بل أستمتع ببرودته.. بعد ربع ساعة تقريباً من السباحة أحسست بشيء مر بجانبي تحت الماء.. ارتعبت وبدأت أعوم للخروج من الماء لكن

وقبل أن أصل للحافة أمسكني شيء ما من قدمي وسحبني لوسط المسبح وعندها بدأت الهجمات

(المذيع): هجمات؟

(نوال): هذا ما يمكن أن أصف به ما كان يحدث لي بشكل متكرر في الماء.. كنت أشعر بمجموعة من الأيادي تتحسس جسدي بعنف وتشدني أحياناً للأسفل وكأنها تحاول إغراقي ومهما حاولت الصراخ والاستنجاد لم يسمعني أحد

(المذيع): ماذا عن أبيك؟

(نوال): كان المجلس بعيداً عن المسبح ولم يستطع سماعي خاصة وأنه قد نام كما قال

(المذيع): وكيف تمكنتِ من الخروج؟

(نوال): الأمر لم ينتهِ بسرعة وأصبت بالإرهاق الشديد من ذلك التحرش العنيف المستمر وغير المنقطع وبدأت عضلات جسدي تتشنج وأصبت بشد عضلي قوي في فخذي الأيمن كان كالصاعقة الكهربائية التي نفضتني بالكامل وفي تلك اللحظة بدت فكرة موتي في ذلك المكان واقعاً أراه يقترب..

(المذيع):...

(نوال): لن أقول بأني قمت بشيء أوقف تلك الهجمات لكنها توقفت.. توقفت فجأة وتركتني أعتصر من الألم بجسدي الذي امتلأ بالرضوض وبعض الجروح وتمكنت من الوصول بعد عناء لحافة المسبح لكني لم أقوَ على الخروج فوراً واستغرق الأمر مني وقتاً حتى استعدت بعض قوتي وخرجت

(المذيع): ماذا كانت ردة فعل والدك عندما علم بالأمر؟

(نوال): هذه أول مرة أروي ما حدث لأحد ولحسن حظي أن وجهي لم يصب بأي كدمات ولم يتعرض للأذى كبقية جسدي الذي تمكنت من تغطيته حتى تماثلت للشفاء

(المذيع): الحمد لله على سلامتك

(نوال): هل لي بسؤال؟

(المذيع): تفضلي..

(نوال): ما الذي حدث معي..؟

(المذيع):...

(نوال): لدي إحساس قوي بأنك تعرف..

(المذيع):....

(نوال): ألن تجيبني..؟

(المذيع): شكراً لاتصالك يا (نوال)..

أغلقت المتصلة الأخيرة لبرنامج «هذا ما حدث معي» وأشار المعد لصاحبه بالبدء في كلمته الأخيرة قبل إنهاء الحلقة الأخيرة لكنه كان سارحاً يفكر في كلام المتصلة الأخيرة مما اضطره لأن يلقي قلمه تجاهه فتنبه المذيع له وتحدث قائلاً: أعزائي المستمعين فاصل سريع وسنعود مع كلمة أخيرة للبرنامج كونوا معنا..

خرج المعد لفاصل إعلاني وهو مستغرب من ما قام به صاحبه وخلع سماعاته وسار نحوه وهو يقول: ماذا تفعل؟.. نحن لم نتفق على أي فاصل إعلاني قبل كلمة الختام

(المذيع) يخلع سماعاته ويقول لصاحبه: أريد خدمة أخيرة منك.. كصديق وليس كمعد للبرنامح..

(المعد) وهو مرتاب: ماذا تريد؟

(المذيع): أريد أن أنهي البرنامج وحدي..

(المعد): ماذا تقصد وحدك؟

(المذيع) مبتسماً بحزن: أريد أن أكون وحدي في الغرفة..
بدونك.. أريد الحديث مع جمهوري لآخر مرة بدون معدٍّ يحدق
بي

(المعد) بتوجس: ماذا تنوي أن تفعل؟

(المذيع): لا نية لي للقيام بشيء.. إنه مجرد طلب أخير من صديقي
الوحيد وإذا لم تنفذه لي فسأتفهم ذلك..

صمت المعد لثوانٍ بعد ما أطلق زفرة وقال: حسناً لكن لا
تطل في الحديث فالبرناج الذي يلينا على وشك البدء

(المذيع) يبتسم ويضع كفه على كتف صاحبه قائلاً: لا تقلق
مجرد بضع كلماتٍ مقتضبة..

هز المعد رأسه ونقل البرنامج على الهواء قبل خروجه وإغلاق
الباب خلفه..

سار المذيع نحو الباب وأقفله بالمفتاح ثم سحب الكرسي

الخاص بالمعد وحشره في مقبضه وعاد بعدها ووضع سماعاته وأشعل سيجارة وبدأ بالتحدث مع جمهوره للمرة الأخيرة:

مرحباً بكم مرة أخرى.. برنامجنا الليلة سوف يسدل الستارة على آخر حلقة من حلقاته الأسبوعية وقد يتساءل البعض عن السبب بالرغم من نجاحه وجماهيريته المتزايدة.. تكذيب الحقيقة لن يغيرها ورؤيتها من عدمها ليست العامل الحاسم في تصديقها.. نحن اليوم نعيش في عالمٍ يعتمد على الحقائق الملموسة فقط لذا ركن الكثير قلوبهم وأحاسيسهم على قارعة التجاهل وركبوا فلك العقلانية المطلقة وأبحروا في بحر الماديات الثابتة ظنّاً منهم أنها ستصل بهم لساحل الحقيقة.. لذا حاولت من خلال هذا البرنامج تسليط بعض الضوء على شيء يسير من الأحداث التي يتعرض لها الكثير منا بشكل يومي ومتكرر دون التدخل أو التعليق لكن ومع ذلك ما زال هناك من يريد تكميم أفواهنا حتى وإن كان ما نقوله يعتبر من وجهة نظرهم أكاذيب أو هلوسات أمراض نفسية.. أعتذر لكل متصل لم أتمكن من مساعدته بالرغم من قدرتي على ذلك.. كنت أريد حماية البرنامج

ليستمر لكن فيما يبدو أنه حتى الكلام ممنوع ولو من باب النقاش.. سأحاول في اللحظات الأخيرة أن أكفر عن بعض تقصيري السابق في حقكم ولن أخشى العاقبة لأني اكتشفت اليوم أنه لا يوجد شيء أسوأ من التنازل عن مبدأ عشت به سنين طويلة فهذا لا يستحق تأنيب الضمير الذي سيلاحقك لتجاهل مساعدة الناس أو على أقل تقدير التخفيف عنهم..

عزيزي (سامي) المتصل الذي اتصل سابقاً وقال بأنه عامل بشركة الكهرباء إذا كنت لا تزال تسمعني فالشيء الذي اعتدى عليك وخرج من عداد الكهرباء يسمى بـ(المزغ) وهو من أنواع الجن ولو أنه رآك كان سيقتلك بلا شك. لقد علق في التيار الكهربائي بصندوق العداد وأنت عن غير قصد حررته والحمد لله على سلامتك.

أما (د.وحيد) فالمريض الذي لم تستطيعوا تخديره ممسوس وعلى الأرجح أنه مسحور بسحرٍ مأكول من أحد أقربائه.. أعرف أنك لن تقبل هذا الكلام لكنها الحقيقة..

في تلك اللحظة بدأ مقبض باب الاستديو يهتز بقوة من

شخصٍ يحاول الدخول من الخارج تبعه طرقات قوية وعنيفة وصرخات تطلب من المذيع فتح الباب.

أشعل المذيع سيجارة وسحب منها بعض الدخان ونفثه قائلاً: لا أملك الكثير من الوقت لكني سأحاول الإكمال قدر المستطاع.. بالنسبة للمتصل الذي حذره الرجل الغريب ليلاً خلال خروجه للمشي ولم يستطع التعرف عليه أقول له انظر جيداً في المرآة وستعرف من الذي لاحقك وحذرك من ركوب الطائرة.. آنسة (شهد) اسمعيني جيداً أبوك مديون لذا يجب أن تبحثي مع إخوتك عن من يطلب منه مالاً من الذين كان يتعامل معهم في تجارته وإذا لم تجدوا أحدًا فتصدقوا عنه أو أقيموا له صدقة جارية.. وهناك احتمال آخر وهو أنه متزوج دون علمكم ولديه أطفال لهم نصيب في الميراث.. ابحثوا عنهم..

الطرق يشتد على الباب والأصوات في الخارج تزداد عدداً وقوة ونبرات التهديد والوعيد من مدير المحطة ورجال الأمن تحتد..

(المذيع) مستأنفاً حديثه دون اكتراث: آنسة (خلود) علاج

عينيك بسيط ولا يتطلب الكثير هو خارج عن المألوف قليلاً لكن سيفيدك بإذن الله.. فقط قومي بـ..

كُسر باب الاستديو ودخل مجموعة من الرجال مع مدير المحطة المستشيط غضباً وأشار بسبابته نحو المذيع وقال بصوتٍ مرتفع: أمسكوه!

(المذيع) مبتسماً وعيناه على الرجال المتقدمين نحوه لإلقاء القبض عليه:

كنتم مع برنامج «هذا ما حدث معي».. تصبحون على خير

الروائي

أسامة المسلم

الفهرس

صخب الخسيف !!

أسامة المسلم